# عالم الأهوية

# عالم الأهوية

تأليف ورسم:
وفاء عبد الرحمن محمد

_wa_2023_
wa_2023_

الطبعة الثانية

١٤٤٦هـ - ٢٠٢٤م

بسم الله الرحمن الرحيم

# شكر وامتنان

إلى أكثر شخص دعمني حتى رأت هذه الراوية النور

**أمي**

وإلى جميع أفراد عائلتي الحبيبة، ودكتوراتي وصديقاتي

شكرًا لكم من القلب لدعمكم المستمر لي

## تنبيه

لا تصدق كل ما سيتم ذكره في هذا الكتاب، فحتى المعلومات التي ذكرت وطابقت الواقع طابقته من محض الصدفة.

كانت شروق تمشي وخلفها قط يلاحقها أينما ذهبت، كانت تشعر بأنه ذلك القط الذي ساعدته قبل بضعة أيام، بالرغم من أنّه كان بلونٍ مختلف إلا أنها كانت تشعر بأنه هو...

هو من يلاحقها منذ أن ساعدته، منذ ذلك اليوم وهي تشعر بأنها في كابوس، وكم تمنّت أن تستيقظ منه؛ فنظرات الحيوانات الغريبة تلاحقها أينما ذهبت، فدائمًا ما ترى قطًا يلاحقها أو ينظر إليها وهي تسير في الشارع أو في ساحة الجامعة، وعندما تدخل لبيتها ترى حمامة أو عصفورًا ينظر لها من نافذة غرفتها بنفس تلك النظرة المُريبة.

وصلت شروق ووالديها إلى المطعم الذي اقترحته صديقتها آمال.

آمال التي تقترح لصديقتيها دومًا المطاعم والمقاهي التي ترى أنه من الأفضل أن يجرّبوها، آمال التي لها نظرتها المختلفة عن الحياة التي كوّنتها من تجاربها، كانت تحبّ نصح من حولها وإقناعهم بأفكارها التي ترى بأنها صحيحة، دائمًا ما كانت تتحدّث بثقةٍ وهذا ما جعل من حولها يثقون بها ويتبعون نصائحها في كثيرٍ من الأحيان.

جلست العائلة على طاولةٍ مطلّة على الشارع، كانت شروق تسترقُ النّظر من حينٍ إلى آخر إلى السيارات الذاهبة والقادمة وهي شاردةُ الذّهن، إلى أن مرَّ من أمامها قطًا رماديّ اللون، ثم وقف وبدأ يحدّق بها!

حدّثت نفسها: إنّها نفس النّظرات، النّظرات المُريبة، أشعر بأنه يريد أن يقول لي شيئًا ما، إنه ليس عاديًا، أشعر بأنه يفهم ويفكر

كالبشر، فلم يمر عليَّ قَط قطٌّ كهذا! فكل يوم أتعامل مع عشرات القطط سواء التي لم تُبع في متجر أبي، أو تلك التي يُحضرها الناس لنعالجها أو ننظفها ونقلّم أظافرها، لكن لم يمرّ عليَّ قطٌّ غريبٌ بل مريبٌ كهذا! إنه هو بالتأكيد، ولكنه غيّر هيئته، لقد أخبرته بأن يبتعد عنّي ويدعني أمضي في سبيلي ولكن... على ما يبدو بأنني سأندم على مساعدته، فنظراته هذه ككابوس مزعج... لم تفارقني منذ أيام.

قاطع شرودها صوت والدتها وهي تقول: ما بك يا عزيزتي؟

منير: هل هنالك ما يضايقك يا ابنتي؟

أشارت شروق إلى القط وهي تقول: انظرا إلى هذا القط، ألا تشعران بأن فيه شيء غريب؟

ما إن نظرا والديها إليه حتى تبدّلت نظراته لنظرات قطٍ ساذج...

منير: وما الغريب به يا ابنتي إنّه عادي؟

ابتسمت أهداب وقالت: هل أعجبك يا عزيزتي؟ يمكنك تبنّيه إن أردتِ.

شروق: لا.

وصل الطّعام وبدؤوا بتناوله، كانت العائلة تتجاذب أطراف الحديث أثناء تناولها الطّعام، وشروق تلقي بين الحين والآخر نظرةً خاطفةً فتجد القط ما زال ينظر إليها، حاولت تجاهله ومشاركة والديها الحديث ولكن...

صمت الجميع عندما شدّ انتباههم بكاء طفلٍ كان يرفض دخول المطعم مع والديه خوفًا من ذلك القطّ الذي بقربِ باب المطعم.

لاحظ أحد عمّال المطعم ذلك فخرج وهو يتذمّر من القط وركله بقوةٍ وهو يقول: ابتعد من هنا أيها القط القذر.

ارتطم القط بصندوقِ النفايات وحينها قام الرجل بدهسه، فقامت شروق وخرجت مسرعةً دون أن تشعر، وقالت بانفعال: هيه توقف!

ثم احتضنت القط، نظر إليها العامل باستنكار!

شروق: ما هذا التّعامل القاسي، لا يجوز إيذاء الحيوانات!

ثم وجهت نظرها إلى القط وقالت: هل تأذيت؟

ضحك بعض الصّبية الذين كانوا قد شهدوا الموقف وقال أحدهم: يبدو أنها أصبحت تتكلّم مع الحيوانات من شدّة حبّها لها.

ضحك بقية الصبية بعده بصوتٍ أعلى وبدؤوا يقلّدونها.

وبالرغم من الخوف الذي كان منتشرًا في كل شبرٍ داخلها إلا أنّها قرّرت أنّ تستجمعَ شجاعتها وتنهي هذا الكابوس الذي لم يكفّ عن ملاحقتها منذ ذلك اليوم المشؤوم، فنظرت إلى والديها الذين تبعاها فور خروجها وقالت: هل يمكن أن أعالج هذا القط في المنزل وأرعاه إلى أن يتعافى؟

ابتسمت أهداب وقالت: كنت أعلم بأنه أعجبك.

شروق: هل يمكن أن أسبقكما إلى المنزل، لم تعد لديّ رغبة

بالأكل.

أهداب: سنأتي معك ونكمل تناول طعامنا في المنزل.

منير: انتظرا قليلًا سأدفع الحساب وآتي.

أهداب: حسنًا، سأذهب إذن إلى دورة المياه سريعًا، لن أتأخر.

«شكرًا على إنقاذك لي مجددًا»

همس لها القط وهو ينظر إليها، فتسمّرت في مكانها من الخوف، وشعرت بأن أطرافها ستتجمّد من البرد، ولكنها حاولت أن تبدو ثابتة ولا تظهر خوفها، حينها ابتسم القط وهو ينظر إلى صرامتها المصطنعة وفي الوقت ذاته كان يسمع دقّات قلبها التي كانت مثل قرع الطبول، تمالكت شروق نفسها وأكملت المسير إلى المنزل مع والديها عند خروجهما، وعندما وصلت توجّهت فورًا إلى غرفتها وهي تحمل القط، وضعته على مكتبها وقالت: ألم أخبرك بأن سداد معروفك لي هو أن تبتعدَ عني؟ لمَ تلاحقني؟ ملاحقتك لي تزعجني كثيرًا، أخبرني ما الذي تريده مني؟! لقد أصبحت كابوسًا بالنّسبة لي وكم أتمنى أن أستطيع الاستيقاظ منه، رجاءً لا تظهر لي أبدًا بعد أن أعالجك هذه المرة.

نظر إليها القط بحزنٍ وقال: لو أنني أستطيع ذلك لفعلت.

شروق: ولمَ لا تستطيع؟!

القط: رجاءً اسمحي لي بالعيش هنا؛ فأنا بلا مأوى، وكدت أن أموت عدّة مرات.

تبدّلت على الفور نظرات غضب شروق لنظرات شفقة؛ فقد كانت تشفق على الحيوانات وتحبّها كثيرًا.

القط: أرجوكِ.

شروق: لا تخف لن أتركك، سأعرضك للتبنّي بعد أن تتعافى، ولكن أخبرني ما الذي تريده مني؟

قطع حوارهما صوت أهداب وهي تناديها من غرفة المعيشة وتقول: شروق... دنيا على الهاتف.

* * *

فشلت في التغلّب على الأرق الذي اجتاحَ عقلها، كانت تتذكر اللحظة الأولى التي أنقذته فيها، عجّ رأسها بعشرات التساؤلات وأولها هو عن سبب تهرّبه من إخبارها عن سبب ملاحقته لها.

شروق وهي تضع يدها على رأسها: ما الذي يفكر به هذا القط؟!

خرجت من غرفتها وبدأت تبحث عنه، نزلت للطابق الأول فرأته يلعب مع قطتها البيضاء سنو.

شروق في نفسها: كم هذا غريب! عادةً تتشاجر سنو مع كل قطٍ جديدٍ أحضره إلى المنزل، ولكنها تبدو منسجمةً مع هذا القط الجديد.

انتبه القط لوجود شروق فتوقف عن اللّعب وقال لها: لوحاتك جميلة ومعبّرة.

فزعت شروق وقالت: وكيف عرفت بأنني أنا من رسمها؟!

القط: توقيعك يزيّن كل لوحةٍ معلّقة على الجدران فيزيد اللّوحة جمالًا.

شروق بدهشة: أتعرف القراءة؟! ما قصتك؟! لم أستطع النوم بسببك... هل أنت جنيّ؟

ابتسم القط وقال: بالطّبع!

شروق: ولمَ لم تكفّ عن ملاحقتي كما طلبت منك؟

القط: ...

شروق: ولمَ تتشكل هكذا وتعرّض نفسك للموت؟

القط: من أجل طفل صديقي القط؛ فقد أوصاني عليه، لذا بين الحين والآخر أتشكّل كقطٍ للاطمئنان عليه وعلى والدته.

كانت هذه الإجابة كفيلةً لظهور المزيد من علامات الاستفهام فوق رأسها، فقالت وهي تتّجه إلى المطبخ: اتبعني وأكمل حديثك في المطبخ، فأنا جائعة.

أخرجت شروق السلطة التي طلبتها اليوم وبدأت بتناولها.

القط: بالمناسبة، هنالك مطعم بالقرب من جامعتك يبيع سلطة لذيذة جدًا، يجب أن تجربيها فأنا متأكدٌ من أنها ستعجبك.

شروق بسخرية: وما أدراك أنت؟ هل تأكل القطط السلطات؟

القط: تناولتها مع صديقي الإنسيّ عندما تشكلت على هيئة بشري.

شروق: وكيف علمت بأني أحبّ السلطات؟

القط: سنو أخبرتني بذلك.

تسمّرت في مكانها لثوان ، ثم نظرت لسنو وقالت بتوجس: هل سنو أيضًا من الجنّ مثلك؟

القط: لا، ولكنها أخبرتني بذلك.

بقيت تنظر بتوجسٍ إلى سنو.

القط: أستطيع التحدّث مع الحيوانات عندما أتشكّل بهيئتها، في الحقيقة سنو قطةٌ ظريفةٌ جدًا، ولكنها تكره منزلكم.

شروق باستغراب: ولمَ؟!

القط: بسبب والدك.

حكى القط لشروق عن سبب كره سنو لوالدها.

شروق: ولكن الأمر ليس كما تظن، أبي هو من أنقذها من الهلاك.

القط: ولكنّها تقول بأنه خطفها وفرّقها عن والدتها.

شروق بتعجب: لا... آه يا سنو لم أكن أعلم بأنك تفكرين هكذا، سأخبرك بقصّتها ولكن أرجوك احكها لها لكي تفهم الأمر.

القط: حسنًا أنا منصتٌ لك.

* * *

أغلقت كتابها السميك بقوةٍ ثم رمته على الأرض بغضب، ثم ألقت كلّ ما كان أمامها على المكتب أرضًا.

خالد الوغد، تلاعب بي وبمشاعري وتركني من أجل فتاةٍ لئيمة لم تكن تحبّه! كم هو أحمق، ما زال متعلقًا بفتاةٍ تركته في الماضي من أجل المال، فتاة فضّلت عليه شابًا آخر لأنه كان ذا صيتٍ ومنصبٍ عالٍ في المجتمع، والآن يحاول التقرّب منها مجددًا بعدما أصبح شخصًا ثريًا وناجحًا في كافة جوانب حياته، هذه الفتاة المادية الحقيرة هي من كانت دافعه ليحقّق كل هذا النجاح، لطالما كنتُ معجبةً به وبذكائه وشخصيته القوية وإنجازاته المتتابعة، ولكنني الآن أحتقره؛ أحتقر تقديره المتدنّي لذاته، فقد اختار العودة لمن رفضته في الماضي وتركته من أجل المال! كم هو غبيّ! ألا يعلم بأن من باعه مرة سيبيعه ألف مرة!

ثم ابتسمت بانتصار وأكملت: ولكنني على يقينٍ بأن علاقتهم لن تدوم، فقد اكتشفت في الفترة الأخيرة بأنه لا يستطيع البقاء مع امرأةٍ واحدةٍ لفترةٍ طويلة؛ فهو يَملُ سريعًا ويحبّ التغيير، ولا يستطيع المحافظة على علاقاته.

وقعت عيناها على القِنينة الزجاجية المملوءة بالماء في يسارِ الغرفة، ثم على الكأس الزجاجيّ المملوء بالماء في يمينِ الغرفة، توجّهت نحو كأس الماء وشربت ما في جوفه، تنهدت بعمق علّها تخفّف بذلك غضبها، أغمضت عينيها وبدأت بالإنصات لخرير المياه الصادر من النافورة التي اشترتها لها مربيتها حنان قبل مدّة.

تذكّرت ما كانت تقوله دومًا بأن صوت الماء الجاري يخفّف من التّوتر والغضب، فتبدّلت مشاعرها لمشاعر حبٍ وامتنانٍ عندما بدأت

تفكّر في مربيتها حنان.

آمال: كم هي لطيفةٌ ماما حنان؛ فقد ملأت كلّ أركان الفيلا الواسعة بنوافير المياه؛ لتساعدني على الاسترخاء والهدوء، ولتكسرَ أيضًا ذلك الصّمت الرتيب الذي كان يخيّم على هذه الفيلا الكئيبة الخالية من الحياة، ولكم حرصت على راحتي وسعادتي، كانت تعلم مدى حبّي وهوسي الشديد بالعملِ والدراسة؛ فنصحتني بالتأمّل؛ لكي أستطيع التركيز والإنتاج أكثر، فكل يومٍ تجعلني أنهي يومي المكتظّ بالعملِ والمذاكرة المكثّفة بحمامٍ دافئ قبل النوم، فأجدها قد جهّزت لي مكانًا مناسبًا للتأمّل، حوض استحمامٍ مليء بالماء الدافئ وصوت موسيقى هادئة وأنوار خافتة تساعدني على التأمّل والتركيز لأطول فترةٍ مُمكنة، وقد اهتمت أيضًا بصحّتي وجمالي، فدومًا ما تذكرني بفوائد الماء على الصحّة والبشرة والشعر وأنا التي لا تعير بشرتها أو شعرها أيّ اهتمام، إنها تهتمّ بي أكثر من نفسي؛ فدومًا أجدها قد وزعت زجاجات المياه في الغرف حتى لا أنسى شربَ الماء، إنني أشعر بأنها تحبّني أكثر من والدي، فبالرّغم من حبّ أبي لي إلا أنه يقسو عليّ أحيانًا، على عكس ماما حنان، التي كانت دومًا منبعًا للحنان والحبّ في حياتي، إنها تمطرني بحبّها وعطفها، ليس أنا فقط بل حتى لصديقاتي... وجميع الفتيات، لطالما أخبرتني بأنها تشعر بأنها أم لجميع الفتيات في هذا العالم، كم هي حنونة!

نظرت آمال للمرآة أمامها فتجدّد الغضب داخلها وقالت بحقد: على عكس خالد الوغد الذي كان سببًا في تدني درجاتي في الاختبارات الماضية، لم أعد أستطيع التركيز في الدراسة والعمل

بسببه.

توجهت آمال بانفعالٍ نحو كتبها المصفوفة في المكتبة ووجهت لها لكمةً قوية وهي تقول: لقد جرحني بعمق و...

بتر جملتها فزعها الذي امتزجَ بكثير من الدهشة عندما سمعت صوتًا في الغرفة يقول بانفعال: **انتبهيييي.**

شهقت آمال وتراجعت للخلفِ بسرعة فسقط جيتار صديقتها دنيا من أعلى المكتبة التي اهتزّت إثر لكمتها، فخرجت مفزوعة وركضت نحو مربيتها حنان التي كانت هي الأخرى قد خرجت من المطبخ مسرعةً بعدما سمعت صوت ارتطام شيءٍ ما من غرفتها، احتضنت حنان آمال التي كانت تبكي...

حنان بقلق: ما الذي حصل يا ابنتي؟ هل تأذيتِ؟

آمال بصوتٍ متقطعٍ من البكاء: ماما حناا.... اان ...

أمسكت بيديها المرتجفتان من الخوف وقبّلتها ثم ضمّتها من جديد: ما الذي حصل يا ابنتي؟ ما بكِ؟

آمال: لقد خاطَبني... أحدهم وأنا... في غرفتي!

حنان: ماذا؟! ما الذي تقولينه؟! من الذي خاطَبك؟!

آمال: لا أعرف، سمعت صوتًا يخاطبني، ولكن لم يكن هنالك أحد غيري في الغرفة.

حنان: مستحيل، بالتأكيد أنتِ تتوهمين.

آمال: لا لا، أنا متأكدة.

حنان: ماذا سمعتِ؟

آمال: لقد قال لي انتبهي وبعدها سقط الجيتار من المكتب.

عادت آمال للبكاء مجددًا...

حنان: حبيبتي آمال، أنتِ تتوهمين، أنتِ لستِ على طبيعتك هذه الفترة، ربما حالتك النفسية السيئة جعلتك تتوهمين وتتخيلين أشياء غير موجودة.

آمال: أتمنى لو أن الأمر كذلك...

مسحت حنان على شعر آمال وبدأت تمتم وهي تقرأ الأذكار ثم نفثت عليها بعدما انتهت.

حنان: أنا متأكدةٌ بأنك تتوهمين يا ابنتي، ولكن سأشغل القرآن في كلّ أرجاء المنزل حتى تشعري بالاطمئنان.

قبّلت رأسها ومسحت عليه ثم أكملت: هيا لنتناول الغداء، لقد طلبت من الطاهي أن يعدَّ لكِ البيتزا والفطائر التي تحبينها.

ذهبت آمال بعد الغداء إلى عملها، حاولت أن تتناسى ما حصل، وبعدما أنهت ساعات عملها أخرجت كتبها من الحقيبة وبدأت تذاكر في السيارة، كانت تتهرّب من المنزل، ولكن عندما شعرت بأن الوقت قد تأخر استسلمت وعادت إلى المنزل لتنام، يجب عليها أن تنامَ باكرًا؛ فمحاضرتها في الغد تبدأ في الساعة الثامنة وقد تجاوزت الساعة الآن

الثانية والنّصف بعد منتصف الليل.

انتشرت السّكينة في أرجاء قلبها عندما دخلت وسمعت صوت القرآن يتردّد في كلّ أنحاء المنزل، ولكن عندما مرّت من جانب غرفة الدّراسة تجدّد الخوف داخلها، فقرّرت أن تستأذن المربية حنان لكي تنام في غرفتها هذه الليلة، صعدت آمال للطابق الثالث حيث غرفة المربية حنان، ولكن عندما اقتربت سمعت صوت حنان وهي تتحدّث بغضبٍ ولكنها لم تستطع سماع كل ما قالته، فاقتربت أكثر وألصقت أذنها بالباب فسمعتها تقول: سوف تُعاقب! ألم نتفق بألا تتحدث معها أبدًا؟!

ردّ عليها نفس الصّوت الذي سمعته آمال اليوم: أقسم لك أنني قلتها دون أن أشعر، لقد خفت عليها، كاد الجيتار أن يسقط عليها ولم...

غطّت آمال فمها بيدها وتراجعت إلى الوراء، ثم ركضت خارج المنزل...

ماما حنان، مصدر الأمان وأكثر شخص تحبّه وتثق به، كانت تخدعها! ما الذي تفعله؟ ومع من تتحدّث؟ وما الذي تخطّط له؟ ماما حنان... هل سأستطيع أن أناديها بعد اليوم بـ (ماما)؟ أو أن أعتبرها أمي؟!

* * *

اتكأت دنيا على كرسيها المكسوّ بالفرو الأبيض، ثم نظرت لعلبةِ

طلاء الأظافر التي تنوي وضعها على يديها وقدميها، كانت ترتدي قميصًا ورديّ اللون، وعلى أذنيها ارتكزت سماعات هاتفها المحمول، كانت تتحدث بسعادةٍ مع حبيبها حسام حتى سمعت صوت المنبّه فقالت له: حبيبي سوف أذهب لأغسل شعري ثم أخلد للنوم... وأنا أحبك أيضًا... وأنتَ من أهله.

أخرجت قدميها من الماء الدافئ وبدأت بتقشير الجلد الميت، ثم توجهت للحمام لتغسلَ قناع الشعر والوجه الذي وضعته، ولكن قبل دخولها رأت هاتفها الآخر يومض، كان على الوضع الصامت، ولكن يبدو بأن هناك من يتّصل بها، اقتربت فشهقت عندما رأت خمس مكالمات فائتة من آمال

دنيا: ما الأمر؟! ما الذي حصل حتى تتصل بي في هذا الوقت المتأخر من الليل؟!

عاودت دنيا الاتصال بآمال التي قرّرت النوم في السيارة بعدما يئست من ردّ شروق ودنيا على اتّصالاتها، استيقظت آمال من نومها القصير الذي لم يتعدَ الساعتين.

آمال بصوتٍ ناعس: أهلًا دنيا.

دنيا: آمال حبيبتي ما الذي حصل؟ هل هناك شيء؟ آسفة جدًا لكن كان هاتفي على الصامت ولم...

آمال: لا داعي للقلق، فقط كنت أريد المبيت عندك.

دنيا بلهفة: أهلًا بك، تعالي أنا في انتظارك.

آمال: لا سوف أنام في السيارة.

دنيا: ما هذا الهراء! كيف تنامين في السيارة؟

آمال وهي تتثاءب: إنني أشعر بالنعاس ولا أستطيع القيادة الآن، سوف أنام هنا.

دنيا: ولماذا تنامين في السيارة؟! أين أنت الآن؟ أرسلي لي موقعك لأرسل لك السائق ليحضرك.

آمال: أنا في مواقف الجامعة، لقد أوقفت سيارتي هناك، ووضعت منبّهًا قبل المحاضرة بنصف ساعة، حتى أذهب لها فور استيقاظي.

دنيا: آمال كفّي عن السخافة أرجوك! كيف تذهبين للجامعة من دون أن تغسلي وجهك بغسول الوجه بعد الاستيقاظ، وتصفّفي شعرك...؟!

آمال: دنيا أرجوكِ أريد النوم، لا وقت لديّ، لم تبقَ سوى سويعات حتى تبدأ المحاضرة.

دنيا: تعالي عندي وتغيّبي عن المحاضرة.

آمال: لا مستحيل، تعلمين أنني لا أحبّ التغيّب.

دنيا: آمال ما الذي حصل؟ لمَ خرجتِ من بيتك؟!

طرحت دنيا كثيرًا من الأسئلة التي جعلت النوم يهرب من عيني آمال، فما كان عليها إلا أن تأتي لصديقتها حتى تشبع فضولها وتحكي لها ما حصل.

* * *

دنيا: لا أصدق! هذا مستحيل! هذه ليست أبلة حنان! أبلة حنان طيبة وحنونة ومن المستحيل أن تقوم بذلك، ربما تتوهمين!

آمال: كم أتمنّى هذا، ولكنّي متأكدة مما سمعته.

دنيا: إنني أشعر بالخوف، لم كذبت عليك وقامت بخداعك؟!

آمال: لا أعلم، إنني مصدومة، لقد كانت هي أكثر شخص أثق به وأصدقه، كنت أشعر بأنني مثل ابنتها... كنت أظن بأنها تحبّني وتتمنّى لي الخير، لقد توالت الصّدمات عليّ، أولًا خالد، أول شخصٍ أحبّه في حياتي وأتعلّق به، والآن أمّي حنان، وأبي قد زاد انشغالًا عما مضى، لقد أصبح كثير السفر ولم أعد أراه كثيرًا.

تأثرت دنيا وأشفقت على حال صديقتها فاحتضنتها وبدأت بالبكاء...

آمال: لمَ تبكين!

دنيا وهي تذرف الدموع: لا تحزني يا آمال، فأنا سأكون معك وبجانبك دومًا، يمكنك الوثوق بي، فأنا سأحبك دومًا وستبقين صديقتي المقرّبة للأبد، ليتك تعيشين معي هنا، فلن تشعري بالوحدة أبدًا وأنتِ معي.

نسيت آمال أمر مصيبتها وأصبحت تحاول أن تجعل دنيا تكف عن البكاء عليها! دنيا أيضًا مثلها تشعر بالوحدة؛ فوالدتها منخرطة في أعمالها على الدوام، إنها تعمل وتكدّ من أجل أن توفّر لها ولابنتها

الحياة الكريمة، فكلّ يومٍ تعود إلى المنزل في وقتٍ متأخرٍ وهي متعبة من العمل، كانت دنيا تُشفق على والدتها وهي تراها منهكةٌ من العمل، فأصبحت تُعدّ لها الطعام، وتقوم بكافة أعمال المنزل حتى تريحها، وفي بعض الأحيان تقوم بعمل مساج لقدميّ والدتها عندما تشعر بأنها تعبت من كثرة الوقوف والمشي لتنفيذ طلبات زبائنها.

دنيا وهي تمسح دموعها: وما العمل الآن؟

آمال: سأواجه الأمر، وأفهم كل شيء.

دنيا بخوف: كيف؟ ستسألين أبلة حنان عن الأمر!

آمال: لا طبعًا، حنان ربما ستكذب عليّ وتخدعني.

دنيا: وكيف إذًا ستفهمين الموضوع؟

آمال: سأسأل صاحب الصوت عن حقيقة حنان.

* * *

سنو القطة التي تبنّتها شروق منذ أن كان عمرها أحدَ عشر يومًا، وجدها منير في الشارع ترضع من والدتها التي اجتمع النّمل حولها لينهشوا من جثتها، فعلى ما يبدو بأنه مرّت عدّة ساعات على موتها.

كان منير متأكدًا من أن سنو ستلتحق بوالدتها قريبًا، فعلامات المرض باديةٌ عليها وجسدها نحيلٌ جدًا، ولكن شروق أشفقت عليها وأصرّت على تبنّيها، فأخذها منير وقام بعلاجها ثم علَّم ابنته طريقة الاعتناء بالقططِ حديثة الولادة، بعد خمسة أيامٍ بدأت عينا القطّة تتفتحان، كانت تميّز رائحة والد شروق الخاطف الذي فرّقها عن

والدتها، وفي نفس الوقت تعلّقت بشروق التي اعتنت بها وكأنها أمّها.

* * *

# تلك القطة تشبهني

إنها تشبهني ...

أفلتت خلود يد خالد وركضت نحو القطة، كانت الخدوش متفرقةً في أماكن مختلفة من جسدها الهزيل للغاية، تزامن ركض خلود مع نهر والدتها لها وهي تقول: إياكِ لمسها، إنَّ شكلها مقرفٌ ويبدو عليها المرض.

تجاهلتها خلود واحتضنت القطة، فأمسكت بلقيس كتفها وبدأت تهزّه بقوةٍ وهي تقول: خلود!

بدأت خلود بالصّراخ ثم البكاء بصوتٍ عالٍ؛ فالبكاء بصوتٍ عالٍ والصّراخ في الأماكن العامة كانت حيلتها للحصول على ما تريد؛ فهي تعلم بأن والدتها تُحرج جدًا عندما تتوجّه الأنظار إليهما بعد بكائها وصراخها في الأماكن العامة.

خلود: أريدها فهي تشبهني.

تعجب الجميع من ذلك، التفتت خلود وهي محتضنةٌ القطة التي كانت مصابةً فعلًا بنفس الطفرة التي ولدت بها خلود، فقد كانت عينها اليمنى ذات قزحيةٍ بنّية اللون وأما الأخرى فذات قزحيةٍ زرقاء اللون.

صمت الجميع معلنين موافقتهم على الاحتفاظ بتلك القطة؛ فلطالما

كانت خلود تتعرّض للسخرية والتنمّر من الأطفال في الروضة بسبب عينيها المختلفتين، ولكن ربما الآن مع تلك القطة ستشعر بأنها غير غريبةٍ ومختلفة، سَعدت خلود جدًا عندما وافق أهلها على رغبتها في تبنّي سنو...

* * *

حكى القط لسنو عن القصّة التي أخبرته بها شروق ولكنها لم تصدقه، كانت تظن بأنهم يكذبون عليها لسببٍ ما، كانت تشعر بأن والدتها ما زالت حية، فطلبت من القط أن يخبر شروق بأنها ترغب بالذهاب للبحث عن والدتها التي تظنّ بأن منير فرّقها عنها لسببٍ ما.

فتحت شروق باب المنزل وقالت وهي تنظر لسنو بحزنٍ: انتبهي لنفسك، وإذا غيرتِ رأيك وأردتِ العودة فأنت مرحبٌ بك.

لم تفهم سنو شيئًا مما قالته شروق ولكن القط المريب ترجم لها ذلك.

اكتشفت سنو بأن الحياة في الشارع صعبة جدًا، صعبٌ على قط قد اعتاد على أن يجد طعامه وشرابه جاهزًا على الدوام أن يواجه هذه الحياة القاسية ويقاتل من أجل الحصول على لقمةٍ يسدّ بها جوعه، عانت سنو من الجوع والظمأ، تحولت من كرة فروٍ أبيض إلى جسدٍ هزيلٍ وضعيف تفرّقت الخدوش في كل انحائه بسبب قطط الشوارع التي فشلت في أن تكون نِدًا لها في الشراسة، بالإضافة إلى الصّبية الذين كانوا يستمتعون بإيذائها ورميها بالحجارة.

أصبحت أكبر أحلامها هي العودة للعيش في بيت شروق الدافئ، حاولت العودة ولكنّها تاهت ولم تتذكر الطريق.

كانت سنو تتمسح في أقدام الناس الذين يأكلون في الأسواق الشعبية، علَّهم يشفقون عليها ويلقون إليها قطعة عظمٍ أو بقايا اللّحم، ولكن كثيرًا ما كانوا يطردونها، وأحيانًا يركلونها، كانوا يتقزّزون منها لأنه كان قد بدا عليها المرض، تعبت سنو جدًا وتيقّنت بأنها ستموت من الجوع والعطش، بدأت تمشي بلا وجهة، وهي متيقنةٌ من أن روحها ستفارق جسدها الهزيل في أيّ لحظة؛ فقد يئست من إيجادِ ما تسدّ به جوعها وتروي به عطشها، حتى وجدت امرأةً عجوز تضع وعاءً مخصصًا لسقيا الحيوانات، كانت تنثر كل يومٍ بقايا الطعام فتأكل منها الطّيور، وتلقي بعض العظم الذي أصبح مصدر غذاءٍ لسنو، بعد بضعة أشهرٍ اختفت تلك العجوز، فافتقدتها الطيور والقطط أكثر من أبنائها الذين هجروها بعدما اشتد عودهم.

اختفت العجوز واختفت معها سعادة سنو وعاد الجوع والبؤس إليها إلى أن تبنّتها خلود.

* * *

آمال: سأتعامل مع حنان وكأنني لم أعلم بالأمر وسوف أعرف كلَّ شيءٍ من صاحب الصوت.

دنيا: آمال أنا آسفة ولكنني لن أأتي إلى منزلك بعد اليوم؛ فقد أصبحت أشعر بالخوف ولم أعد أثق بأبلة حنان.

ثم ابتسمت وهي تدفع آمال: ولكنّي كنت متلهفةً لدروسِ السّباحة التي أصرّت حنان على تعليمنا إياها، ليتكِ اكتشفت أمرها بعد أن تعلّمنا هذه الدروس.

آمال: هل يمكن أن تعيريني لباسَ نومٍ بما أنني سأبيت عندك الليلة؟

دنيا: بالتأكيد، افتحي هذه الخزانة وخذي منها ما تشائين.

ما إن فتحت آمال الخزانة حتى سقطت باقات ورد وعشرات الهدايا والرسائل التي كدّستها دنيا في خزانتها وخبأتها خوفًا من والدتها.

آمال: آه يا دنيا، هذا لا يجوز، متى ستكفّين عن هذه الأفعال؟

دنيا بابتسامةٍ ساخرة: ولمَ أكف؟! إنني في نعيم، يأتيني كُلُّ ما أريد من دون أن أشقى وأتعب مثلك، تدرسين في الصّباح وتعملين في المساء لكي تحصلي على المال.

ثم ابتسمت بخبثٍ وأكملت: أما أنا فأتسلّى وأتدلّل وأحصل على المال والهدايا وكل ما أريد، من دون كد أو شقاء، ومعجبي يمطرونني بكلماتِ الغزل على جمالي، وهذا يسعدني.

آمال بازدراء: ألا تشعرين بالإهانة وأنت تطلبين المال من الناس؟!

ردّت دنيا بغنجٍ وهي تلعب بخصلة شعرها: أنا لم أطلب منهم أيَّ شيء، هم يعرضون عليّ الهدايا وأنا لا أرفضها.

آمال: كم حبيبًا عندك الآن؟

دنيا: تسعة.

آمال بدهشة: تسعة! آه يا إلهي، وكيف تجدين الوقت لتحدّثي كل هؤلاء؟! كيف استطاع قلبك الرقيق المرهف أن يتّسع لمحبة كل هؤلاء الرجال؟

قامت دنيا واتّجهت نحو النافذة وبدأت بتأمّل القمر، فاختلج في صدرها كثيرٌ من مشاعر الشجن...

دنيا: ومن قال بأنّي أحبهم أو سأحبّ أحدًا منهم؟ إنني فقط أتسلّى، قد أغلقت هذا القلب منذ زمنٍ بعيدٍ وأقسمت ألا يدخله أحدٌ، أقسم لك يا آمال أنّي لن أسمحَ بأن يدخل لهذا القلب أحدٌ قط.

تذكرت آمال كيف تلاعب خالد بها واستغلّها فقالت: أيتها اللئيمة، كيف تتلاعبين بمشاعر الناس وتخدعيهم هكذا! سيأتي من يتلاعب بمشاعرك ويخدعك مثلما فعلتِ لغيرك، يبدو أن الخداع والكذب صفة وراثية فيك أنت وخالد، الخداع والكذب يجري في دمائكم.

دنيا: اخرسي يا آمال، لا أسمح لك بالتكلّم عن ابن خالتي بالسوء.

* * *

# العازفة العابثة

دنيا فتاة لها كاريزما قوية وجمالٌ ملفت يُذهل كل من حولها، وهي مهووسةٌ بالحفاظ عليه، ذكيةٌ جدًا مثل خالد، تستطيع الحصول على كلِّ ما تريده، ربما لو بذلت القليل من الجهد في الدراسة لكانت أكثر تفوقًا من آمال ولكنّها مع الأسف غير طموحة، لطالما فضّلت اختيار الطّرق الملتوية للحصول على ما تريد، كم نصحتها آمال وشروق بأن تجتهد قليلًا في الدّراسة لكي تُقبل في الجامعة وتدرس التخصّص الذي تحبّه، ولكنّها كانت تبتسم وتقول بثقةٍ بأنها ستدخل أي تخصّص ترغب به؛ فلديها الواسطات ولديها علاقات مع مسؤولين كبار في الجامعة حيث أنها من المشاهير، والكثير يطمح للتقرّب منها، كانت دنيا تهوى الاستمتاع بالحاضر وعيش اللّحظة الحالية، كانت ترى بأن ما تقوم به آمال من تخطيطٍ دقيق للمستقبل ما هو إلا هاجسٌ وقلقٌ يُفسد على المرء استمتاعه بالوقت الحالي، لم تكن دنيا تحبّ التفكير بهوس مثل آمال في المستقبل، ولكن ما جعلها تصل إلى ما وصلت إليه اليوم هو اقتناصها للفرص واستغلالها لصالحها.

بعد التخرّج من الثانوية قُبلَ ثلاثتهم في التخصّص الذي حلم به، آمال إدارة أعمال، شروق طب بيطري، ودنيا عزف وغناء.

تفاجأت شروق وآمال عندما قُبلت دنيا في الجامعة، وأيضًا في التخصّص الذي كانت تحلم به؛ فعلاماتها كانت متدنيةً جدًا، كانت دفعتهم هي أول دفعة تدرس الموسيقى؛ فالتخصص قد افُتتح قريبًا في مدينتهم، وكانت دنيا من النخبة التي قُبلت في هذا التخصّص، ففرحتا لأنهما ستريان أخيرًا صديقتهما من الطالبات المتفوّقات؛ فدنيا ذات

صوتٍ شجيٍ حزين، يُلامس القلوب ويحرّك مشاعر كلّ من يسمعه، أحبّ صوتها آلاف الناس، بل الملايين، فمشاهداتها في اليوتيوب قد وصلت لعشرات الملايين، ولها كثيرٌ من المعجبين بجمالها وصوتها الشجيّ وأنوثتها الساحرة، كانت دنيا موهوبة حقًا، فقد أبدعت في العزف على كافة الآلات الموسيقية... تابعها الكثيرون في جميع مواقع التواصل الاجتماعي، وأجريت معها المقابلات في التلفاز، وأصبح الكثير يتمنّون أن يحظوا بفرصةٍ لالتقاط صورةٍ معها.

فرحت آمال وشروق حيث أن صديقتهما ستصبح من المتفوّقات؛ فقد حقّقت نجاحًا في هذا المجال من قبل أن تدرسه أكاديميًا، ولكن خابت آمالهم عندما رأوا استهتارها وإهمالها، فلم ترغب في الحصول على الدرجات بالمذاكرة بل بالغش! كانت تقضي الساعات الطوال وهي تُعد قصاصات الورق (البراشيم) لتغشّ منها ، في حين أنها لو قضت هذا الوقت في المذاكرة لتمكّنت من الحصول على الدرجات بجهدها وتعبها، ولكن دنيا تعشق السير في الطُرق الملتوية، ولم تتخلَ عن عادتها في طباعة شهادة تفوّق مزوّرة كما تفعل كل عامٍ لتريها لوالدتها، عندما قُبلت في تخصّص الموسيقى والغناء طلبت من والدتها أن تعدّ لها احتفالًا كبيرًا لأنّها من النخبة التي قُبلت في هذا التخصّص بسبب تفوّقها، لم تتمالك والدتها نفسها من الفرح فأعدت على الفور لابنتها احتفالًا كبيرًا، تلقّت دنيا فيه كثيرًا من الهدايا والتّهاني والمباركات، وقد تنوّعت مشاعر الحضور بين فخر وإعجاب وحسد، والدة دنيا كانت أكثرهم فخرًا، وخالتها بلقيس أكثرهم إعجابًا بها؛ فابنة أختها الحبيبة فتاة سنعة وبارّة بوالدتها، كل يومٍ تعود أختها من العمل

فتجد ابنتها قد أعدّت لها الطّعام ونظّفت البيت وبخرته، كانت تتفنّن في إعدادِ الطّعام لوالدتها، وتحرص على ترتيب ونظافة المنزل لتتمكّن والدتها من أخذِ قسطٍ من الراحة بعد يومٍ حافلٍ بالعمل خارج المنزل، وقد اقترب انقراض هذا النوع من الفتيات في هذا الزمان، إنها الفتاة التي تقطر من الأنوثة والحياء، على عكسِ فتيات جيلها الجريئات بشكلٍ وقح، دنيا الفتاة المتفوّقة الموهوبة المشهورة والأنيقة أيضًا، لا ترتدي إلا الملابس المحتشمة الأنيقة، آه يا دنيا كم أنت فتاة مثالية!

كانت دنيا فتاة متطلّبة لا تلبس إلا من ماركات معيّنة قد انتقتها، وكان هذا يضايق أحلام؛ فهي ترى بأن الماركات كلام فارغ، أما خالتها بلقيس فقد ازدادت إعجابًا بها؛ فستستطيع هكذا التباهي بها أكثر عند صديقاتها، كم تمنّت أن تكون دنيا كُنتها التي ترافقها في مناسباتها الاجتماعية لتتباهى بها، كم حلمت بأن تكون دنيا زوجة لابنها خالد، كانت أحلام أيضًا تتمنّى ذلك؛ فخالد في نظرها رجلٌ بكلّ ما تحمله الكلمة من معنى؛ فهو رجلٌ شهمٌ وله وقفات كثيرة معها هي وابنتها المدلّلة والوحيدة، وهو الرجل الذي تستطيع أن تأمن على ابنتها معه.

* * *

استيقظت آمال، فشهقت عندما نظرت لساعتها، إنها العاشرة والربع، شعرت بالضّيق لأن المحاضرة قد فاتتها؛ فهي تكره التغيّب عن المحاضرات، على عكس دنيا التي لم تضع من الأساس منبهًا للاستيقاظ؛ لأنّها كانت تنوي التغيّب من محاضراتها اليوم دون سبب.

خرجت آمال لغرفةِ المعيشة بعد الانتهاء من الإفطار وبدأت

بالتحضير للدّورة التي ستُلقيها يوم الأحد، ستتحدّث عن طرقِ التسويق الناجحة، وستتحدث عن تجاربها وخبراتها، وستنصح الناس بأن يسيروا على خطاها الناجحة، لم تكن آمال دومًا سيدة الأعمال الناجحة فقد فشلت بعض مشاريعها، وقد تعرّضت خلال مسيرتها للنّصب والاحتيال، ولكن هذا جعلها أكثر خبرةً وحرصًا وذكاءً في التّعامل مع الناس، انغمست آمال في العمل ولم تشعر بالوقت حتى أتتها دنيا بعد استيقاظها.

دنيا وهي تتثاءب: آمال، شروق ستأتي بعد نصف ساعة.

آمال: لمَ لا نتقابل في مطعم.

دنيا: ما هو المطعم الذي تقترحين علينا أن نذهب إليه؟

آمال: ما دامت شروق معنا فخياراتنا محدودة؛ فالمطاعم المخصّصة للنباتيين تعدّ على الأصابع، هناك مطعمٌ جيد بالقرب من منزلها، لنذهب له.

دنيا: حسنًا.

* * *

دنيا: ما هذا الهراء، هل اتفقتما على الكذب عليّ؟!

كيف تتحدّثين مع قط، وآمال أيضًا تدّعي بأنها سمعت صوتًا يتحدّث إليها.

شروق: أقسم لك أنني لا أكذب.

دنيا بسخرية: صِفي لنا شكل العامل الذي تعامل من القط بشكلٍ قاسٍ حتى أعاقبه.

وصفت شروق العامل وبعدما انتهت نادت آمال النادل وسألته إن كان في هذا المطعم عامل بتلك المواصفات.

النادل: نعم يوجد، ولكنه لم يأتِ اليوم، ما الأمر؟ هل هنالك مشكلة؟

آمال وهي تبتسم: لا لا، ولكن صديقتي - ثم نظرت لدنيا - معجبة به وتريد رقمه.

دنيا بانزعاج: آمال!

ضحكت آمال وشروق عليها.

شروق : لمَ لم يأتِ اليوم؟!

تداركت سؤالها العفوي فقالت: آسفة على التطفّل.

النادل: لا بأس، تلقّينا في الصّباح خبر مقتله.

نظرت الصديقات الثلاثة لبعضهنّ باندهاش، فأكمل النادل: لقد وجد مقتولًا في سريره بطريقةٍ بشعة، والمحققون يتحرّون عن الأمر.

عادت الصديقات الثلاث بعد الغداء إلى منزل دنيا، ولكن ارتسمت ملامح العبوس على وجوههنّ جميعًا فور مرورهم من غرفةِ المعيشة.

خالد! ما الذي أتى به هنا؟!

سلّمت الصّديقات على والدةِ دنيا والخالة بلقيس وابنتها خلود، وألقوا التحيّة على خالد الذي كان يجلس هو أيضًا في غرفة المعيشة.

أحلام: أهلًا بكن، تفضلنَ بالجلوس.

جلست الصّديقات مجاملةً لهم، ولكن لم ينووا الإطالة في الجلوس من أجل آمال التي امتزجت مشاعرها بين الغضب والحنين، تخيّلت نفسها تتحدّث إلى خالد وتخبره بأنها ما زالت تحبّه، ثم يخبرها بأنه هو أيضًا ما زال يحبّها وبأنه نادمٌ أشدّ النّدم على ما فعله، تخيّلت بأنه سيعتذر لها ويطيّب خاطرها الذي كسره، ولكنها لن تَصفح عنه وتعود لتثقَ به بسهولة، ثم تخيّلت بأنها ستوجّه له لكمةً على وجهه؛ لأنه تلاعب بها، فشلت آمال في إخفاء انزعاجها من وجود خالد.

أحلام: دنيا حبيبتي، خالتك ستمكث عندنا هذه الفترة هي وخالد وخلود حتى تنتهي الشركة من نقلِ الأثاث وتركيبه في منزلهم الجديد.

دنيا: ألف مبارك يا خالتي على منزلكم الجديد، جعله الله منزلًا مباركًا.

بلقيس: بارك الله فيك يا حبيبتي، والعقبى لكِ.

دنيا بتعجبٍ: العقبى لي!

بلقيس: لقد كبرتِ يا دنيا وأصبحتِ في سنّ الزواج وأنا أتوق لليوم الذي أزورك فيه في منزلك وأرى صغارك حولك.

التقطت الخالة بلقيس إحدى الشطائر التي صنعتها دنيا، وبعد أن قضمت منها قالت: كم هي لذيذة، أحسنتِ يا دنيا.

ثم وجهت نظرها إلى شروق وقالت: هل تجيدين أنتِ أيضًا إعداد الشطائر؟

شروق بخجل: لا يا خالتي؛ فالدّراسة والعمل في متجرِ أبي تشغلان كل وقتي.

الخالة بلقيس: ولكن يجب عليكِ أن تتعلّمي يا ابنتي إعداد الشطائر والطّعام حتى تعدّيها لزوجك وصغارك؛ فكما تعلمين قلب الرجل في معدته ويجب عليك أن تسعي بكلّ ما تستطيعين لكسب رضاه وحبّه بل وكسب رضا أهله أيضًا - ثم نظرت لآمال وأكملت - فهذا من واجبكن يا بنياتي الحبيبات، وأيضًا لا تنسَين أنَّ الرجل يحب المرأة المطيعة والقنوعة والصبورة...

تنهدت آمال بملل وهي تهزّ رأسها نفيًا، لم تستطع مجاملة الخالة بلقيس أكثر، كانت في كلّ مرةٍ تجلس معها تتعجّب من قدرة دنيا وشروق على تحمّلها؛ فهي تُشعرهن في كلّ مرةٍ تتحدّث فيها معهنّ بأنهنّ قد تعدين سنّ الأربعين وركبن منذ زمنٍ بعيدٍ قطار العنوسة، شعرت آمال بالصّداع فوقفت وقالت: أنا أستأذنكم، يجب أن أذهب الآن.

أحلام: لمَ تذهبين؟ ما زال الوقت مبكرًا وقد أتيتِ للتو.

آمال بابتسامةٍ مصطنعة: لديّ بعض الأشغال في المنزل ويجب عليّ إنجازها.

بلقيس: انتظري يا بنيّتي لم أنهِ بعد نصائحي، هذه النصائح أهمّ من دراستك وعملك هذا، فما الذي ستجنيه من هذه الشهادات إذا لم

تتزوجي وتحقّقي غايتك الأساسية في الحياة؟ عندما كنت في عمركن كنت...

أجبرت آمال نفسها على الابتسام مجددًا وقالت: في المرّة القادمة سأمكث أكثر وأستمع إلى نصائحك يا خالتي، أستأذنكم الآن.

توجّهت آمال لغرفة دنيا وبدأت تجمع أغراضها.

نظرت بلقيس لأحلام وقالت: فتيات هذا الزمن مدللات.

ضحك خالد فنظرت إليه بلقيس وقالت: وحتى شباب هذا الزمن، يقضون جلّ وقتهم خارج المنزل مع أصدقائهم وإذا عادوا ينعزلون في غرفهم ولا يعيرون والديهم أيّ اهتمام، وفوق ذلك يضيّعون وقتهم في التفاهات بدلًا من الصّلاة والتعبّد.

ضحكت دنيا وشروق على خالد الذي شعر بالإحراج من كلام والدته.

نظرت بلقيس إلى أختها وقالت وهي تلوّح بيدها: ينعزل طوال وقته في غرفتهِ التي تشبه مكبّ النفايات، لا أعلم كيف يُطيق المكوث في تلك القذارة، آخ يا أختي لو رأيتِ غرفته والأكواب والملابس الملقيّة على الأرض منذ أشهر...

شعر خالد بالإحراج أكثر من كلام والدته فقال محاولًا تغيير مجرى الحديث: ههه دعينا من أمر غرفتي الآن يا أمي ولنتحدّث بما هو أهم.

ثم نظر إلى أحلام وقال: لقد اخترنا منزلًا بالقرب منكم، حتى

أكون بجانبكم إذا احتجتم لي، فإذا احتجتم لأي شيء لا تتردّدوا في طلبه مني.

أحلام بسعادة: آه يا خالد، كم أنت رجل شهم!

الخالة بلقيس: أحسنت يا بني هكذا يجب على الرجل أن يسعى لخدمة أهله ولا ينساهم حتى إذا تزوّج، فبعض الرجال يتقاعسون عن خدمة والدتهم وأهلهم بعد الزواج وهذا...

قامت دنيا واستأذنت بالذهاب إلى غرفتها ثم انصرفت ومعها شروق، بعد أن أخبرا الخالة بلقيس بأنهما سيستمعان إلى كافة نصائحها في المرة القادمة.

دخلت دنيا لغرفتها لتجد آمال قد حزمت أمتعتها وهمّت بالرحيل.

دنيا: آمال لمَ سترحلين؟ أرجوكِ ابقِ أكثر؛ فأنا سأختنق إذا مكثت هنا وحدي مع خالتي وهذا الشخص البغيض، آه كم أتمنّى لو أنكِ أنتِ أو شروق من انتقلتم للعيش بقربي بدلًا منهما.

آمال: ماذا؟! هل سيعيش خالد بالقرب منكِ؟!

دنيا بانزعاج: نعم مع الأسف.

هَمت آمال بالرحيل فأمسكت دنيا بكتفها وقالت: آمال أرجوك تجاهلي وجودهم.

آمال: أنا آسفة يا دنيا ولكني لا أطيق البقاء في مكانٍ يتواجد فيه خالد، والخالة أحلام قالت بأنه سيمكث عندكم هذه الفترة.

ثم أكملت بلهجةٍ مازحة: ثم سيعيش بقربك، إنني أخشى أن

أزورك في المرّة القادمة وأجدك قد وضعته في قائمةِ عشاقك.

عندما تتحدّث العيون وتخبرك بشيءٍ آخر غير ما قاله اللّسان فمن ستصدق؟

هل ستكذب تلك اللّغة الصّادقة التي لا تعرف الكذب وتصدّق ما يقوله اللّسان؟ نظرات آمال وَشت بأنها لم تكن تمزح، بل بدت فعلًا متخوّفة من ذلك.

شروق: عيبٌ عليك يا آمال، ما هذا الكلام!

آمال وهي تنظر لدنيا: ليس ذلك مستبعدًا عليها؛ فهي لا تترك رجلًا ثريًا إلا وأوقعته في شباكها.

دنيا: أيتها الوقحة، يا قليلة التهذيب، كيف تتحدثين عني هكذا، لقد أخبرتك مرارًا بأني لا أحب خالد، بل أبغضه، فهو لا يعجبني.

آمال: ولكنه ما دام ذا منصبٍ فسيعجبك، ألستِ أنتِ من يلتصق دومًا بالأثرياء.

دنيا بسخريةٍ: هذه أنتِ يا عزيزتي، أنتِ من ركضت وراء خالد وقوبلت بالرّفض، أمّا أنا فالرجال هم من يركضون خلفي دومًا، صحيح أنني أنثى عابثة بقلوب الرجال وأستمتع بذلك، ولكن لن أفعل ذلك بخالد؛ فخالد ابن خالتي وأنا لن أتلاعب بقريبي، كم أشفق على حالك - ضحكت وأكملت - فقد رفضك الشخص الوحيد الذي قد أحببته في حياتك، ولم يُعجب أيُ رجلٍ بك قط، ولا عجب في ذلك.

صفعت آمال دنيا فسقطت على الأرض، وضعت دنيا يدها مكان

الصّفعة وبكت، لم تكن تجرؤ على أن تردّ صفعة آمال لها؛ فهي تُخيفها عندما تغضب.

نظرت شروق لآمال بغضبٍ وقالت: يا لوقاحتك! أنت تعلمين بأن دنيا لا تفكّر أبدًا بخالد، ومن المستحيل أن تحبّه؛ فهي قد أقسمت منذ زمنٍ بأنها لن تسمح لأحد بالدخول إلى قلبها، وهي لا ترضى بأن تعبث بمشاعر قريبها، كم أنت وقحة في الحديث والتفكير والتعامل...

تجاهلت آمال كلًا من شروق ودنيا وخرجت من المنزل، وتوجهت إلى منزلها، حيث ستواجه صاحب الصوت المجهول، وتكتشف حقيقة مربّيتها حنان.

* * *

# هل تغارين من الجن؟

دخلت آمال للمنزل، لتلحظ بأن الصّمت الكئيب قد عادَ إليه، عاد البيت الكبير بلا روح؛ فقد أُطفئت كل نوافير المياه، وما إن رأت حنان آمال حتى هتفت: أهلًا آمال.

ثم أكملت بحزم لمَ لم تردّي على اتصالاتي؟ قلقت عليكِ كثيرًا، أين كنتِ بالأمس؟

آمال بلا مبالاة: ذهبت إلى دنيا بعد العمل، سهرت عندها ونمت دون أن أشعر، وقد نسيت أن أعاودَ الاتصال بك عندما استيقظت ووجدت اتصالاتك.

حنان: كيف حال دنيا؟

آمال بلهجةٍ ساخرة: بخير.

ضحكت حنان ثم قالت: ما الذي حصل؟! يبدو بأن الأخوات قد تشاجرن.

آمال باستنكار: أخوات!

حنان: عندما كنتما أطفالًا كان والدك لا يسمح لك بالمبيت عندها، كنتِ تتذمرين وتبكين، ثم تقولين لي بأنك تتمنّين لو أنها كانت أختك حتى تكونوا دومًا معًا.

آمال بسخرية: هه! صحيح، كثيرًا ما كنا نقول ذلك.

توجهت آمال إلى المطبخ وهي تقول: أنا جائعة، ما الغداء اليوم؟

لاحظت آمال أثناء سيرها أن القنينات الزجاجية في المنزل خالية من الماء، وأثناء تناولها للطّعام لاحظت بأن حنان قد استبدلت الأكواب الزجاجية بأكوابٍ بلاستيكية سوداء اللون، هَمّت آمال بالذهاب بعد أن انتهت من تناول الطعام.

حنان: إلى أين يا عزيزتي؟ ألن تخبريني لم تشاجرتِ مع دنيا؟

آمال: لست بمزاجٍ يسمح لي بالحديث الآن.

دخلت آمال لغرفة المذاكرة وأغلقت الباب ثم أغمضت عينيها وتنهدت بعمقٍ ثم قالت: من أنتَ يا صاحب الصّوت المجهول؟ من أنت وماذا تريد؟ ما قصّتك؟

لم تجد مجيبًا على تساؤلاتها، فأعادت السؤال أكثر من مرةٍ ولكن بلا فائدة، مرّ أحد عشر يومًا وهي على هذا الحال، لاحظت الضّيق على المربية حنان خلال هذه الفترة، ولاحظت بأنها لم تَعد تجهّز لها حوض الاستحمام المملوء بالماء الدافئ كما في السابق!

آمال: لم أجد مجيبًا عن تساؤلاتي، ولكن الماء وحنان مرتبطان دومًا، أعتقد بأنني قد أمسكت بطرفِ الخيط، كل التغيرات التي

لحظتها من بعد سماعي للصوت متعلّقة بالماء، خرجت آمال وتوجّهت للطابق الثاني حيث تجلس حنان.

آمال: ماما حنان، سأدعو شروق يوم الجمعة؛ فنحن متلهفات لدروس السباحة التي وعدتنا بها.

حنان بحماس: شروق، مرحبًا وأهلًا بها، ولكنّني مع الأسف يا ابنتي لن أستطيع تعليمكم السّباحة؛ فأنا متعبة، وأيضًا مشغولة.

آمال بتعجب: مشغولةٌ؟! بماذا؟

حنان: سأعود للعمل في مقهى الجامعة؛ فقد وجدت عملًا هناك.

آمال: ولكنك قبل عامين كنت تستهدفين فتيات المرحلة الثانوية، لم الآن انتقلت لفتيات المرحلة الجامعية؟!

صمتت حنان قليلًا وكأنها تفكّر بإجابةٍ ثم قالت: لأنني أحببتك أنتِ وصديقاتك، وأحببت التّعامل مع الفتيات الآتي من نفس أعماركن.

آمال: ولمَ الآن قررتِ العودة للعمل؟

حنان: لأنني أشعر بالملل والوحدة؛ فأنتِ دائمة الانشغال والمكوث خارج المنزل، فبعد أن تعودي من الجامعة تذهبي للعمل، وقد مللت من الجلوس في المنزل بمفردي.

آمال: ولكنّني أعمل منذ أن كنت في الثانوية.

حنان بانزعاج: لم تلقين عليّ الأسئلة هكذا وكأنني في تحقيق؟! ما الذي ترمين إليه؟

آمال: لا شيء.

ذهبت آمال إلى الحمام وفتحت الماء لكي تتوضأ وقالت وهي تنظر للماء: الماء ومحاولة الاحتكاك بفتيات من نفس عمري! هذا ما لاحظته من بعد سماعي ذلك الصّوت، سأتوصّل للإجابة وسأعرف كلّ شيء، سرحت آمال عندما عادت بها الذاكرة إلى ذلك الحوار الذي دار بين صاحب الصّوت وحنان.

حنان: «سوف تعاقب! ألم نتّفق بألا تتحدّث معها أبدًا ».

صاحب الصّوت المجهول: «أقسم لك أنني قلتها دون أن أشعر، لقد خفت عليها، كاد الجيتار أن يسقط عليها ولم ...»

خاف علي! ولمَ يخاف عليّ؟!

ازدحم رأسها بكثيرٍ من الذكريات التي تنفي ما قاله ذلك الصوت.

«كم أشفق على حالك، فقد رفضك الشخص الوحيد الذي قد أحببته في حياتك، ولم يعجب أيُ رجلٍ بك قط، ولا عجب في ذلك».

ثم آخر حوار لها مع خالد...

آمال بحزن: لمَ كذبت عليّ وخدعتني؟ ما الذي فعلته حتى تفعلَ بي هذا؟

ضحك خالد ثم قال: «كيف صدّقتني عندما أخبرتك بأنني أحبك؟ من الغبي الذي سيحبّ فتاةً مثلك؟ إنكِ مثل الصبيان بلا أنوثة! لم أشعر يومًا وأنا معك إنني أحادث فتاة، أشعر أنني مع أحد أصدقائي،

إنك خاليةٌ من الأنوثة والجاذبية، فاشلةٌ في الحبّ، كيف أتزوّج من فتاةٍ تحاول دومًا أن تكون ندًا لي، تحاول دومًا منافستي، لا أشعر بأنك بحاجةٍ لي؛ فأنت لديكِ المال والخبرة والذكاء وتعرفين كلّ شيء، لا أشعر بأيُ أهميةٍ لي وأنا معك، وأنا أحبّ المرأة التي تشعرني بحاجتها لي، فتاةٌ أدلّلها وأعتني بها وأحميها و...».

ثم تذكرت أيضًا ما قاله لها: «أنت فاشلةٌ في الحب، صدّقيني ستموتين وحيدة، من الغبيّ الذي سيحبّ امرأةً مثلك، نصيحتي لك أن تحاولي أن تغيّري شخصيتك الصبيانية.

حاولي تغيير قَصة شعرك.

حاولي تغيير طريقة كلامك.

حاولي تغيير طريقة تفكيرك.

حاولي تغيير ذوقك في الملابس.

حتى تجدي من يستطيع أن يحبّك ولا تموتي وحيدة».

تردّد صدى كلماته في ذهنها وهو يقول لها:

«لن يحبّك أي أحدٍ وستموتين وحيدة».

غطّت آمال أذنيها وبكت، ثم قالت: لا أريد الحبّ ولست بحاجةٍ له، لن أغيّر من نفسي وسأكون كما أنا؛ فأنا مقتنعةٌ بكلّ ما أقوم به، إنّني أحب نفسي كما هي...

ثم ضحكت وهي ترفع رأسها وتنظر إلى المرآة...

آمال: أنا راضية بأن أموت وحيدة، سأكون الفتاة التي لن يحبّها أيّ أحد، لن يحبّني أيّ أحد.

....: بلى، أنا أحبك.

شهقت آمال ووضعت يدها على فمها ثم قالت بعد لحظات: صاحب الصّوت المجهول!

....: نعم

كان قلبها يرتجف من الخوف ولكنها غطّت خوفها بنبرتها الواثقة وظهرها الذي استقام وهي تقول: ما قصّتك؟ وما علاقتك بمربيتي حنان؟ ومنذ متى وأنت تراقبني؟ وما الذي تخطّطون له؟ ولمَ لم تردّ عليّ عندما كنت أسألك؟

....: لم أكن أستطيع

آمال: ولمَ؟

....: أنا أتواجد حيث يتواجد الماء، وفي آخرِ فترةٍ كنتِ بعيدةً عن المياه.

علمت آمال بأن استنتاجها كان صحيحًا، الماء، كل شيء مرتبطٌ بالماء، قالت حنان بأنها ستعاقبه وبعدها أُطفئت كلّ النوافير، ولم تعد تملأ قوارير المياه، وأيضًا كفّت عن ملء حوض الاستحمام وأخيرًا دروس السّباحة.

آمال: منذ متى وأنتَ تراقبني؟

....: منذ فترةٍ طويلةٍ جدًا، منذ سنوات.

آمال: ولمَ تراقبني منذ سنوات؟ ما الذي تريده مني؟

....: أن تحبيني.

آمال باستنكار: ماذا؟! أحبك أنت؟! ههه لا طبعًا، مستحيل.

....: ولمَ؟

ضحكت آمال ثم قالت: معجبٌ من عالم الجن!!

....: ومن قال لكِ بأني جني؟

آمال: حسنًا أيها الأنسي، أخبرني ما الذي تخطّط له أنت وحنان؟

....: تظنين أن العالم فقط إنس وجن؟ هذان العالمان فقط! هنالك عوالم كثيرة، كثيرة جدًا لا يعرفها البشر، ولكن عالم الجن هو فقط ما عرفتموه وتعاملتم معه.

آمال: ومن أنتم؟

....: نسمّى أهوية.

آمال: أهوية!

....: نعم، اسمنا مشتقٌ من الهواء؛ لأنّه أصلنا.

آمال: أصلكم!

....: نعم، أصلنا هو عنصرُ الهواء، مثلما أصلك أنتِ من التراب، وأصل الجان من النار.

آمال: وما الفرق بينكم وبين الجن؟

....: عالمنا مختلفٌ جدًا عن عالم الجن وعالمكم أيضًا، لنا بعض الخواصّ التي يتمتّع بها الجان، ولكنها لم نرتقِ لقدراتهم، أنتم البشر لديكم قدرات محدودة على عكس الجن الذين يتمتّعون بقدراتٍ ومميّزاتٍ كثيرة، نحن الأهوية في المنتصف، بينكم وبين الجن، فلدينا قدرات ولكنها لم ترتقِ لقدراتهم.

آمال: هل تحسد الجن على قدراته؟

....: بالطبع، لأنني لا أستطيع رؤيتك إلا من خلال الماء على عكسِ الجن الذين يستطيعون رؤيتك دون الحاجة لوجود الماء مثلنا، وهم يستطيعون التشكّل بهيئةِ الحيوانات والبشر، يستطيعون التلبّس بكم والتحكّم بكم، والتّعامل المباشر معكم، أما نحن فنراكم فقط ونراقبكم من خلال الماء، ولا نستطيع الدخول لعالمكم والاندماج معكم كما تفعل الجن.

آمال: ...

....: آمال... هل تعلمين بأن كثيرًا من البشر حولكم ليسوا بشر، بل جنّ متشكلٌ بهيئةِ بشر، وقد رأيتك تتعاملين مع العديد منهم، الخدم الذي تحضرهم حنان، والطاهي الذي يعدّ الطعام لكم هم من الجن.

شهقت آمال من الصّدمة ثم قالت: ولِمَ تحضرهم حنان إلى البيت؟! ولِمَ سمحتْ لك بمراقبتي؟

....: قد أطلتِ الحديث في الحمام، والجن ينصتون لنا الآن ويضحكون علينا، لمَ لا نكمل الحديث في غرفتك؟

ذهبت آمال إلى المطبخ وأخذت كأسًا زجاجيًا أزرق اللون توزّعت فيه زخرفات صغيرة باللون الأبيض، ثم ملأته بالماء ودخلت إلى غرفة نومها ثم قالت: أنا منصتةٌ لك يا صاحب الصّوت المجهول، صحيحٌ ما هو اسمك؟

....: اسمي أزرق، ولكن أرجوك غيري هذا الكوب؛ فأنا لا أستطيع رؤيتك بوضوح.

آمال: ولمَ؟

أزرق: أستطيع رؤيتك بوضوح من خلال الكؤوس الزجاجية الشفافة، وكم أفضّل رؤيتك من خلال المياه المعبأة في حوض الاستحمام.

فهمت آمال الآن سبب استبدال حنان الكؤوس الزجاجية الشفافة بكؤوس بلاستيكية، لقد بدأت الآن تفهم بعض تصرّفاتها.

آمال: أخبرني الآن، لمَ مربيتي حنان قامت بخداعي؟ وجعلتك تراني؟ ولمَ تحضر الخدم والطهاة من الجن؟ ولمَ أقنعتني بأنها تحبني وكذبت عليّ؟

أزرق: المربية حنان تحبّك حقًا يا آمال، وبالنسبة للخدم والطهاة فهي لا تعلم بحقيقتهم، فكما قلت لك، كثير من البشر الذين تتعاملون معهم هم في حقيقتهم جن متشكل، قرروا العيش بينكم لأسبابٍ مختلفة،

وأما بالنسبة لي فقد علمت حنان بأمري منذ زمن، ولكنها لم تستطع إبعادي عن المنزل؛ فالماء موجود في كلّ مكان، كانت تشعر بأن هناك من يراقبها، وذات يومٍ حدّثتها ففزعت منّي، ولكننا بعد فترةٍ أصبحنا أصدقاء، قالت لي بأنني في عمر ابنتها وهي تشعر بأن كلّ الفتيات هم بناتها والآن تشعر بأنني ابنها، وهذا ما جعلني أتعلق بها...

صمت قليلًا ثم قال: فأنا بلا أم، وأفتقد حنان الأم، قالت لي بأنها ستكون مثل الأم لي، ولكن بشرط ألا أتحدّث معك حتى لا تفزعي وتخبري والدك بأنها على علاقةٍ بالأهوية، فإذا علم والدك بذلك فسيطردها فورًا من المنزل، وهي متعلّقة بك بشدّة ولا تريد أن يبعدكِ أحدٌ عنها، ولكنني لم أتمالك نفسي في ذلك اليوم، خفت عليك عندما سقط الجيتار.

آمال: هل لحنان ابنة في عمري؟ أين هي ولمَ لم أراها من قبل؟

حكى أزرق لآمال قصة حنان وابنتها، فصمتت وبدأت أفكارها بالتّضارب، ففي الفترة الماضية انكسرت ثقتها بحنان بعد أن كانت تثق بها ثقةً عمياء، والآن تشعر بأنها قد أساءت الظنّ بها.

أزرق: أخبريني يا آمال، هل تغارين من الجن والأهوية لأنها تمتلك قدرات تفوق قدراتكم أنتم البشر؟

آمال: لا، في الحقيقة أنا أؤمن بالجن؛ فقد ورد ذكرهم في القرآن وهنالك سورة باسمهم، ولكن لا أحبّ التفكير بهم؛ فأنا أميل للمنطق والأشياء العلمية، لا أحبّ الأشياء غير المرئية التي ليس لها تفسير

فيزيـائي أو منطقـي؛ فأنـا أشـعر بـأنني سأضـيّع وقتـي فـي التفكيـرِ بالأوهام.

أزرق: والآن.

آمال: والآن ماذا؟

أزرق: كيف ستتعاملين معنا؟

آمال: لا أريد التعامل معكم، سأقرأ الأذكار ولـن تسـتطيعوا مسّـي بسوء.

أزرق: ولكنني مختلفٌ عن الجن، إننـي أراك دومًـا مـا دام هنالـك ماء.

آمال: وما الذي تريده مني؟

أزرق: أن تحبّيني.

آمال باستنكار: ماذا؟!!! أنا لم أحبّ ذكور الإنس حتى أحبّك أنـت، الحبّ أصلًا هراء وسخافة ومضيعة للوقت.

أزرق: ولمَ أحببت خالد ما دامت هذه قناعتك؟ بأن الحـبّ مضـيعةٌ للوقت.

آمال بدهشة: وكيف عرفت؟!

أزرق: لقد أخبرتك بأنني كنت أراقبك منذ زمن.

آمال: صحيح، خالد الوغد، قابلته فـي شـركة والـدي، لقـد أراد أن يعمل عندنا في العطلـةِ الصـيفيّة مقابـل الحصـول علـى شـهادةِ خبـرة،

كنت أضطرّ للتعامل معه في بداية الأمر فعملنا مشترك، تحدّثت معه وأعجبت بتفكيره، رأيته شاب طموح، ذكي ومبدع، لفتتني ثقته بنفسه، بعدها طلبت من والدي أن يعطينا مهام ننجزها معًا، فرحّب أبي بالفكرة؛ فقد كان هو أيضًا معجبًا بخالد، لقد أحبّ إخلاصه وتفانيه في العمل ورآه شابًا طموحًا، وبعدها قام بإعطائنا العديد من المهام التي ننجزها سويًا، فاستطعت التقرّب منه أكثر، كان يدرس نفس تخصّصي إدارة أعمال، ولكنه كان في عامه الأخير وأنا في عامي الجامعي الأول، كان مثلي من الطلبة المجتهدين والمحبّين للدّراسة والعمل معًا، تصوّرت بأننا سنكون ثنائيًا رائعًا، نشجّع بعضنا على النّجاح، ويدعم كلٌ منا الآخر، كنت أخبره عن الطّرق الصحيحة التي يجب عليه أن يتبعها حتى يصبح ناجحًا أكثر، حكيت له عن تجاربي وحذّرته من الأشياء السّيئة التي مرّت عليّ حتى لا يقعَ فيها، واستمعت أنا أيضًا لتجاربه واستفدت من خبراته، تخيّلت بأننا سنكون داعمين لبعضنا وسيدفعني نحو النجاح! وقد صارحني بأنه معجبٌ بي وبشخصيتي وتفكيري، وبأنه وجد أخيرًا من يشبهه ويفهمه، كم كان يهتمّ بي حينها ويحاول إسعادي، كان يُمطرني بكلماتِ إعجابه وتشجيعه، وكان يقول لي بأنني المرأة المثالية التي لم يصادف مثلها قط، ولكن...

ثم أكملت بغضبٍ: بعد أن انتهى من عمله وأعطاه أبي شهادة خبرة ومكافأة لتميّزه وإخلاصه في العمل، قال لي بأنه لم يحبّني قط، وبأنه يكره شخصيتي، وكل شيء بي يشعره بالاشمئزاز...!

وجهت آمال لكمةً قويةً لوسادتها وهي تقول: **لقد جرحني بعمق، وفي هذا الفصل تدنّت درجاتي في الامتحانات بسبب تفكيري بما فعله بي، خالد الوغد سوف...**

فتحت حنان الباب وقالت: آمال عزيزتي ما بك؟ مع من تتحدّثين؟

* * *

كان يتذكّر المرة الأولى التي بدأت تستلطفه فيها

شروق: ما هو اسمك أيها القط؟

نظر حَنَق إلى قلادةٍ في عنقها، كانت عبارة عن شريطة بيضاء يتربّع في وسطها حجر ياقوت، كانت تلك القلادة لا تفارقها أبدًا، وكم تمنّى أن يكون قريبًا منها وملازمًا لها مثل حجر الياقوت ذاك.

القط: اسمي ياقوت.

شروق: اسمٌ جميل، لقد أحببته، إنني أحبّ الياقوت.

كان حَنَق قد عزمَ على تخطّي ماضيه ونسيان كل ما فيه، وتغيير اسمه كانت من إحدى الأشياء التي شعر بأنها ستنسيه ماضيه الذي يكرهه.

تجوّل بنظره في غرفتها فاستقرّت عيناه على ملابسها وأحذيتها.

ياقوت في نفسه: ما سرّ هوس هذه الفتاة باللوني الأبيض والأسود؟! لمَ لا ترتدي غير هذين اللّونين؟! لمَ تضيّق على نفسها هكذا وتحرِم نفسها من ارتداءِ كل ما هو ملوّن؟!

ياقوت وهو يفتح إحدى الأدراج: حتى حقائبها باللوني بالأسود والأبيض فقط! وأساورها أيضًا! ما يثير عجبي أنها رسامة وتحبّ الرسم واستخدام جميع الألوان في لوحاتها، ولكنها تحرِّم على نفسها لبس كل ما هو ملوّن!

بالرغم من أن ياقوت كان يرى بأن شروق تضيّق على نفسها إلا أنه أحبّ تفرّدها، كان يحبّ فكرة أن لها ذوقها الخاصّ والمختلف، لم تكن تسعى لمواكبة الموضة بل كانت هي تصنع موضتها الخاصّة بها، كان لها ذوقها المميّز في الملابس، الناعم والبسيط والأنيق في الوقت ذاته، ابتسم عندما تذكر بأن حجر الياقوت الذي ترتديه هو اللون الوحيد الذي كسر هذا الهوس، تمنى حينها أن يكون مثل ذاك الحجر المميز ويضيف إلى لوحة حياتها اللون الأحمر.

تحوّل ياقوت لهيئةٍ بشريةٍ ثمّ اتّجه إلى مكتبها وصار يقلّب كراسة الرسم الخاصّة بها، كانت تهوى الرسم، ولكم أبدعت به، كانت كل رسوماتها ذات مغزى، وتهدف إلى إثارة عواطف وتعاطف الناس، رسمت ألم الفقر والحاجة، المجاعة في إفريقيا، العنف ضدّ المرأة، عمالة الأطفال، العنف الأسري، وتعذيب الحيوان...

كانت شروق تناصر قضاياها بكلّ ما استطاعت، كانت تحثّ الناس برسوماتها على الرفقِ والرحمة والتّعاطف والإحسان للغير دون انتظارِ مقابل، ولكم تمنّت أن يعمّ السّلام والحبّ في العالم وأن تنتهي كلّ الحروب، والكراهية والعنصرية.

توجّه بنظره إلى أجندتها وبدأ يتصفّحها، كانت قد كتبت خطّتها

لهذا الفصل الدراسي، وما الذي ستفعله وقت فراغها.

- زيارة دار المسنين.

- زيارة الأيتام واللّعب معهم واحتضانهم.

- زيارة مرضى السرطان في المستشفيات وإهدائهم وردًا أبيضًا.

تعجّب ياقوت وقال محدّثًا نفسه: ما هذه الطّيبة المُفرطة؟! إنها تعيش من أجل غيرها، ولكن ما الذي ستجنيهِ من هذه الأعمال؟

تذكر جده حصيف عندما أوصاه عليها، كان مريضًا حينها وطلب منه أن يحميها ويهتمّ بها؛ فطيبة شروق تصل لحدّ السذاجة أحيانًا، ومن السهل خداعها والعبث بها وبمشاعرها المرهفة، إنها تثق بالناس بسهولةٍ وتصدّق الجميع ومن السّهل جدًا أذيتها.

نذرَ حصيف حياته من أجلِ حمايةِ شروق والفتك بكلّ من يؤذيها، وعندما ألزمه مرضه أن يبقى في الفراش اختارَ ياقوت تحديدًا وأوصاه عليها ريثما يتعافى.

نظر ياقوت إلى النافذة وقال: ما الذي تفعلينه الآن يا شروق؟ إنك في بيتِ دنيا منذ يومين.

فتح ياقوت الشباك وتحوّل على هيئةِ حمامةٍ سوداء، وطار باتجاهِ بيت دنيا.

* * *

فتحت حنان الباب وقالت: آمال عزيزتي ما بك؟ مع من تتحدّثين؟ هل أنتِ بخير؟

آمال: إنني منفعلةٌ قليلًا من خالد، تعلمين عندما أنفعل أتحدّث بصوتٍ مرتفع... صحيح، لمَ لم تعودي تشغلي نوافير الماء؟ أليست مهدّئة للأعصاب؟

حنان: بلى، ولكن والدك نهاني عن ذلك، ولكن لا تقلقي لقد قرأت عن مهدئاتٍ أخرى للأعصاب، مثل الشاي الأخضر والبابونج والليمون...

كان أزرق معجبًا بآمال، التي لم تذرف حتى دمعةً واحدةً وهي تتحدّث عن أذى خالد لها رغم إدراكه بعمقِ الألم الذي سبّبه لها.

فقال محدثًا نفسه: كم هي قوية، صلبة، حازمة وطموحة، لم تكسرها الأحداث السيئة التي مرّت بها، بل على العكس زادتها قوّة وصلابة، كان هذا ما يجذبُ أزرق لآمال، كم تمنّى أن يكون قويًا مثلها؛ فآمال مثله بلا أم ووالدها مشغولٌ دومًا عنها، وليس لديها أشقاء، إن حياتهما تتشابه ولكنّها أقوى منه.

كان أزرق يحاول التحدّث مع آمال، وكانت آمال تشعر بالملل؛ فقد تشاجرت مع صديقتيها، وليس لديها نديم يسلّيها، فوجدت أزرق نديمًا لها، كانت تحادثه في أوقاتِ فراغها، حكى لها عن حياته وعالمه ووصفه لها.

كانت تستمع له بشغفٍ؛ فقد أعجبها عالمه.

كانت حياته ستكون جميلةً لولا زوجة أبيه المتجبّرة نكباء، كانت نرجسيةً ومتكبرةً وأنانية جدًا، شعارها في الحياة "أنا ومن ورائي الطوفان».

* * *

ضحكت آمال ثم قالت: نكباء! اسمها مُضحك، ولها نصيبٌ من اسمها، ولكن أمر والديها عجيب فلمَ أسموا ابنتهم بهذا الاسم؟ يبدو بأنهم تنبؤوا بسوئها، وبالنكبة التي حلّت عليهم عند مولدها.

ضحك أزرق ثم قال: في الحقيقة السلطانة أريج زوجة السلطان إعصار هي من أطلقت عليها هذا الاسم، وأمرت الجميع أن ينادوها به؛ فهي تكره نكباء وترى بأن هذا الاسم يليقُ بها، فالنكباء هي نوعٌ من الرّياح السيّئة، وهي إحدى رياح العذاب، إنها الريح التي تحبس المطر وتُهلك المال...

آمال: كنت أظنّ بأن اسمها يعني المصيبة.

ضحك أزرق ثم قال: إن هذا المعنى أيضًا يليقُ بها.

آمال: ولمَ السلطانة أريج تكرهها؟

كان أزرق يُدرك بأن إخبار آمال بالسّبب ليس في صالحه الآن، فادعى بأنه لا يعلم.

أزرق: هل تعلمين بأن والدي يأمرنا بأن نناديها في المنزل بنسمة؛ فهو يرى بأنها مظلومة وبريئة ويرى بأن الكثير يبغضونها لأنهم يغارون منها ويحسدونها لنجاحها وتميزها، فالأهوية تُطلق عليها أيضًا اسم ريح السموم والريح الحاصب.

آمال وهي تضحك: فعلًا عين المحبّ ضريرة.

أزرق: عندما أخبر والدي عما تفعله بي لا يصدّقني، فهو لا يسمح لي أن أتحدّث عنها بسوءٍ وإلا سأعاقب بشدّة، إنه يحبّها كثيرًا لدرجة جعلته معميّ عن عيوبها وسيئاتها، إنني أشعر بالوحدة والكآبة في منزلي، أقضي كلَّ يومي خارج المنزل مع أصدقائي ولا أعود إلا وقت النوم، بل في بعض الأحيان أنام عندهم.

آمال: وماذا عن أختك نَفَس؟

تنهد أزرق ثم قال: نَفَس السخيفة، إنها دائمًا ما تفرّق بيني وبينها في التعامل، تقول لي بأنها أفضل مني في كل شيء، وتقارنها بي دومًا أمام أبي، حتى صار هو الآخر يقارنها بي ويخبرني بأن تلك التافهة أفضل مني في كلّ شيء، إنها تتعمّد تدليل ابنتها أمامي وتحثّ أبي على تدليلها والقسوة عليّ، فتقول بأن الفتيات يحتجن إلى الاهتمام والدلال، أما نحن الذكور فإن الدلال يفسدنا ويجعلنا ضعيفي الشخصية واتكاليين، لقد أقنعت أبي بأني فتى سيئ مثل أمي، إنها دائمًا ما تتحدّث عن أمي بالسوء، وتصفها بأبشعِ الصفات.

آمال: كُن قويًا يا أزرق، وركّز على مستقبلك، ستكون يومًا شخصًا عظيمًا ذا شأن، أنا متأكدةٌ من ذلك، ولكن عليك أن تبدأ بالعمل على هذا حتى تغيّر واقعك وتجعل والدك فخورًا بك.

طالت الأحاديث بين أزرق وآمال، حتى أصبح حديثها معه جزءًا من يومها واعتادت عليه، لم تكن تبادله نفس مشاعر الحبّ وأخبرته بأنها ستكون مثل الأخت له لا أكثر، وعليه ألا يطمحَ لأكثر من ذلك، فهي ستكون أخته التي تدعمه حتى يتخطّى عقباته ويصل إلى ما

يطمح إليه، كانت آمال تحكي له دومًا عن خالد؛ فهي ما زالت عاتبةً عليه، كان أزرق حينها يشتعل من الغيرة، ولكن لم يكن يستطيع الجَهر بمشاعره حتى لا تغضب منه وتتركه.

* * *

صوت عزفٍ على الجيتار امتزجَ بصوتِ غناء، كان خالد يغنّي وكأنه يهدي كلمات الأغنية لابنةِ خالته دنيا، كانت دنيا تجلس في غرفتها مع شروق ولكنه كان يتعمّد الغناء بصوتٍ عالٍ حتى تسمعه.

شروق بانزعاج: دنيا أرجوكِ اطلبي من هذا البغيض أن يخفضَ صوته؛ فصوته نشازٌ بالنسبة لي.

نظرت دنيا لوجهِ شروق الذي انعكس عليه اشمئزازها وانزعاجها من خالد فضحكت عليها ثم قالت: لمَ تكرهينه هكذا؟ ما الذي فعله لك؟

شروق: إنه حقير، أرجوكِ يا دنيا احذري منه.

دنيا: لا تخافي إنني لا أفكر فيه مطلقًا، أخبرتك بأنني لن أتلاعب بابن خالتي، ولكن ما سبب كرهك له؟

شروق بعفوية: لأنه حقير ومخادع مثلك.

وضعت شروق يدها على فمها فورًا ثم نظرت إلى دنيا وقالت: آسفة يا دنيا، أنا آسفة، لم أكن أقصد أن أقولها بهذه الطريقة، ولكنني أقصد بأنه يعشق التّلاعب بقلوب النساء، ذات مرة سمعته يقول لإحدى النساء اللاتي عشقنه بأنه لم يكن يحبّها، كان يضحك وهو

يقول: "كيف صدّقتي أيتها الحمقاء بأنني أحببتك؟ كيف أحبّ أنا فتاة ذات بشرةٍ سوداء مقرفة ومقزّزة مثلك!" لقد كان يستهزئ ببشرتها بشكلٍ جارح، ويخبرها بأنها لن تجدَ من يحبّها، فمن سيحبّ فتاةً ذات بشرةٍ سوداء، إلا ذو بشرة سوداء مثلها لأنه لن يقبلَ به أحدٌ غيرها، كم هو لئيمٌ ووقح! وأيضًا سمعته بالأمس يتحدّث مع صديقه ويضحك وهو يخبره بأنه استهزأ بفتاةٍ وتنمّر عليها لأنها ذات ملامح آسيوية، لقد كانت معجبةً به، ولكنه استهزأ بشكلها بطريقةٍ جارحةٍ ونصحها بأن تذهب إلى طبيب تجميل لتغيّر شكلها حتى تجد من يحبّها ولا تموت وحيدة، دنيا ابن خالتك هذا مريض، حقًا مريض؛ قد لاحظت بأنه يقول لمن أحبّوه بأنه يبادلهنّ نفس الشعور، ثم يهتمّ بهنّ بشكلٍ مفرطٍ حتى يتعلقنَ به، إنه يتعمّد أن يصلَ لأعمقِ نقطةٍ في قلوبهنّ، وبعد أن يتأكد من ذلك يخبرهنّ بأنه لم يحبهنّ منذ البداية وبأنهن لا يستحقون الحبّ ولن يجدنَ أبدًا من يحبّهن، كم هو لئيم! بل مريض.

دنيا: ...

شروق: إنك أيضًا مع الأسف مثله تتلاعبين بالرجال وتكذبين عليهم ولكن لا تجرحيهم كما يفعل.

دنيا: ...

شروق: ولكنكِ اخترتِ ألا تتلاعبي به لأنه قريبك، ولكنه لن يفكّر بك هكذا، بل سيحاول أن يتلاعب بك دون أن يهتمّ ويفكر بأنك قريبته، احذري منه يا دنيا أرجوكِ احذري، وأيضًا يا دنيا أريد أن أحدّثك في موضوعٍ آخر، آمال، متى تنويان الصلح أنتما الاثنتان؟

بدأت دنيا بشرح موقفها وكيف أن آمال أسأت الظنّ بها وأخطأت في حقّها، طالت الحوارات والتبريرات وشروق تحاول توضيح موقف آمال وما كانت تشعر به في ذلك الوقت، حتى هدأت دنيا وتفهّمت موقف آمال بل وأشفقت عليها، وفي المقابل كانت قد أقنعت آمال بأنها أخطأت بحقّ دنيا بعد أن شرحت لها الأمر من زاويتها، وأخيرًا هما الآن مستعدتان للصّلح، ولكن كلٌّ منهما ينتظر من الآخر أن يبادر، فقرّرت شروق أن تجمعهما غدًا لتصلحَ بينهما، فقد مرّ شهران منذ أن تشاجرتا.

شعرت دنيا بالسّعادة لأنها ستقابل آمال في الغد؛ فقد كانت مشتاقةً لها بالرغم مما حصل، وقفت واتّجهت نحو النافذة لتلقي نظرةً على قمرها قبل أن تنام، ولكن ما إن فتحت النافذة حتى صرخت وركضت نحو شروق.

شروق: ما الأمر يا دنيا؟ ما الذي أفزعك؟!

دنيا: هنالك حمامةٌ سوداء عند النافذة بعينين حمراوين، لقد أفزعتني نظراتها.

قامت شروق بحماسٍ وفتحت الشباك وهي تهتف: ياقوت، إنه ياقوت بالتأكيد.

فتحت الشباك فطار ياقوت نحوها واستقرّ على كتفها.

دنيا: أرجوك يا شروق أخرجيه أنا أخاف من الحمام.

ياقوت: وماذا عن القطط؟

صرخت دنيا وخرجت من الغرفة.

ضحكت شروق ثم مسحت على رأسه وقالت له: إنها تخاف من كل الحيوانات ولا تحبّها.

تشكّل ياقوت بهيئةِ بشريّ جميل.

شروق: لا لا يا ياقوت، تشكّل بهيئةِ فتاة، إذا رآك من هنا وأنت بهذه الهيئة فستحدث كارثة.

تحوّل ياقوت لهيئة فتاةٍ صارخة الجمال.

* * *

جمعت شروق كعادتها صديقتيها وصالحتهما فرجعت المياه إلى مجاريها ومرّت الأيام والشهور، ولاحظت دنيا وشروق بأن آمال قد أصبحت كثيرة الحديث عن أزرق، ودومًا تحكي لهما عنه، أما شروق فقد سمحت لياقوت بالعيش معها، بل إنها أصبحت تأخذه كل يومٍ معها إلى العيادةِ البيطرية، كان ياقوت يتشكّل بهيئة الحيوانات المريضة ويسألهم عمَّ يشكون، فيخبرونه ببعض أوجاعهم التي لا تشخص بالنّظر، صداعٌ نصفي، ضعفٌ في النظر، حرقان في المعدة، ألم بالأسنان... ثم يترجم لشروق ما قالوه، وهذا ما ساعدها على علاجهم بشكلٍ أفضل بالإضافة لقدرتها على علاج بعض أمراضهم وعقدهم النفسية؛ وقدرتها على ترويضِ العديد من الحيوانات الشرسة عن طريقِ الحوار معهم وإقناعهم بعد أن فهمت طريقة تفكيرهم ووجهة نظرهم للأمور.

كان ياقوت يتشكّل يوميًا بهيئةِ الحيوانات التي في المتجر ويتبادل معها الأحاديث أثناء ذهاب شروق إلى الجامعة، ثم يخبرها بعد عودتها عما دار بينهم، ولكم تعجبت وأحبّت أحاديثهم؛ فالأسماك الصّغيرة بشكلٍ عام لها أحاديث مضحكة جدًا، وأمّا الكلاب فكثيرة التحدّث عن حبّها لأصحابها ومن أحسن إليها، والعصافير تحبّ التّفاخر فيما بينها، وأما القطط ففيها القليل من الخبث الذي تخفيه بنظراتها البريئة وحركاتها اللّطيفة.

فُتنت شروق بعالم الحيوانات بعد أن فهمت طريقة تفكيرهم ونظرتهم للأمور، وأدمنت الجلوس في المتجر وسماع أحاديثهم التي يترجمها ياقوت، كانت شروق فتاةً منفتحة على الحياة تحبّ الاطلاع على الثّقافات المختلفة وتبادل الأحاديث مع الأنماط المختلفة عنها في الشخصية والتفكير، كانت تحبّ سماعَ وجهاتِ النّظر المتضادّة ومحاولة تفهم كل طرفٍ في الحوار، كانت تؤمن بأن ذلك الاطلاع سيوسع من آفاقها في التفكير وطريقة نظرها للأمور حولها، ولكن بعد عدّة أشهر حدث ما أطفأ هذا الحبّ والشغف في قلبها وحوّلها إلى إنسانةٍ منطويةٍ ومنعزلةٍ عن المجتمع.

أمّا دنيا فقد بقيت على ما هي عليه في علاقاتها المتعدّدة والكثيرة مع الشباب، وفي إحدى الأيام أخبرتها والدتها بأن خالدًا تقدّم لخطبتها، فرفضته على الفور ولكنَّ والدتها أخبرتها بأنه أفضل رجلٍ قد تقدّم إليها حتى الآن؛ فهو شهمٌ ونبيلٌ ودائمُ الإحسانِ لهما، وله أفضال كثيرة عليهما وهو الرجلُ الذي تستطيع أن تأتمنهُ عليها، بدأت أحلام

بسردِ قائمةٍ من الصّفات الحَسنة التي تراها في خالد.

دنيا: لا أريده يا أمي.

أحلام: أعطيني سببًا مقنعًا يا ابنتي.

دنيا: أريدُ إكمال دراستي ثم أريد أن أؤمن ليّ وظيفة، ثم بعد ذلك سأفكّر بالزواج، لا أريد الزّواج الآن.

أحلام: ولكن على الأقلّ يا ابنتي كوني خطيبته حتى تتخرّجي وتتوظفي، أخاف أن نُفرّط به فتأخذه فتاةٌ غيرك، وأنا لا أرى أن هناك زوجًا أنسب لك منه.

دنيا: أمي، ألم تقولي لي باستمرار بأن الدراسة والوظيفة أهمّ شيءٍ في الحياة؟ هل تريدين أن أتعلّق به وأترك دراستي كما فعلتي أنتِ من أجل والدي الذي هجرك؟

عبست أحلام وقالت: لا طبعًا، الدّراسة والوظيفة أهمّ من الزواج.

دنيا: إذًا لا تكلّميني عن الزّواج من فضلك، وعن خالد بالذات.

* * *

خاب أمل الخالة بلقيس وأحلام، كم تمنتاأن تكون دنيا على الأقلّ خطيبة لخالد، ولكنّهما لم يريدا إجبارها عليه، فاقترحت الخالة بلقيس على أختها بأن يوكَّل خالد بمهمة إيصال دنيا إلى الجامعة كلّ يوم، بالإضافة إلى كافة مشاويرها الأخرى، استاءت دنيا من هذا الاقتراح ولكن أحلام لم تترك لها مجالًا للنقاش، وأمّا خالد فقبل الفكرة بصدرٍ

رحب، فدنيا فتاةٌ عنيدة، وهي تحدٍ بالنسبة لـه وسيفوز بهـا مهمـا طـال الزّمن أو قَصر.

* * *

كان يقـود السّـيارة وهـو فـي أفضـلِ حالاتـه المزاجيّـة فبـدأ يغنّـي ويهدي لها كلمات تلك الأغاني.

دنيا بضجر: خالد هل يمكنك أن تصمت؟

خالد: الصمت ممل، طلبتي مني ألا أتحـدّث معـك، والآن تريـدين منّي ألا أغنّي!

دنيـا: خالـد، إننـي أشـعر بالضّـجر منـك ومـن صـوتك أرجـوك اصمت.

خالد: دنيا لم لا تعطيني فرصـة؟ أرجـوكِ، لمـاذا ترفضـيني الآن؟ ما الذي لا يعجبك بي؟

صمتت دنيا وبدأت تبحث في عقلها عن إجابةٍ مقنعة، مـن المُحـال أن تقولَ له بأنها فتاةٌ عابثة ولا تريد العبث معه لأنه قريبها...

خالد: دنيا، لنتزوّج وسأنسى أمر فارس، وسأتغاضى عن ماضـيكِ معه، هل ما زلت تحادثيه؟

دنيا: لا طبعًا، قد قطعت علاقتي معـه منـذ زمـنٍ بعيـد، واعتزلـت من بعده كلّ الرجال.

طار خالد من السّعادة بعدما نطقـت دنيـا جملتهـا الأخيـرة، وقـال: حسنًا لماذا تصدّين عني؟

عادت به الذاكرة للوراء وتذكر كلماتها الجارحة له عندما كان في الصّف الأول الثانوي، كانت مثل السكاكين التي غرستها في وسط قلبه، تلك الجروح القديمة لم تلتئم حتى الآن، بل أصابها العفن وأصبحت تؤذي الآخرين بالعفنِ الذي حلّ بها، تذكر قول دنيا له: «إنني لا أحبك، وما الذي أحبّه فيك؟ انظر إلى شكلك، سمين سمنةً مفرطة، وفاشلٌ دراسيًا وعمليًا، أنت فاشلٌ في كلّ جوانب حياتك، ولن تجد من تحبّك وتقبل بك، أخبرني عن شيءٍ واحدٍ أحبّه فيك؟ نصيحتي لك يا خالد أن تغيّر من نفسك وتصبح مثل فارس، حتى تستطيع إيجاد فتاةٍ تحبك».

فارس... فارس... فارس، إنها تقارني بفارس، وكم هو فرقٍ شاسعٍ بيننا، فارس الوسيم... الثري... المتفوق... الناجح في كافة جوانب حياته، فارس هو من فضّلته عليه، سينتقم منه، وسيكون انتقامه بأن يصبح أفضلَ منه ويتفوّق عليه حتى يفوز بحبّ دنيا، تغيّر خالد بعد سخريتها منه تغيرًا جذريًا، ولأول مرةٍ يجتهد في الدراسة، فصار من الأوائل، وعمل أيضًا بجدٍ على تطوير نفسه حتى نجح في كافة جوانب حياته، وأصبح شخصًا مثاليًا في عينِ كثيرٍ من النساء، باستثناء دنيا، شعر خالد بأنه انتصرَ بعد أن قارن نفسه بفارس ووجد بأنه قد أصبحَ أفضل منه، حينها أصبحت لديه ثقةً عاليةً بنفسه بأنه يستطيع الحصول على أيّ شيءٍ يريده، ولم يبقَ الآن شيء يريده غير دنيا، تلك الفتاة الوحيدة التي أحبّها وعشقها من كلّ قلبه، إنها معركته التي عزمَ على الانتصارِ فيها مهما طال الزمان.

خالد: دنيا أرجوكِ أخبريني ما الذي لا يعجبك بي؟

دنيا: ماذا أحبّ فيك؟ من الغبي الذي سيحبّ شخصًا مثلك؟

أخيرًا استطاعَ خالد الردّ هذه المرّة على نفس السؤال الذي وجهته لـه قبـل عـدّة سـنوات، فضـحك وقـال: ومـن لا يحبّنـي؟ كـل الفتيـات يحببنني.

دنيا: ولم تتلاعب بمشـاعرهنّ وتتعمّـد جـرحهنّ؟ لـم كسـرت قلـب صديقتي آمال؟

خالد: لم كسرتِ قلبي في الماضي؟

دنيا: خالد أرجوك لا تحـاول، إن آمـال مـا زالـت تحبّـك، صـحيح بأنها تتحدّث دومًا عنك بالسوء، ولكنني متأكدةٌ بأنهـا مـا زالـت تحبّـك، ولكنها لا تستطيع الجهر بهذا؛ فكرامتها تمنعها من ذلك.

تأفّف خالد وقال بتذمّر: آمال الكريهة، ذات التصرّفات الصبيانيّة، رجاءً لا تحدّثيني عنها وتسأليني لم لا أحبّها، مـا الـذي أحبّـه فيهـا؟ لـم ولن أحبّها أبدًا، لن تجد من يحبّها ما دامت هكذا ولـم تتغيـر، يجـب أن تتغيـر حتـى تجـد مـن يحبّهـا، انظـري إلـى قصـة شـعرها الصـبيانية، وحركاتها، إنها تجعل الرجل دومًا ندًا لها، ماذا أحبّ بفتـاةٍ بـلا أنوثـة، يجب عليها أن تتغير، يجب عليها أن تغيّر من طريقة...

بترت دنيا جملته عندما قالت بحزم: خالد! توقف عن قول هذا.

خالـد: أنـتِ عكسـها تمامًـا، أنـتِ تجسـيد للأنوثـة والحيـاء والرقّـة والجمال، أشعر معكِ بالرّجولة، إنـك المـرأة المثاليـة بالنسـبةِ لـي، بـل أنتِ المرأة المثالية في العالم كلّه...

كانت بلقيس تراقب سيارة خالد وهي مبتسمة؛ فقد وصل إلى منزل أختها أحلام قبل بضعةِ دقائق، ولكن دنيا لم تنزل بعد، يبدو بأن خطّتهما نجحت؛ فخالد ودنيا يتبادلان أطراف الحديث دون ملل، بدأت بلقيس تتخيّل دنيا في بيتها وهي تطهو الطعام وأطفالها يركضون حولها وحول ابنها الحبيب وهم ينادونه بابا، ابتسمت بلقيس ومسحت دمعتها بعدما تخيّلت ابنها وهو بين أبنائه، فبالرغم من كثرةِ تذمّرها وانتقادها له إلا أنّها كانت من الداخل فخورةً به وبإنجازاته؛ فقد كانت ترى بأن تلك الانتقادات ستكون دافعًا له ليجتهدَ أكثر، وبالرغم من عتبها الدائم عليه لشحّه في الجلوس معها والاستماع إليها وجلوسه مع أصدقائه بدلًا عنها، إلا أنها كانت تتمنّى أن يكون أسعد شخصٍ في العالم، وبالرغم من كثرة تذمّرها من غرفته التي كانت تشبهها دومًا بالمزبلة إلا أنها كانت ترى بأنه أفضل وأذكى شاب في هذا العالم، نسجت بلقيس في ذهنها سلسلةً من الخيالات السعيدة ولكن قطع عليها انغماسها في خيالاتها تلك صوت باب سيارة خالد وهو يُغلق بقوةٍ بعد أن خرجت دنيا من السّيارة وهي غاضبةٌ، فخاب أملها مجددًا.

* * *

كانت آمال تستعدّ للخروج مع صديقتيها، انتهت باكرًا فهي كعادتها لا تحبّ التأخر عن المواعيد، ولكنّها اليوم قد تحمّست كثيرًا وانتهت قبل الموعد بساعةٍ ونصف، آمال وهي تنظر لساعتها: الوقت باكرٌ جدًا، وشروق ودنيا دائمًا تتأخران عن الميعاد، سأنتظر طويلًا إذا ذهبت من الآن.

ملأت آمال كأس الماء وبدأت بالتحدّث مع أزرق، ريثما يمرّ الوقت، كانت تحكي له عن خالد، وهذا ما جعل قلبه يحترق من الغيرة.

أزرق: آمال، هل عندك صورة لخالد؟

آمال: لمَ؟

أزرق: أريد أن أراه، أريد أن أرى من حدّثتني كثيرًا عنه.

فتحت آمال هاتفها المحمول ثم أرت أزرق صورة خالد.

أزرق: سأذهب الآن.

آمال: إلى أين؟

أزرق: لديّ بعض الأعمال التي عليّ إنجازها.

بعد بضع دقائق رأت آمال رسالةً من دنيا في مجموعة الواتساب.

دنيا: بنات، لا أستطيع القدوم، فخالد في المشفى.

ردّت عليها شروق: ألف سلام عليه، ممَ يشكو؟

دنيا: لا أعلم، لقد كان يمارس هوايته بالرّماية وبعد أن انتهى شرب بعض الماء ثم اختنق فجأةً وهو يشربه، وبدأ يتنفّس بصعوبة.

وقفت آمال فور قراءتها للرسالة... إنه أزرق بالتأكيد هو من فعل ذلك... ما الذي ينوي فعله ذلك الأحمق؟

أيريد قتل خالد؟ هل سيموت خالد؟

شعرت آمال بالخوف الممتزج بالغضبِ فأمسكت بكوبِ الماء وبدأت تنادي على أزرق.

* * *

خرج خالد من المشفى وفي الليل انتابته رغبةٌ شديدةٌ بالسّباحة، كان يشتهي السّباحة بشدّة، ارتدى سروال السّباحة واتّجه نحو المسبح وارتمى فيه، ولكن...

شعر بأن الماء يجرّه للأسفل، كانت هنالك جاذبية قوية تجذبه للأسفل، أصبح يصارع المياه، ودام الصراع بينه وبين الماء لبضعِ دقائق، كان يصرخ في كل مرةٍ يستطيع إخراج رأسه من الماء، سمعَ والده صراخه فركض إليه وأنقذه من الغرق، استلقى خالد على الأرض وقال وهو منهك: أبي، لقد كدتُ أن أموت، كدتُ أن أموت اليوم مرتين.

خرجت بلقيس وعندما ما رأت ابنها الحبيب بتلك الحال احتضنته على الفور وبدأت بقراءةِ الأذكار وهي تمسح على شعره.

أمّا خلود فأحضرت له كأسَ ماء، ولكن ما إن شربه حتى أمسك حلقه وبدأ يسعل.

خالد: لمَ أحضرت لي ماءً مغليًا؟!

خلود: الماء بارد!

نظر الجميع للماء فوجوده بدأ بالتبخر من شدّة الحرارة.

* * *

آمال: أزرق أيها السخيف، ماذا فعلت لخالد؟

أزرق: ماذا فعلت؟

آمال: إنني أعلم بأنك من يفعل به ذلك.

أزرق: ماذا تقصدين؟ ما الذي حصل؟ أنا لا أفهم شيئًا.

آمال وهي تضرب على الطاولة: لا تراوغ يا أزرق، إذا لم تكفْ عن إيذائه فلن أكلّمك بعد اليوم.

أزرق: لمَ تدافعين عنه؟ ألم يؤذيكِ ويتلاعب بك؟ ألا يستحقّ العقاب والموت؟

آمال: أزرق كفّ عن هذا، إذا مات خالد أو أصابه أي أذى فلن أسامحك أبدًا.

* * *

شروق: إنني أكره الناس، أكره حكمهم على كلّ ما يختلف عنهم بالخطأ، إننا باختلافنا هذا نكمّل بعضنا، اختلافنا هذا هو ما سيجعلنا نعمّر هذه الأرض.

ياقوت: بل الاختلاف هو سببُ الحروب، والعداوات، وقتال الناس لبعضهم بعضًا.

شروق: التخلّف وليس الاختلاف يا ياقوت، هنالك فرق، فإذا أردنا مثلًا عمل مشروع ناجح فسنحتاج لشخصٍ يقوم بعمل دراسةِ جدوى ويدرس المشروع بشكلٍ منطقيّ، وسنحتاج لشخصٍ ذو خيالٍ واسعٍ وتفكيرٍ غير تقليدي يعطينا أفكارًا إبداعية لتطويرِ المشروع وجعله مميزًا عن منافسيه، و شخصٍ يتنبّه لأدقّ التفاصيل التي تخفى على بعضنا، و آخر يشرف على المشروع بشكلٍ عام، سنحتاج لشخصٍ يهتمّ بإخراج هذا المشروع بأفضل شكلٍ وصورةٍ وشخصٍ يركّز ويهتمّ بالجودة، سنحتاج إلى مزيجٍ من التنوّع والاختلاف حتى نستطيع بناء المشروع بشكلٍ ناجح، ولكن ما يحصل في الواقع هو أن الأشخاص الذين يعيرون كلّ الاهتمام لجودةِ الأشياء مثلًا يسخرون وينتقدون أولئك الذين يركّزون على تنسيقِ الشكل وإخراجه بأفضلِ صورة، وينعتونهم بالتّفاهة والسّطحية والعكس صحيح، مشكلتنا بأننا ننتقد ونقلّل من الأشخاص الذين لا تستهوينا اهتماماتهم وطريقة تفكيرهم، مشكلتنا بأننا ننتقد كلّ ما يخالف أهواءنا، مشكلتنا بأننا نحارب كلّ ما هو جديد، مشكلتنا بأننا نؤمن بحقيقة بأن كلّ شخص خلق ببصمة إصبع متفرّدة، بل وبصمة عين، DNA مختلف، ولكننا نكره فكرة البصمة المختلفة في التفكير، لقد كنت في الماضي أخبر كلّ شخصٍ يشعرُ بالغربة بسبب نظرته المختلفة للأمور حوله بأن يحافظ على هذا الاختلاف ويعتبره تميزًا، ولكنني بعد أن اتّبعت شغفي في استماعي لحديث الحيوانات وترويض بعضها عن طريق الحوار، وبعد أن أدركت العديد من الحقائق التي يجهلها مَن حولي أصبح أولئك الذين كنت أدعمهم وأتقبّل فكرهم المختلف يخبرونني بأنني

أصبحت غريبةَ الأطوار، ويطلبون منّي أن أعود كما كنت في السابق، أصبح من حولي يرون بأن تلك الحقائق ما هي إلّا أوهام وتخيّلات أو ضربٍ من الجنون، أصبحت مخيّرةً بين اتّباع شغفي أو أن أصبحَ نسخةً مكررةً منهم حتى يتفضّلون عليّ بتقبّلهم لي، وأنا قد اخترت الابتعاد عنهم والتمسّك بما أنا مقتنعة به.

تذكرت شروق والديها وصديقتيها، أولئك فقط من تقبّلوا تغيّرها وآمنوا بها، فبالرغم من عدم فهم أهداب لطُرق تشخيص أمراض الحيوانات وعلاجها التي كانت تتحدّث عنها ابنتها إلا أنها كانت تقول لها باستمرار: «أنتِ موهوبة يا ابنتي، وموهبتك هبة من الله لك، وبها ستهبين لهذا العالم شيئًا مميزًا».

وأمّا منير فقد كان يخبرها باستمرار بأنّها ستصبح شيئًا عظيمًا في المستقبل.

وأما صديقتيها فقد تقبلوا نظرتها الغريبة للأمور رغم عدم اقتناعهم بأفكارها، دنيا وآمال أولئك الذين كانوا يحترمون قراراتها فلا يذهبون مثلًا إلا إلى المطاعم المخصّصة للنباتين عندما تكون معهما، بالرغم من قلّتها وتكرار ذهابهم لنفس المطاعم عدّة مرات، دنيا وآمال هما من أحبّوها كما هي من غيرِ شروط، وهما من كانتا تدافعان عنها عندما يتحدّث الناس عنها بالسّوء أثناء غيابها، ولذلك قرّرت أن تتشبّث بهما ولا تفرّط بهما مهما حصل، فليس الصّديق من تخاف أن تفصحَ له عن قراراتك وقناعاتك لكي لا يتركك، بل هو الذي يحترم قناعاتك حتى لو لم تتوافق معه، وهو الذي يمسك بيدك ويشدّ قبضته

عليها عندما يتخلّى عنك كل من حولك.

ياقوت: الأمر ليس كما تظنين يا شروق، إنك قد أصبحت منفصلةً عن واقعك ومحيطك بسبب هوسك بالحيوانات، واستمراري بالحديث عنها سيؤدي إلى اتّساع الفجوة بينك وبين الناس حولك، أخبريني بماذا ستفيدك تلك الحيوانات بعدما يتجنّبك الجميع؟

شروق بحزن: يمكنك الرحيل يا ياقوت إذا مللت أنت أيضًا مني.

ياقوت: لا، لا، الأمر ليس كما تظنّين.

شروق: إذًا أكمل حديثك عنهم، أخبرتك بأني لا أهتمّ.

تنهّد ياقوت ثم قال: حسنًا، عالم الحيوانات يضمّ عدّة لغات، فللطيور لغةٌ مشتركةٌ بينها، وللزواحف لغةٌ خاصّة، والسنّوريات أيضًا لغةٌ خاصة تتخاطب بها، اللّغة واحدة ولكن اللّهجات تختلف، فلهجة القطط تختلف عن لهجة الوشق وتختلف عن لهجةِ النمور والأسود والفهود والنمر الأسود، لكلٍّ منهم لهجة خاصّة به ولكن اللّغة واحدة، ولكن الحيوانات بشكلٍ عامٍ تترفّع عن الحديث مع من هُم أصغر منها حجمًا، فمثلًا النّمور تترفع عن التحدّث إلى الوشق، والوشق يترفّع عن التحدّث إلى القطط؛ فهم يرونَ بأن حديثهم مع من هُم أقلّ منهم حجمًا سيُخفض من شأنهم، فالطاووس كذلك يترفّع عن التحدّث مع العصافير والدّجاج وكلّ مَن هُم أصغر منه.

شروق: يا للعجب، العنصرية موجودة حتى بين الحيوانات!

ضحك ياقوت وقال: نعم، ماذا تظنّين؟ إن عالم الحيوانات عميقٌ

وواسعٌ جدًا.

شروق: لقد كنت مؤمنةً بذلك من قبل أن تدخل لحياتي ولكنني لم أكن أعلم أنّهم بهذا العمق.

ياقوت: هنالك كثيرٌ من الجنّ من يتشكّلون بهيئة الأسماك حتى يستمعوا فقط إلى أحاديثهم، فإذا شعرنا بالملل أو الضغط نذهب ونستمع لأحاديثهم؛ فهي مضحكةٌ جدًا.

شروق: الأسماك مثل الأفلام الكوميدية بالنّسبة لكم.

ياقوت: نعم، وحتى الذباب أيضًا له أحاديث مضحكة ولكن في الغالب سخيفة، أحيانًا إذا أرادَ جنيّ الانتقام من جنيٍ آخر فإنه يتشكّل على هيئةِ ضبع، ويسأل الضّبع عن الطريقة المثلى للانتقام فالضباع لها أفكارٌ شيطانيّة تنافسنا نحن الجنّ والشياطين في الخبثِ والشرّ، وإذا أردنا الحكمة نذهب للسلاحف المعمّرة.

شروق: أحبّ الاستماع إلى فلسفات وحِكم السلاحف التي في متجر أبي.

ياقوت: هنالك بعض اللّهجات أصبحت صعبةَ الفَهم بسبب الانعزال والبعد الجغرافيّ فلهجة البطاريق مثلًا أصبحت صعبةَ الفهم على بقيةِ الطيور بسبب انعزالهم عنهم لعدةِ قرون، وأيضًا إذا جمعتِ دبًا قطبيًا بدبٍ بريّ فلن يستطيعوا فهم بعض المصطلحات من بعضهم فاللّهجات كما تعلمين تتطوّر وتتغيّر مع مرور الزمان، ولكن الحيوانات بشكلٍ عامٍ لها طريقة أخرى في التّخاطب تفضّل التواصل

بها أكثر.

شروق: وما هي؟

ياقوت: التّخاطر، قدرة التّخاطر متطوّرة جدًا عند الحيوانات بشكلٍ عام، ألم تري من قبل حيوانين هادئين وفجأةً يقومان بفعل حركاتٍ عدوانيّة لبعضهما؟

شروق وهي تتذكر: بلى.

ياقوت: الحيوانات عادةً تفضّل التواصل مع بعضها بتلك الطريقة لسهولتها بالنسبةِ لهم، ولقدرتهم على التّواصل من خلالها مع من تفصلهم عنهم المسافات.

شروق: وهل يمكن للبشر التواصل مع الحيوانات ومعرفة ما يدور في ذهنها عن طريق التخاطر؟

ياقوت: هنالك فئة نادرة جدًا من الناس استطاعت تمرين عضلة التخاطر حتى وصلت لهذه المرحلة، ولكن على الرغم من ذلك فقدرات الحيوانات على التخاطر فاقتهم بمراحل.

وضعت شروق يدها على خدّها وقالت: احكي لي أكثر عن عالم الحيوان، أحب حديثك عنهم.

ياقوت: هل تعلمين بأننا نحن الجان إذا تشكّلنا بهيئة حيوان يمكننا الزواج منه، والحيوان الذي يولد يسمى (حيواجان)، ولكن جميعهم يكونون حيوانات ولا يتمتّعون بأيّ من قدرات الجان، ولكن أب أو أم (الحيواجان) يتشكّلون كل فترةٍ بنفس نوع طفلهم لكي يستطيعوا

التحدّث معه والاطمئنان على أحواله، أحد أصدقائي لديه أربع أطفال من حيوانات مختلفة، وكل مدةٍ يتشكّل للاطمئنان عليهم، ولكنّهم جميعًا عاتبين على والدهم.

شروق: لمَ؟

ياقوت: لأن الحيوانات تتعامل مع (الحيواجان) بعنصرية، فالزواج من الجنّ يعتبر خطيئةً وهو محرمٌ عند جميع الحيوانات والجان أيضًا، فالذين يتزوّجون من الجان يُنبذون هم وأطفالهم، ألا ترين بعض الحيوانات تنفصل عن قطيعها وتعيش وحيدةً هي وأطفالها؟ ولكنها مع الأسف عند انفصالها عن القطيع تكون فريسةً سهلةً للحيوانات المفترسة.

شروق: لهذا السبب أبناء صديقك لا يحبّون والدهم؛ لأنهم عوقبوا بسببه على ذنب لم يقترفونه.

ياقوت: نعم، ولكنَّ صديقي الآن تاب بعد أن أكلَ ابنه الذئب أخاه.

شروق بتعجب: ذئب يأكل ذئبًا! لم أكن أعلم أن الذئاب تفترس بعضها.

ياقوت: لا، زوجة صديقي الأولى كانت ذئبة والثانية أفعى، وقد كانت الذئبة تشعر بالغيرة منها، فقالت لابنها (الحيواجان) بأن والده هجره بسبب حبّه لزوجته الحية وأبنائها، فحقدَ عليهم وقتلهم، ثم قام بافتراسهم هو وأمه.

شروق: يا إلهي ما هذا! لم أكن أعلم بأن كلّ هذا يدور حولنا.

ياقوت: عالم الحيوان عالمٌ واسعٌ جدًا ومليء بالأسرار وأنتِ لا تعرفين الآن سوى نقطة من بحر.

شروق: أخبرني يا ياقوت، هل أحببت إحدى إناث الحيوانات من قبل؟

ابتسم ياقوت بخبثٍ ثم قال: نعم، إني أحبّ العصفورة التي في منزلكم، ألا ترين كم هي جميلة.

تبدّلت ملامح شروق لملامح انزعاج وقامت وهي غاضبة، فرح ياقوت كثيرًا وقال في نفسه: لقد غارت، إنها تغار عليّ.

* * *

مرَّ يومان وخالد ينظر بيأسٍ لعشرات كؤوس الماء التي حوله دون أن يستطيع ارتشاف ولو القليل منها، كان يشعر بأنه مثل الذي مات من العطش وهو في وسط البحر، أو كالذي يركض نحو الماء الذي أمامه ولكنّه لا يصلُ إليه؛ لأنه يركض نحو سراب، عشرات أكواب المياه حوله ولكنّه لم يستطع حتى ارتشاف القليل مما فيها، كان خالد متمدّد على الأريكة بتعبٍ وهو ينظر إلى الماء حوله بيأس، هو وعائلته في صدمة، ما الذي يجري؟ ما قصّة خالد مع الماء؟

وفجأةً هتفت بلقيس: البخار، البخار قد توقّف.

أمسك خالد الكوب بيأسٍ وهو متأكدٌ بأنه سيعود مغليًا بعد أن يرتشف منه، ولكنّه تفاجأ عندما استطاعَ شرب الماء من دون أن يتأذى من حرارته.

شرب وشرب وشرب وكأنه يريد أن يخزّن الماء داخله مثل الجمل، فهو لا يدري هل سيعود الماء للغليان مجددًا أم لا.

* * *

ظهرت للوجود قبل بضعة أشهرٍ آلة موسيقيّة جديدة، ابتكرها موسيقار ألماني، ولكم تمنّت دنيا أن تتعلّم العزف عليها، فهي الفتاة الموهوبة التي تُتقن العزف على كافة الآلات الموسيقية، وهي متأكدةٌ من أنها ستستطيع العزف عليها بإتقان، ولكن كيف ستتعلّم؟ فالآلة حديثة ولم يوجد بعد معلم في السعودية يُعلّم العزف عليها، ولم تجد في اليوتيوب أو مواقع الإنترنت شيئًا تستطيع التعلّم منه. كان لهذه الآلة وقعًا خاصًا على النفس، فهي لم تحرّك مشاعر الشّجن داخل القلب كما يفعل الناي، أو تحرّك المشاعر الرومنسيّة كما يفعل البيانو، أو تحثّ الناس على الرقص كما تفعل الطّبول، لقد كان لها وقع مختلف على النّفوس، فهي تبثّ مشاعر الخوف في دواخل كلّ مَن يسمعها، كانت تخاطب ضمائر كلّ من يسمعها، لحنها الغامض والمخيف يجعل الناس تتساءل عن حقيقةِ هذه الحياة، سبب الوجود، الموت، والحياة الآخرة، أطلق عليها الناس اسم (آلة الفزع)، كانت دنيا تتأذى عندما تسمعها، لم تكن تحبّها كثيرًا ولكن تمنّت تعلّم العزف عليها، وقد عَلم خالد بذلك.

في إحدى الأيام استيقظت دنيا على صوت عزفٍ من آلةِ الفزع، كان الصوت داخل البيت! خرجت لغرفة المعيشة لتجد خالد يعزف عليها.

فحدثت نفسها: يا للعجب! كيف تعلّم العزف عليها؟! كيف استطاع فعل ذلك؟!

ثم هزّت رأسها بالنّفي وأكملت: لا عجب فهو خالد الذي يحقّق كل ما يريد.

وقفت عند باب غرفة المعيشة وسألته: كيف تعلمت العزف عليها؟

أكمل خالد العزف ولم يردّ عليها.

دنيا: هل يمكنك أن تعلّمني العزف عليها؟

خالد: بكلّ سرور.

بدأ خالد بتعليم دنيا العزف، وما إن بدأ بتعليمها حتى شعرت بمشاعر غريبة، مشاعر حنين للماضي، تبعتها مشاعر شجونٍ وألم.

خالد: إلى أين ذهبتي بفكرك؟

دنيا: هاه لا شيء.

خالد بدهشة: إنك تتعلّمين بسرعة! هل تريدين أن أتابع تعليمك في الغد؟

دنيا بتردّد: نعم.

استمرَّ خالد بتعليم دنيا العزف على آلةِ الفزع، ولكنّه لاحظ عليها الحزن، فقال في نفسه: هنالك ما يؤذيها ويضايقها، إنها كمن تصارع داخلها شيئًا ما، ولكن ما الذي يحزنها يا ترى؟ ما الذي يدور في عقل هذه الفتاة العنيدة؟

كانت ملاحظة خالد صحيحة، فقد كان في داخلها صراع حول مشاعرها، وهي تشعر بالأسى لأنها بدأت بالانهزام، العهد... إنها تشعر بأنها ستنكث العهد وتحنث بالقسم؛ فقد بدأت تميلُ إلى خالد بعد أن بدأ بتعليمها وذلك يشعرها بتأنيب الضمير...

أتقنت دنيا العزف على آلةِ الفزع، ونشرت مقطعًا لها في اليوتيوب وهي تعزفُ على الآلةِ الجديدة، انتشر المقطع انتشارًا واسعًا، والمشاهدات تعدّت المئة مليون خلال شهرين، كانت المشهورة العربية الأولى التي عزفت على آلة الفزع، والفيديو قد حصل على أعلى نسبة مشاهدات من بين الفيديوهات الأخرى وفي وقتٍ قياسي، وهي ترى بأنها تستحقّ أن يقام لها احتفالٌ كبير بهذه المناسبة.

رحّبت أحلام بالفكرة وشعرت بالفخرِ بابنتها، وقرّرت أن تقيمَ الاحتفال بعد أسبوعين، وما إن علمت أهداب بذلك حتى عرضت على أحلام أن تقيمَ الحفل في منزلها، فهو منزلٌ متّسع.

أحلام: يا للطفك! كم أنتِ لطيفة! شكرًا لك، ولكني لا أريد أن أثقل عليكم.

أهداب: ما هذا الكلام، إنّني أعدّ دنيا ابنةَ أختي وقد سعدتُ كثيرًا عندما علمت بالنّجاح الذي حقّقته، وتشجيعي ودعمي لها يسعدني كثيرًا.

أحلام: إنني محرجةٌ منك يا عزيزتي، كم أنتِ لطيفة للغاية لا

أعلم كيف أشكرك.

أوصل خالد دنيا إلى السوق، فغدًا احتفالها وهي تريد أن يكون كل ما ترتديه جديدًا، بعدما نزلت دنيا انتبه خالد إلى أنها قد نَست نظارتها الشمسية في السيارة، فقال في نفسه: كم هي غريبة! لاحظتُ أنها ترتدي نظارتها الشمسية في المنزل أحيانًا، وفي أثناء التّسوق حتى لو كانت في المساء، كم هي غريبة هذه الفتاة!

ثم تذكّر الحوار الذي دار بينهما قبل أسبوعين...

دنيا بخجل: خالد...

خالد وهو يبتسم بحنان: نعم يا جميلتي.

دنيا: هل يمكن أن تعلّمني العزف على البيانو؟

خالد بتعجب: ولكنك تتقنين العزف عليه!

شعرت دنيا بالخجل فطأطأت رأسها وصمتت.

خالد: حسنًا، حسنًا بكلّ سرور، سوف أعلّمك العزف، متى تريدين مني أن أبدأ؟

دنيا: وقتما تحبّ.

خالد: أحبّ أن نبدأ الآن.

دنيا: ألست مشغولًا؟ عملك سيبدأ بعد ساعة.

خالد: لا بأس، سأتغيّب عنه اليوم، إنني لم آخذ إجازة منذ وقتٍ طويل.

كان خالد مسرورًا لأنه سيستطيع قضاء الوقت مع دنيا والحديث معها أثناء تعليمها العزف، بدأ يتذكر نظرات دنيا له في الفترةِ الأخيرة، فقد بدت خجولةً ولم تعد تنظر لعينيه كثيرًا، ابتسم خالد بسعادة، إنه يخطو خطوات كبيرة نحو حلمه.

قالت بقلقٍ بعدما وصلت إلى المتجر: يا إلهي أين نظارتي؟ إنني لا أجدها!

شروق: ربما نسيتها في المنزل.

دنيا وهي تفتّش في حقيبتها: لا، أنا متأكدةٌ بأنني أخذتها من المنزل ووضعتها في حقيبتي، ربما سقطت في السيارة، لأسأل خالد.

دنيا: ألو.

خالد: مرحبًا دنيا.

دنيا بقلق: هل نسيتُ نظارتي في السيارة؟

خالد: لا.

دنيا: أرجوك ابحث عنها جيدًا، ربما سقطت تحت المقعد.

خالد: حسنًا...

صمت قليلًا ثم قال: لم أجدها، لمَ ترتدين نظارة شمسية أثناء تسوقك؟

دنيا: لا شأن لك.

أغلقت دنيا الخط في وجه خالد.

دنيا: شروق هل يمكن أن تساعديني في اختيار الملابس؟ قولي لي أسماء الألوان.

تنهدت شروق ثم قالت: هل نسيت بأنني مصابة بالطفرة رباعية الألوان؟ وذوقي في الملابس لا يروق للكثيرين.

تذكّرت دنيا شروق عندما كان من حولها يسخرن منها بحجة أنها ترتدي ملابس ذات ألوان غير متناسقة أبدًا، وفي أحيان أخرى يسألنها عن سبب ارتدائها لقطع من نفس اللون فتجيبهم بأنها ليست بنفس اللون بل ألوانها مختلفة ولكنهم لا يستطيعون إبصارها؛ فهي ترى ألوان لا يستطيع البشر العاديون رؤيتها؛ لأنها ولدت بطفرة الرؤية الرباعية Tetrachromacyالتي تمكّن الشخص من رؤية درجاتٍ أكثر من الألوان، ولكن بسبب كثرة سخرية الفتيات منها أصبحت لا ترتدي إلا اللّون الأبيض أو الأسود فقط، ومن بعد ذلك صارت لها طريقتها الخاصة في اللبس، وأصبح من حولها كلّما رؤوا لباسًا هادئً وبسيطًا باللوني الأسود والأبيض تحضر شروق في ذهنهم فورًا.

دنيا: حسنًا سأستعير نظارةَ أمّي.

اتّصلت دنيا على والدتها، وعندما أجابت كانت هنالك جلبة حولها تقلل من وضوح صوتها.

أحلام: أهلًا دنيا، ماذا تريدين؟

دنيا: قد أضعت نظارتي وأريد أن أستعيرَ نظارتك، فأنا لم أشتري فستاني بعد.

أحلام: لم تأخرتِ ولم تشتري فستانًا للحفل حتى هذا الوقت؟ إنني أحتاج نظارتي، فأنا في محلّ الزهور لأرى كيف سينسقونها على الطاولات غدًا.

ثم أكملت بغضب: أنتِ دائمة التأخير ولا تقومين بعمل الشيء إلا في آخرِ لحظة، تستحقين الحضور غدًا بدون فستانٍ جديد.

أغلقت أم دنيا الخط.

شروق: دنيا، أنتِ لا ترين اللّون الأزرق فقط، صحيح؟ ولا تميّزين بين الدرجات الناتجة عن خلطه بالألوان الأخرى؟

دنيا بحزن: نعم... بدون نظارتي لا أستطيع التمييز بين اللون الأصفر والأزرق، وجميع الأشياء حولي تصبح مائلةً إلى اللّون الورديّ أو الأخضر.

شروق: لمَ لا تختارين فستانًا وحليًا بعيدة عن هذين اللّونين؟

دنيا: فكرةٌ حسنة، سأختار فستانًا أسود اللّون.

* * *

ركضت آمال نحو والدها وارتمت في حضنه وقالت: أبي العزيز، لقد اشتقتُ لك كثيرًا.

عدنان: وأنا اشتقتُ لك أكثر يا حبيبتي.

آمال: لا تَغب عنّي طويلًا هكذا، فأنا أفتقدك دائمًا.

تبادل الوالد وابنته أطراف الحديث وكم كانا مسرورين إلى أن قال لها: آمال، لا تنسي شراء طلبات هذا الشهر من السوبر ماركت،

وأيضًا أنوار المدخل معطّلة، أحضري عاملًا ليصلحها وأشرفي عليه حتى تتأكدي من أنه أصلحها جيدًا.

آمال: أبي، لمَ أقوم أنا بهذه الأعمال؟ لم لا أكون أميرتك المدلّلة وتحضر لي سائقًا يقوم بشراء هذه الأغراض بدلًا عني؟ صديقتي دنيا مدلّلة كالأميرات، إنها لا تقود حتى السيارة ولا تريد تعلّم القيادة؛ فهي ترى بأنها أنثى وهذا ليس عملها، وهي لا تنوي العمل بعد التخرّج، إنها لا تفعل شيئًا في هذه الحياة فقط تغنّي وتتدلّل على من حولها.

عدنان: هذا خطأ، أنا ربيتك يا ابنتي على القوّة، وعلى الاعتمادِ على النّفس؛ يجب أن تعتمدي على نفسك وتواجهي الحياة وتتعلّمي كيفيّة التعامل مع الناس، إنني يا ابنتي أخشى عليك من الحياة؛ فنحن أصبحنا كمن لا أقارب له؛ فقد تقطعت روابط الصّلة بيني وبين أقاربي منذ زمنٍ بعيد، من قبل أن تُوجدي في هذه الحياة ولا أفكر بالصّلح معهم نهائيًا، وأخشى أن أموت وأترك خلفي فتاةً ضعيفةً تضيع من بعدي.

احتضنت آمال والدها وقالت: لا تقل ذلك يا أبي، أطال الله في عمرك وأدامك لي.

كم تمنّى عدنان أن يدلّل ابنته الوحيدة ويجعلها كالأميرة المدلّلة، كم تمنّى أن يضعها في قصرٍ ويحضر لها كل ما تتمنّى وتطلب، ولا يُسمح لها بالخروج حتى لا تتلوّث بالخبثِ الذي يحوم في الخارج، كان يتمنّى أن يحميها من كلّ أذى قد يمسّها، حتى من شوكةٍ صغيرةٍ قد تلامس جسدها، ولكن عقله أخبره بأن الحماية المفرطة ستفسدها

وستصنع منها فتاةً ضعيفةً وساذجة، وهذه الحياة لا ترحم الضّعفاء، كان عقله يخبره بأن يَفتح عينيها على حقيقةِ هذه الحياة بدلًا من أن يوهمها بأننا نعيش في عالمٍ ورديّ، وأن يعلّمها كيف تضع الحدود لكلّ مَن هُم حولها ولا تسمح لهم بتعديها بدلًا من أن يدافع عنها في كل مرةٍ تأتي إليه باكية، أن يعلّمها كيف تقتلع بيديها الشوك إذا لامس جسدها بدلًا من الجلوس والبكاء، كان عقله يخبره بأن يجعلها تسعى بنفسها وتجتهد لتحصلَ على ما تريد، لا بأس إن أخطأت وتعثّرت ما دامت ستتعلّم في الآخر، فلو أننا منعنا الطفل الذي يريد تعلّم المشي من المحاولة لنحميه من السّقوط والتألّم فسنصنع بذلك طفلًا عاجزًا عن المشي، كان يعلم بأنها لا تحبّ شدّته عليها في بعض الأحيان، وكم كان يؤلمه ذلك أكثر منها، ولكن سحقًا للمشاعر ما دامت تلك الشدّة ستصقلها وتصبّ في مصلحتها.

تنهّد عدنان بضيقٍ وكأن سفينة محمّلة بالهموم قد رَست على صدره، ثم قال: الموت حقّ يا ابنتي، وأنا أشعر بأن أجلي قد اقترب؛ فقد كبرتِ وأصبحتِ في سنّ الزواج.

آمال بحزن: أبي أرجوك لا تقل هذا، ثم ما دخل زواجي بموتك؟

عدنان وهو ينظر لابنته بحزن: ...

آمال: أبي، أرجوك احكِ لي عن أمي، كيف كان شكلها؟ وكيف كانت علاقتكما؟ وكيف توفّيت؟ هل كانت تحبّني؟ إنني لا أعلم عنها شيئًا.

عبس عدنان وأشاحَ بوجههِ للجهةِ الأخرى ثم قال: آمال عزيزتي، ألن تستعدّي للحفل؟ لا تتأخري على صديقتك.

* * *

# هل يشعر القمر بالوحدة؟

ابتدأ الاحتفال، صعدت دنيا على مكانٍ مرتفعٍ وبدأت بالعزف على آلة الفزع، فساد الصّمت، يا لهيبة آلة الفزع، الجميع صامتون مطأطئو رؤوسهم، كلٌ منهم قد سرحَ في عالمه... إلى أن انتهت من معزوفتها فصفّق لها الحضور بحرارة، لقد لامس عزفها الغامض والمخيف جدران قلوبهم وأوقظ ضمائرهم وجعل كلٌ منهم يسأل نفسه ألف سؤال، تلك الآلة جعلت الحفل ذا طابعٍ يميل للكآبة، فلم يتحمّس الحضور على الرّقص، لقد فضلوا الصّمت والسّرحان في عوالمهم الداخلية... ودنيا لم تختلف عنهم كثيرًا، فعزفها ذاك حرّك مشاعر الشّجن الراكد داخلها فخرجت إلى الشّرفة وبدأت تتأمّل القمر، ذلك الكوكب الوحيد والحزين، لطالما كانت تشعر بأنه يشبهها؛ فالكلّ يراه جميلًا مضيئًا بعيدًا فيتغنّون به وبجماله، بل إنهم قد عدوه رمزًا للجمال، متجاهلين حقيقة كونه مجرد كوكبٍ مظلمٍ وشاحب، قد اقتبسَ نوره من شمسهِ التي يحبّها وتحبّه، ولكن شاء الله أن يبقى بعيدًا عنها ولا يستطيع الاقتراب منها أبدًا، لو اقترَب الناس من هذا القمر الجميل لوجوده شاحبًا مليئًا بالندوب، وبالرغم من كثرةِ أصدقائه النجوم المتناثرين حوله إلّا أنهم لم يقتربوا منه للحدّ الذي يجعلهم يرون انطفاءه وندوبه، والحقيقة أن القمر كان يحبّ تلك المسافات التي تحفظ

له صورته المثالية في أعينِ من حوله، فما الذي سيجنيه من ذلك القرب الذي سيكشف لهم ندوبه وظلامه ويجعلهم يذكّرونه بجانبه الذي لا يحبّه؟

عادت بها الذاكرة إلى الوراء، عندما كانت في الصّف الرابع الابتدائيّ، حيث لامست أنامها البيانو لأوّل مرّة، بعدما سمعت صوت عزفٍ صادرٍ من إحدى الغرف، فهتفت بصوتها الطفوليّ البريء: صوت موسيقى جميل.

شروق: إنه عمّي وديع، إنه معلّم موسيقى، وسيمكث عندنا هذه الفترة.

بدأت دنيا بالقفزِ وهي تقول بحماس: أريد رؤية الموسيقى.

شروق: حسنًا هيا بنا.

أمسكت شروق بيد دنيا ثم طرقت الباب ودخلا للعم وديع بعدما أذن لهما بالدخول.

شروق: عمي وديع، صديقتي دنيا قالت لي بأنها تريد رؤية الموسيقى.

ابتسم وديع بحنان وقال: أهلًا بك يا ابنتي دنيا، هذا اسمه بيانو.

تحرّكت مشاعر دنيا من كلمته تلك...

«ابنتي» لقد قال لي ابنتي!

دنيا: كيف تستطيع إخراج هذه الأصوات؟

حمل وديع دنيا ووضعها في حِجره وأمسك بإصبعها الصّغير وبدأ يضغط به مفاتيح البيانو.

دنيا بسعادة: أنا أحبّ البيانو، هل يمكن أن تعلّمني كيف أخرج الأصوات مثلك.

وديع: تقصدين العزف، اسمه العزف، حسنًا بكلّ سرورٍ يا ابنتي.

التفتت دنيا إليه ونظرت له بعينيها البريئتين وقالت: لم تناديني بابنتي؟!

وديع: أنتِ في عمر ابنتي وَسن، وأنا أعتبرك ابنتي مثلها.

دنيا بحزن: أنا لا يوجد لديّ أب، هل يمكنك أن تكون أنت أبي؟

وديع: بالطبع يا عزيزتي.

هتفت دنيا بحماس: سأناديك من اليوم بـ بابا.

مسح وديع على رأسها بحنان وقال: حسنًا يا ابنتي دنيا.

لاحظ كلٌ من وديع وأهداب موهبة دنيا في العزف وسرعة تعلّمها، وقد سرت أحلام كثيرًا بعدما أخبرتها أهداب بذلك وعرضت عليها أن تأتيَ بها كل يومٍ حتى تتعلّم وتنمّي موهبتها تلك.

أحلام: أنا مسرورةٌ للغاية لاكتشافك موهبة ابنتي، في الحقيقة دنيا تستمتع كثيرًا وهي تتعلّم العزف، وقد أحبّت العم وديع كثيرًا فهي تشعر بأنه مثل والدها، فكما تعلمين إنها تفتقد والدها كثيرًا.

أهداب: ابنتك فعلًا موهوبة، إنها ذكيةٌ ولها حسٌّ إبداعيّ وداخلها

روح فنان، وإذا استمرّت على التعلّم فستصبح عازفةً ماهرة وسيكون لها مستقبلٌ كبير في هذا المجال، دعيها تأتي كل يومٍ لتتعلّم وتنمي موهبتها.

أحلام: أشكرك يا عزيزتي ولكن لا أريد أن أثقلَ عليكم، ولكن هل يمكن أن تسألي العمّ وديع إذا كان بإمكانه أن يعطي دنيا دروسًا خصوصية في العزف في منزلي، وأنا سأعطيه الأجر الذي يطلبه.

أهداب: بكلّ سرور.

أصبح الأستاذ وديع يأتي للمنزل ويعلم دنيا العزف، كان يحنّ عليها فيحضر لها الحلويات ومثلجات الفراولة، كان يدلّل دنيا التي تعلّقت به كثيرًا ووجدت فيه حنان الأب الذي كانت تفتقده، وفي إحدى الأيام قال لها: هل تعلمين أنّني أحبك مثل ابنتي وَسن؟

دنيا: نعم بابا وديع.

وديع: بل إنني أحبك أكثر منها؛ فأنتِ جميلة وذكية، هل تعلمين ماذا تفعل وَسن كل يومٍ عندما أدخل للمنزل؟

دنيا: ماذا تفعل؟

وديع: تهتف أهلًا بابا ثم تحتضنني وتقبّلني، وأنتِ مثل ابنتي؛ لذا أريدك أن تحتضنيني وتقبّليني كلما أتيت.

فتح ذراعيه وقال: تعالي إلى حضني يا ابنتي.

احتضنته دنيا فقال وهو يمسح على شعرها بحنان: هل تعلمين بأن هذا العالم مليء بالشرّ والحسد؟ الناس هنا لا يتمنّون الخير

لبعضهم، عندما يرون شيئًا جميلًا يفسدوه، وإذا علموا أنني أدلّلك سيغارون منك وسيفرّقونني عنك، سيجعلونك تعودين وحيدةً بلا أب، هل تريدين ذلك؟

خافت دنيا من فكرة أن والدها وديع من الممكن أن يبتعد عنها، فهزت رأسها بالنفي، مسح وديع على رأسها مجددًا ثم احتضنها وقال: إني أفعل ذلك لأنّني أحبك، إنّني أفعل ذلك لك ولوَسن ابنتي، ولكن سأحتضنك أكثر منها لأنني أحبّك أكثر منها، ماذا تريدين أن أحبّك أنت أكثر أم أحب وَسن؟

دنيا بغيره: أنا.

وديع: إذا فعلتِ ما أطلبه منك فسأحبّك أكثر منها، وسأفعل ذلك لأنني أحبك، ولكن لا تخبري أحدًا بذلك؛ لكيلا يبعدني الناس عنك.

# أمواج من الشعر الأصهب

استيقظت دنيا من غفوة ذكرياتها تلك ومسحت دموعًا حارّة انسابت على خدّيها.

....: كم أنتم محظوظون يا معشر العازفين، تستطيعون تفريغ ما يثقل صدوركم على شكل معزوفات.

التفتت دنيا إلى اليمين فرأت فتاةً تنظر إلى القمر، وعلى عينيها ارتسمت نظرات طيبة ممزوجة بكثيرٍ من الشجن، وقد أثار انتباهها شعرها الطويل والكثيف، كان شعرها مثل أمواج البحر في بدايات وقت الغروب، وعلى خدّيها تناثر حبّات النّمش، كانت دنيا غارقة في ذكرياتها للحدّ الذي جعلها لا تنتبه لقدومها.

الفتاة وهي ما تزال تنظر إلى القمر: تستطيعون تفريغ حزنكم وفرحكم، حماسكم والتّعبير عن عشقكم دون أن تنطقوا بأيّ كلمة، فكم مرةٍ كانت فيه الموسيقى أبلغ من ألفِ كلمة، كم مرةٍ عبّرت عن مشاعر تسكننا لم نعرف كيف نصيغها بالكلمات، كم مرةٍ ترجمتم أيها العازفون أسرارنا التي نخبئها ولا نستطيع الجهر بها!

دنيا: ...

الفتاة: نكابر أحيانًا ونكتم مشاعرنا وكأننا كتلُ جليدٍ لا تتألم أو تشعر، ثم ننفجر بالبكاء بعدما نسمع معزوفة تصفُ التّراكمات المتكدّسة داخلنا.

ابتسمت دنيا وقالت: يسعدني أن أكون قد ترجمت بعضَ مشاعركم ووصفتها من خلال عزفي.

التفتت الفتاة إلى دنيا...

دنيا: اليوم وأنا أعزف أجهشت إحدى الحاضرات بالبكاء وغادرت الحفل.

الفتاة: في بعض الأحيان تكون الموسيقى مذكرات لفتراتٍ معيّنة من حياتنا، تدمن أحيانًا سماع موسيقى أو أغنية معيّنة في فترةٍ معيّنة، ثم نعود ونستمع إليها بعد زمنٍ فتتجدّد في داخلنا تلك الذكريات والمشاعر التي كنّا نعيشها وقتما كنّا مدمنين لتلك الأغنية أو الموسيقى.

دنيا: والأجمل عندما نسمع تلك الأغنية مصادفة فتتجدّد الذكريات والمشاعر الجميلة داخلنا دون تخطيط.

الفتاة: الموسيقى والعطور والصّور كلّها أنواع مختلفة من المذكرات التي نستعيد من خلالها بعض الذكريات والمشاعر القديمة.

دنيا: أحببت تأملاتك للأشياء حولك، بالمناسبة ما هو اسمك؟

الفتاة: صهباء.

دنيا: اسم جميل، أحبّ الشّعر الأصهب.

عاودت صهباء النظر إلى القمر...

دنيا: يبدو بأنك تحبين تأمل القمر.

صهباء وهي ما تزال تنظر إليه: نعم.

دنيا: هل تشعرين بأنه يشبهك؟

صـهباء: لا، ولكـن أحـبّ شـعور الأمـان الـذي يهـديني إيّـاه، فقـد أطلقت لقلبي العنان لحبّ شيءٍ لن يرحلَ ويتركنـي، اليـوم أنظـر إليـه وأحادثه وهو بدرٌ كامل، وفي أيامٍ أخرى آتي لأحادثه فـأراه قـد أصـبح هلالًا وبدأ بالتخفّي، وفـي أيـامٍ أنظـر إلـى السّـماء فـلا أجـده لأنـه فـي مرحلة المحاق، ولكنني أنـام وأنـا مطمئنـة وكلّـي يقـينٌ بأنّـه حتـى وإن اختفى في ذلك اليوم فلن يرحل عني للأبد، فكلّها أيام وسيعود إلـيّ مـن جديد.

شعرت دنيا بأن ألمَ الفقد الذي عاشـته صـهباء قـد فاقهـا بمراحـل، وشعرت بالفضول لمعرفةِ القصّة التي انتهت بها لتجعلها تتعلّق بـالقمرِ بهذا الشكل.

دنيا: يبدو بأن فقدك لحبيبك قد آلمك كثيرًا.

التفتت صـهباء ونظـرت لـدنيا بغضـبٍ وقالـت: **ومـا الـذي جعلـك تجزمين بأنني فقدت حبيبًا؟**

توترت دنيا وقالت: لم أجزم، فقط خمّنت**!**

صهباء: الفقد ليس حكرًا على الحبيب...

ربما نفقد أوطانًا

ربما نفقد أيامًا

ربما نفقد أهلًا

وربما نفتقد نسخةً قديمةً من أنفسنا ذهبت ولن تعود.

قالـت صـهباء جملتهـا الأخيـرة وذهبـت، ولكـن صـدى جملتهـا

الأخيرة بقي يتردّد في أذن دنيا.

بعد انتهاء الحفل ذهبت دنيا وشكرت أهداب على الحفل الذي أقامته لها.

دنيا: لا أعرف حقًا كيف أشكرك يا خالتي، لقد دعمتني كثيرًا منذ البداية لأصلَ إلى ما وصلت إليه اليوم.

أهداب: أنتِ موهوبة يا ابنتي، وبموهبتك هذه ستهبين لهذا العالم شيئًا مميزًا، عديني ألّا تتخلّي عن شغفك.

ابتسمت دنيا وقالت: أعدك.

نظرت أهداب لآمال ومدّت إليها كتابًا...

أهداب: هذه هديةٌ بسيطة لك يا آمال، كتابٌ في مجال شغفك، إدارة الأعمال.

أخذت آمال الكتاب وبدأت تطّلع على الفهرس بسعادة...

آمال: يبدو مشوقًا.

أهداب: بالمناسبة، لديّ صديقات رائدات أعمال وأريد أن أعرفك عليهن؛ فستستفيدين من خبراتهن في هذا المجال و...

لمحت دنيا صهباء فقالت في نفسها: تلك الفتاة، ألقت في نفسي الفضول ثم ذهبت...

ذهبت دنيا إليها وقالت: سُررت بحديثي معك، كنت أتمنّى أن تبقي معنا أكثر، فأنا وصديقتي آمال سنبقى هنا للغد.

صهباء: شروق دعتني أيضًا للمبيتِ عندها وسأسهر هذه اللّيلة معكنّ.

* * *

كانت الصّديقات الأربع في غرفةِ شروق.

دنيا: صهباء هل يمكنني أن أجدِل لكِ شعرك؟

صهباء: نعم... لا بأس.

وزّعت شروق لصديقاتها ظروفًا بها قناع مغذٍ للبشرة لتعودَ النّضارة لوجههنّ بعد هذا اليوم الطويل.

أخذت دنيا القناع بسعادةٍ ووضعته فورًا على وجهها، أمّا آمال فعبست ثم قالت: لا أريد، لا أحبّ هذه الأشياء.

دنيا: إنها مفيدة وتغذي البشرة ففيتامين...

قاطعتها آمال: لا أحبّ هذه السّخافات.

سمعت الصّديقات صوت طرق على النافذة فقالت آمال: شروق، هنالك صقر أبيض اللّون ينظر إليكِ منذ فترة، إن نظراته مريبة.

التفتت صهباء إلى النافذة وقالت: ماذا! من الذي يراقب شروق؟!

دنيا: لا تخافي يا صهباء، إنّه جنيّ سخيف يحبّ شروق اسمه ياقوت.

شروق وهي تبتسم: عزيزتي دنيا، ياقوت أمامك وأنت تصففين له شعره.

* * *

قبل إحدى وعشرين عامًا ركب عدنان سيارته وتوجه لدار الأيتام الذي أخبرته عنه زوجته، بدأ يبحث بين الأطفال حتى وجدها، وجد آمال، فاحتضنها وضمّها إلى صدره، ثم وقّع على بعض الأوراق قبل أن يعود بها إلى منزله، ركب سيارته ولكن قبل أن يتحرّك سمع صوت امرأة تناديه وهي تركض وتقول: توقف توقف...

كانت المرأة تبكي بشدةٍ وتقول: أرجوك لا تأخذها، لا تأخذها، خذ أيّ طفلة غيرها.

غضب عدنان وصرخ فيها: **ولمَ أُرجعها؟ ما الذي تريدينه يا امرأة؟**

حنان وهي تبكي: أرجوك قد تعلّقت بها، إنّها في عمر ابنتي، لقد ولدت في نفس اليوم الذي ولدت فيه ابنتي، وأنا أشعر بأنك ستأخذ ابنتي منّي.

عدنان بحدّة: **لن أرجعها**.

ثم فكّر بأنه يحتاج إلى مربيةٍ تعتني بها؛ فزوجته قد تخلّت عنه، ولا يوجد من يعتني بآمال، ويا لمحاسن الصُّدف! قد أتت إلى عنده مربية تحبّ ابنته وستحنّ عليها وتعتني بها.

عدنان: ما رأيك بأن تأتي عندي وتكوني مربيةً لها؟ وسأعطيك الأجر الذي تطلبيه.

حنان وهي تبكي: ولكن... ولكن هكذا لن أستطيع إيجاد ابنتي،

ابنتي قد خُطفت وأنا أبحث عنها كل يوم...

تعاطف عندنا معها فقال: لا مشكلة، يمكنك البحث عنها في الأوقات التي أعود فيها إلى المنزل، سأعتني بآمال إذا عدت من العمل وأنتِ ابحثي عن ابنتك بعدما أعود.

بحثت حنان عن ابنتها في كلّ مكان، وما زالت تبحث عنها حتى اليوم، كانت تحبّ الفتيات اللاتي في نفس عمر آمال وتحاول الاحتكاك بهنّ؛ علّها تجد بينهنّ ابنتها المخطوفة حنين، بحثت في المدارس وفي دور الأيتام وفي كلّ مكانٍ قد خطر على بالها ولكن دون فائدة، كانت تبحث عن ابنتها في كلّ مكانٍ تستطيع الوصول إليه داخل وخارج البلاد، فكانت حتى إذا سافرت مع آمال ووالدها إلى الخارج تتأمّل وجوه الفتيات علّها تجدها بينهنّ، ولكن على ما يبدو أنها قد فقدتها للأبد...

* * *

في إحدى فصول الصّف السادس الابتدائي تجلس إحدى الفتيات وحيدة، وقد انطفأ منها المرح، لم تعد تحبّ اللّعب مثل الفتيات اللاتي في سنّها، اعتزلت الناس وفضّلت مرافقة الصّمت، أصبحت كثيرة السرحان بعدما تلاشت منها براءة الأطفال، كانت تتمنّى فقط لو تجد من تبوح له عما يجري معها، كانت تتمنّى أن تجدَ فقط من يستمع إليها دون أن يؤذيها بكلامه؛ فبالرغم من قربها من والدتها إلا أنها لم تكن متأكدةً من أنها ستعطيها الأمان و تفهمها دون أن توبّخها وتلقي باللوم عليها، وبالرغم من قربها من صديقتيها إلا أنها خافت من أن

تفضحها شروق وتحتقرها بعد أن تخبرها بما تفعله مع عمّها، ومن أن تسخرَ منها آمال إذا أخبرتها بأنها تحبّه، فقرّرت أن تصمت وتحافظ على صورتها المثالية في أعينِ من حولها.

كانت دنيا تنفّذ كلّ ما يطلبه منها وديع، فقد أصبح يغار عليها من باقي الرجال بل حتى من النساء، ، تفاجأت أحلام عندما أعلنت ابنتها وهي في المرحلة المتوسطة عن رغبتها في استبدال كل ملابسها القصيرة والعارية بملابس فضفاضة وساترة ، ففرحت لظنها بأن ابنتها فتاة صالحة بالفطرة، تميل إلى الاحتشام والحياء، هادئة، موهوبة، والجميع يثني عليها.

كبرت دنيا، علمت حينها بأن وديع استغلّها، ولكن بالرغم من ذلك لم تستطع تركه، كانت تكبر ويكبر معها تعلّقها به، وكانت غريمتها الأولى بلا منازع هي زوجته فاطمة، فاطمة التي تكبر والدتها بعامين...

* * *

فزعت دنيا واحتضنت شروق ويديها ترتجفان وفي هذه الأثناء اتّجهت صهباء نحو النافذة وفتحتها ثم قامت بالتحوّل إلى صقرٍ بُنيّ وبدأت تتعارك مع الصّقر الأبيض.

دنيا وهي تنظر إلى يديها بفزع: لقد كنت أصفّف شعر جنيّ.

آمال بعدم مبالاة: لا تخافي يا دنيا، إن العديد من البشر الذين تتعاملين معهم يوميًا هم جن متشكلون، قد تشكّلوا واندمجوا معنا

لأسبابٍ مختلفة.

دنيا: أنا خائفة.

ضحكت شروق وآمال على دنيا التي لم تعتد على هذه الأمور.

مرّت الأيام والأسابيع والشهور...

آمال تتحدّث كلّ يومٍ مع أزرق وتحكي له عن حياتها وطموحاتها وأزرق يشتكي لها من ظلم زوجة أبيه له وقسوتها عليه.

أمّا شروق فقد ظلّت تتبع شغفها بالرغم من استنكار من حولها لطريقةِ نظرتها للأمور.

أمّا خالد فقد فرغ من تعليم دنيا دروس العزف على البيانو ثم بدأ بتعليمها العزف على الناي والجيتار، كان يتعجّب من طلباتها، تريده أن يشتريَ لها مثلجات الفراولة وبعض الحلويات! إنها تتصرّف تصرّفات طفولية وتريده أن يعاملها كطفلةٍ مدلّلة!! لقد كان متأكدًا من أن دنيا بدأت تحبّه، ولكنّها كانت تخبره بأنها تعتبره أخًا لها لا أكثر وهذا يشعره بالإحباط، ولكنه لن يستسلم فقد شعر بأن حبّه قد طرق باب قلبها ولكنّها تكابر، ولكن ستستسلم لحبّه عاجلًا أم آجلًا، وسينتصر عليها في المعركة، شاءت ذلك أم أبت، فهو واثقٌ من أنه يستطيع الحصول على كلّ ما يريد.

دنيا: خالد، إن آمال ما زالت تحبّك، لم لا تصالحها؟ أرجوك صالحها.

خالد بضجر: دنيا، أنا لا أحبّ آمال ولم ولن أحبها يومًا، ما الذي

أحبه فيها؟ ألا ترين قصة شعرها الصبيانية وتصرفاتها...!

قاطعته دنيا وقالت بصرامة: لا تتكلّم عن آمال هكذا.

خالد: دنيا، أنتِ تحبينني، عيناكِ تفضحانك، لِم تكابرين وتخفين مشاعرك؟

دنيا: لا، أنتَ لستَ أكثر من مجرد أخٍ بالنسبة لي، ثم إنني أخبرتك بأن صديقتي تحبّك ولن أخونها، لن أستطيع خيانة آمال، كيف سأنظر لعينيها وأنا أخونها معك.

كانت دنيا صادقة في ذلك، فهي لم تكن تريد خيانة آمال، بالرغم من أنها نكثت عهدها مع وديع وأحبّت خالدًا، لقد أصبح قلبها ينبض بحبّه وهي الآن تعاني وهي تصدّ عنه؛ فعزفها على آلة الفزع جعلها تشعر بالذنب وهي تتخيّل بأنها ستخون صديقتها آمال مع حبيبها خالد.

* * *

تقابلت الصّديقات الثلاثة في إحدى المجمّعات التجارية التي اقترحتها عليهم آمال، وفي أثناء تسوّقهم دخلت آمال لإحدى متاجر الحليّ، واستلمت عقدًا جميلًا كانت قد طلبت من صاحب المتجر تفصيله لها، كان العقد مصنوعًا من الزجاج، اتّخذ الزجاج شكل القلب وقد كان مفرغًا حتى تستطيع ملأه بالماء.

شروق: كم هو جميل.

دنيا: ولأوّل مرةٍ آمال سترتدي عقدًا.

لم تكن آمال تحبّ الحليّ أو مساحيق التجميل؛ فهي تشعر بأنها سخافات ومضيعة للوقت، لقد تخلّت حتى عن شعرها الطويل الجميل واستبدلته بقصّتها الصبيانية، كان شعر آمال في الماضي كثيفًا وطويلًا ومموجًا بشكلٍ جذاب، ولكن تصفيفه والعناية به يأخذ من وقتها، وهي لا تريد أن تضيّعَ وقتها في العناية بشعرها؛ فهنالك كثيرٌ من الأعمال المهمّة أكثر من تصفيف الشعر بالنّسبة لها؛ لذا تخلّت عنه.

آمال بخجل: هذه هدية لأزرق، فعيد ميلاده قد اقترب، وهديتي له هي هذه القلادة.

شروق: وكيف ستهديها له؟ ألم تقولي بأنه لا يستطيع أن يأتي لعالمنا؟ ولا أنتِ تستطيعين الذهاب إلى عالمه؟

آمال: بلى، أنا سألبس هذا العقد، وسأملأه بالماء، وبذلك سيستطيع أزرق أن يرافقني ويكون بقربي دومًا، وكذلك سيسهل هذا العقد حديثي معه في كلّ وقتٍ أريده.

دنيا: هل تحبّين أزرق؟

آمال: نعم أحبّه، أحبّه جدًا.

دنيا: وماذا عن خالد؟

آمال: لقد نسيته، خالد ماضي وقد تخطّيته، وقد أخرجته من عقلي وقلبي منذ زمنٍ بعيد، إنَّ قلبي الآن لا يتّسع إلا لحبّ أزرق.

دنيا: ولكن كيف تحبّين مخلوقًا لم تبصريه ولا تعرفي حتى كيف شكله؟ سيفنى عمرك هكذا وأنت متعلّقة بأوهام.

بدأت آمال بترديد بعض من أشعار ومقولات بشار بن برد، ذلك الشاعر الكفيف الذي لامستها بعض أشعاره؛ً فبالرغم من عجزة عن إبصار محبوبته إلا أنه قال بعدما فُتن بصوتها الشجيّ: "الأذن تعشق قبل القلب أحيانًا" وأيضًا "الأذن كالعين تؤتي القلب ما كانا"، وصار لها مثالًا لشخص أحبّ روح حبيبه واستطاع وصف الحبّ والحياة بشعره العذب أكثر من ألف شخصٍ مبصر.

شروق: لا أصدّق! آمال قد وقعت بالحبّ، ومن هوائي! من التي كانت تُعيب الحبّ دومًا وتخبرنا بأنه غباء وكلام فارغ.

آمال: "فقلت دعوا قلبي وما اختار وارتضى فبالقلب لا بالعين يبصر ذو الحبّ".

دنيا وهي تقلّد آمال: لا تحبوا إلا من هو من نفس تخصّصكم حتى تشجعا بعضكما على الدّراسة وتدرسا معًا، وإذا أصبحتم في يومٍ ما أغبياء وقررتم الارتباط، فارتبطوا بمن يستطيع أن يفيدكم في عملكم، ومن يعطيكم من خبراته في المجال الذي تعملون فيه حتى تستطيعون تطوير أنفسكم أكثر، يجب ألا تحبوا إلا شخصًا يُضيف لكم فائدة في حياتكم.

ابتسمت آمال بخجلٍ: فعلًا من عابَ ابتلى.

دنيا: وماذا عن خالد؟ ألن تعودي له؟

آمال:

«يا ساكن القلب ما في القلب متسعٌ

لغير حبّك أغلق بعدك البابا

ماذا تظن بدارٍ أنت ساكنها

غدى لك النبض والأنفاس حجابا»

شروق ودنيا بصوتٍ واحد: أووووه!

ابتسمت آمال بخجلٍ واحمرّ وجهها...

دنيا وهي تدفع كتف آمال بمزاح: لا أصدق، هل أنت فعلًا آمال؟

شروق: آمال تقرأ الشّعر، بل وتحفظه!

* * *

انتهت دنيا من التسوّق وفي طريقها للمنزل قطعت الصّمت الذي كان سائدًا في السيارة بقولها: خالد.

خالد: نعم.

دنيا ووجها قد احمرَّ من الخجل: أنا أحبك.

طار خالد من الفرح، فالتفت إليها في الخلف وهو يقود وقال: ماذا قلتِ؟ أرجوك أعيدي ما قلتِ مرّة أخرى.

دنيا وهي تضحك بخجل: انتبه إلى الطريق أمامك.

شغل خالد بعض الأغاني التي تَصف شعور السعادة الذي انتشر داخله في تلك اللّحظة، ورفع صوت المذياع حتى أُجبر من كان يقود بجانبه إلى سماع أغانيه تلك، ولم يوصل دنيا إلى المنزل مباشرةً بل صار يجول بها في الطرقات وقلبه يرفرف من السّعادة.

# حب غريف بالقسوة

أمي الحبيبة... كيف حالك الآن؟ وكيف هي حياةُ البرزخ؟ إنني أفتقدك، أفتقد وجودك بقربي، أفتقد مشاركتك لي أفراحي، أفتقد الارتماء في حضنك وقت حزني، أنا متأكدةٌ من أنك لو كنت هنا لكنتِ دلّلتني أكثر مما تدلّل الخالة أحلام ابنتها دنيا، وأكثر مما تدلّل الخالة أهداب ابنتها شروق، إنني أفتقد الدلال، إن أبي لا يدلّلني، يريدني دومًا قويةً وصلبة، إنه يكره أن يراني أبكي وأضعف وقد نهاني عن البكاء وكأنني لا أمتلك قلبًا أو مشاعرًا، حتى أصبحت لا أُجيد التعبير وفاشلة في التّعامل مع المشاعر، إنني أتساءل دومًا عن شكلك، كيف هو؟ فأبي لم يُريني حتى صورتك، ونهاني عن الحديث عنك، يا لسوءِ حظّك يا أمّي، فقد تزوّجتِ من شخصٍ لا يعرف الوفاء، فأبي القاسي قد نسيك، أو قرر تناسيك بالأصح، وهو يريد منّي أن أكون مثله، ولا أفكّر بك، أن أفكر فقط في نفسي ومستقبلي، ولكنّي يا أمّي لن أنساك أبدًا، لن أنساكِ كما تناساكِ زوجك، فأنت دومًا حاضرة في عقلي وقلبي بالرغم من أنني لم أراكِ أبدًا ولا أعرف عنك شيئًا.

أمّي الحبيبة، إنني أتساءل عن شكلك، كيف هو؟ أنا متأكدةٌ من أنكِ أجمل نساء الأرض، عندما كنت طفلة كنت كلّما رأيت امرأةً

جميلةً أقول لنفسي بأنها تشبهك، ولكنني الآن أقول بأنك لا تشبهين أحدًا، فلم يخلق أحد بجمالك، كلّما تذكرتك أرفع راسي و أنظر للقمر، فأنت عالية مثله، قلبك أبيض ومشعّ بالنور مثله، وإذا غاب القمر وحلّت الشمس مكانه فإنني أشبّهك بها، فأنت الدفء والضّياء، أمي الحبيبة... أنا متأكدةٌ من أنكِ لو كنتِ هنا لكنتِ فخورةً بي، ولكنتِ أمطرتني بعطفكِ وحنانك الذي سينهمر عليّ كالغيث، صحيحٌ بأن أمي حنان تحبّني وتعطف عليّ، ولكنّي أعلم بأنه لا أحد يحبّ شخصًا كما تحبّ الأم ابنتها، أحبّك يا أمي، يا بعيدة الجسد وقريبة من القلب، إنني لم أنساكِ أبدًا، فأنا أدعو لك في كلّ صلاة، بأن ينيرَ الله قبركِ ويغمرك برحمته ويجعل قبرك روضةً من رياضِ الجنة، ميعادنا يا أمي هناك في الجنة - بإذن الله - ميعادنا في دار الخلود حيث لا فقدَ ولا موت يأخذ الأحبّة من أحبابهم.

أحبك يا أمي.

ابنتك الحبيبة آمال.

طوت آمال الرسالة ووضعتها في صندوقها الأبيض حيث تكدّست مئات الرسائل التي كانت آمال تكتبها كلّما افتقدت والدتها المرحومة، سرحت آمال في خيالها... في عالمها الذي صنعته وتمنّت أن يكون واقعًا، صارت تتخيّل والدتها وهي تحضر معها حفل تخرّجها وتراهم يكرمونها لأنها من الأوائل على الدّفعة، تخيّلتها وهي تقيمُ لها احتفالًا بمناسبةِ نشرها لكتابها الأول عن التّجارة، كانت على يقينٍ بأن والدتها ستكون أول الداعمين لها وأكثر النّساء فرحًا وافتخارًا بابنتها الوحيدة

والحبيبة.

تلاشى عالمها الوهميّ عندما سمعت صوت أزرق يناديها وقد بدا على صوتهِ السّرور.

أزرق: آمال آمال، باركي لي، لقد ترقيت في عملي وأصبحت الحارس الشخصي للأمير بليل وليّ العهد.

آمال بسعادة: مبارك يا أزرق، أنا فخورةٌ وسعيدة جدًا لسماعِ هذا الخبر، فأنت تستحقّ ذلك، لقد عملت بجدٍ وإخلاص خلال الفترة الماضية وأثبت نفسك.

أزرق: هذا بفضلِ الله ثم بفضلِ دعمك وتشجيعك الدّائم لي، كم أنا ممتنٌ لك يا آمال، فقد غيرتني من هوائي يتَشكى كثيرًا ويعيش دور الضحيّة إلى هوائيٍ طموح وقويّ.

آمال: أنا لم أفعل شيئًا، أنت من قرّرت أن تتغيّر وتصبح هوائيًا ناجحًا وقد فعلت ذلك، فأنت المسؤول عن حياتك، حياتك هي نتائج اختياراتك وأنت الآن قد اخترت أن تكون قويًا وناجحًا، أنا متأكدةٌ بأنك ستحقّق نجاحاتٍ وإنجازات أكبر في كافةِ جوانب حياتك يا عزيزي في المستقبل القريب، أنا مؤمنةٌ بك فأنت تستطيع ذلك بلا شكّ، وأنا متأكدةٌ بأن والدك سعيد وفخور بك الآن.

تبدّلت نبرة أزرق إلى نبرة خائبة: لقد فرح كثيرًا في البداية عندما أخبرته، ولكنه تغيّر بعدما عاد إلى المنزل، فنكباء قالت له بأنه من الأفضل أن أبتعد عن القصرِ وأبحث عن عملٍ آخر، وأوهمته بأنها

تخاف عليّ لأن السلطانة أريج ظالمة ومتجبّرة وربما ستظلمني مثلما ظلمتها وأساءت إليها، مع أنها دومًا تقول لنَفَس بأن عليها أن تستغلّ جمالها وتتقرّب من الأهوية ذي المناصب العالية لتوقعهم في حبّها ولتتزوّج منهم، وقد غضبَت منها كثيرًا عندما فشلت في ذلك.

آمال: لا تبالِ بها، إنها تحسدك ولا تتمنّى لك الخير.

أزرق: أعلم هذا، ولكنني مستاءٌ لأن والدي غير راضٍ عني، لكني لا أستطيع ترك العمل؛ فإيجاد عملٍ آخر ليس بالأمرِ السهل، وعملي هذا قد وفّر لي مأوى ومسكنًا جميل، فكما تعلمين أنني أصبحت بلا مأوى بعدما جعلت نكباء والدي يطردني من المنزل منذ أشهر.

آمال: اصبر يا أزرق، سيتغيّر كلّ شيء، أنا متأكدةٌ بأن والدك سيتغيّر في يومٍ ما ويصبح في صفّك.

أزرق بحزن: أتمنى هذا...

سكت قليلًا ثم قال بسعادة: آمال، إنني أشعر بالسّعادة رغم كلّ ما حصل، وسأكون أسعد هوائي إذا كنتِ بقربي يا عزيزتي، آمال...

هل تقبلين أن تكوني زوجةً لي؟

ابتسمت آمال واحمرّ وجهها من الخجل.

آمال: ولكن كيف سنتزوّج؟ لقد قلتَ بأنك لا تستطيع أن تأتي إلى عالمي.

أزرق: أنتِ من ستأتين، سآخذك لعالمي وستكونين زوجتي ورفيقتي وكلّ عائلتي، سأجعلك أسعد أنثى في الكون، وستعيشين معي في القصر... كم حلُمت بذلك... منذ زمنٍ وأنا أحلم بأن تكوني زوجةً لي، ولكنّني كنت أريد أن أؤمن لنفسي أولًا وظيفةً جيّدة حتى أجعلك تعيشين حياةً كريمة.

آمال: وأنا أيضًا قد حلمتُ كثيرًا بقربك.

أزرق: عندما تأتين إلى عالمنا وتصبحين هوائية سيتغير لونك، ستختارين أنت اللّون الذي تريدينه.

آمال: كيف ذلك؟ أليس الهواء بلا لون؟

أزرق: لا، الهواء له ألوان، ألوان عديدة ولكن عيونكم أنتم البشر لا تبصر ألوانه، مثلما لا تبصرون الجن، فالهواء البارد له لون ودرجات مختلفة على حسب درجة برودته، والهواء الحارّ كذلك والرطب والجاف...

آمال: ولكن كيف تستطيعون الرؤية؟ ألا يقلّل ذلك من وضوح الرؤية مثلما يفعل الضباب؟

أزرق: كلا، فالضّباب هو عبارة عن سحابٍ منخفض، أمّا الهواء فهو يشبه تشغيلك لضوءٍ بلونٍ معيّن، فالضوء الملوّن لا يَحجب الرؤية.

آمال: وما هو لونك يا أزرق؟

أزرق: أزرق!

آمال: أنا سأختار لنفسي اللّون الذهبي.

أزرق: لا تتعجّلي يا آمال، اختاري لونك حينما تبصري كلّ الألوان عندما تأتي لعالمنا.

آمال بغضب: لمَ تقول لي هذا؟! إنني فتاةٌ طبيعية ولست مصابةً بعمى الألوان!

أزرق: لقد أساتِ فهمي، إن الأعين البشرية فيها ثلاثة مخاريط تبصر من خلالها الثلاث الألوان الأساسية وهي الأحمر والأزرق والأصفر والألوان الناتجة عن خلطهم معًا، أمّا نحن الأهوية فنمتلك ثمانية مخاريط، فألواننا الأساسية هي الأفطَر والأفوَر والأحمر والأزرَن والأزرق والأبشر والأصفر والأومَر، هذه فقط الألوان الأساسية، ولك أن تتخيّلي عدد الألوان الناتجة عن خلطهم، فأسماء الألوان عندنا كثيرة جدًا جدًا.

آمال: إن صديقتي شروق تقول بأنها ترى العديد من الألوان التي لا نراها نحن؛ فهي مصابةٌ بطفرةِ الرؤية الرباعية.

أزرق: نعم، شروق تمتلك أربعة مخاريط وهي ترى اللون الأحمر والأزرق والأصفر والأفوَر، والدرجات الناتجة عن خلط الأفوَر بالألوان الأخرى، أما دنيا فمخروطها الذي يستقبل اللون الأزرق معطّل، فلا تستطيع إبصار هذا اللون، هل تعلّمين بأن هنالك بعض أنواع الطيور عندكم والأسماك والزواحف والبرمائيات والحشرات تمتلك أربعة مخاريط.

آمال بحماس: إنني أحبّ المعلومات العلميّة، سأقرأ عن هذا، ولكن كيف عملت أنت بأمر الحيوانات التي عندنا؟

أزرق: الحيوانات المضيئة أخبرتني بذلك.

آمال: الحيوانات المضيئة؟!!

أزرق: ألم تحدثك صهباء أو شروق عنها؟

آمال: لا أبدًا، ما هي تلك الحيوانات؟

أزرق: حيوانات موجودة في طبقةِ الأرض الخامسة.

آمال: وكيف تحدّثت إليهم وهم حيوانات؟ وكيف رأيتهم وأنت لا ترانا إلا من خلالِ الماء؟

أزرق: الماء موجودٌ في كلّ مكان، ولكن هذا ليس موضوع حديثنا الآن، لنتكلّم بما هو أهمّ وسأحدّثك عنهم لاحقًا، سأحدّثك الآن عن عالمنا وقوانينه بما أنك ستصبحين جزءًا منا يا عزيزتي، إذا اخترتِ لونك سترتدين حينها الحُلي التي من درجات لونك فقط، فإذا كان لونك مثلًا أزرق، سيُسمح لك بارتداء الأشياء السماوية والنيلية والكحلية وال...

آمال: ولمَ لا يسمح لي بارتداء غيرها؟

أزرق: هذه القوانين... قوانين السلطان إعصار، وأيضًا إذا أصبحتِ هوائية يجب عليك تغيير اسمك إلى اسم من أسماء الرياح أو صفاتها أو شيئًا يتعلّق بها.

آمال: ولمَ؟

أزرق: هذه أوامر جلالة السلطان.

آمال: يبدو بأن هنالك أسماء كثيرة مكرّرة عندكم.

أزرق: على العكس، هنالك أسماء كثيرة جدًا.

أمسكت آمال بهاتفها المحمول وبدأت بالبحث عن أسماء الرياح المختلفة ومعانيها.

أزرق بحماس: ما رأيك باسم المرسلات؟

آمال: نَفحَة، لقد أحببت اسم نفحة، ولكن أزرق ليس اسم من أسماء الرياح!

أزرق: نعم، فالقوانين أيضًا تنصّ على أنَّ الهوائي الذي يمتلك خاصّية مراقبة المخلوقات من خلال الماء يجب أن يكون له اسم آخر متعلّق بالماء، تناديه به المخلوقات غير الهوائية عندما تخاطبه.

آمال: وما السبب في ذلك؟

أزرق: إنها القوانين.

آمال: ولكن اسم أزرق ليس من أسماء المياه.

أزرق: لقد رفضوا قبول اسمي في البداية واقترحوا عليّ اسم (شآبيب) و(ودق) و(اليعلول)، ولكني أخبرتهم بأن أزرق هو لون البحر وهو مرتبطٌ بالماء بطريقةٍ ما، حاولت كثيرًا فوافقوا على مَضض.

آمال وهي تضحك: اليعلول! تخيّل أن أناديك حبيبي اليعلول.

ضحك أزرق وآمال كثيرًا، وأصبحت آمال كلما أرادت استفزازه تناديه باليعلول أو الشآبيب.

آمال: ما معنى اسم اليعلول؟

أزرق: كل الأسماء السابقة هي من أنواع المطر.

تأففت آمال ثم قالت: قوانينكم كثيرةٌ جدًا، وأنا أكره القيود، وأكره أن أنفّذ الأوامر دون أن أعرفَ السبب وراءها، وليس أيّ سبب، بل سببًا مقنعًا.

أزرق: إياك والتمرّد يا آمال، فالعاقبة ستكون وخيمة، فالسلطان إعصار قد أعدم كثيرًا من الشعب، بل حتى بعض أبنائه لأسبابٍ تافهة، فما بالك بالغير.

آمال: وكيف هو الأمير بليل الذي كُلفت بحراسته؟

أزرق: بليل هو وليّ العهد، إنه الابن السادس عشر من بين أبناء السلطان الستّ وثلاثين، وقد تعدّى السلطان إخوته الخمسة عشر الذين يكبرونه واختاره هو بعينه؛ فوليّ العهد ليس هو الابن الأكبر أو الأحبّ للسلطان، بل هنالك معايير عِدة قد وضعها السلطان إعصار ووجدها في بليل، في الحقيقة السلطان إعصار لم يخبر أبناءه عن تلك المعايير حتى لا يقوموا بتصنّعها، بل احتفظ بها لنفسه، وبليل هو من توفرت فيه هذه المعايير، لقد صارح السلطان أبناءه ذات يومٍ بأنه يفكر أن يختار هوائيًا من الشعب إذا لم يجد أحدًا منهم تتوفر فيه تلك

المعايير.

آمال: هذا مضحكٌ، يبدو أنه لا يدلّل أبناءه.

أزرق وهو يضحك: أبدًا.

آمال: صحيح ما هو اسمك الحقيقي؟

أزرق: عَليل.

آمال: اسم جميل.

أزرق: سأحدّث اليوم السلطان إعصار بأمرك، أريدك أن تأتِ اليوم وتقولي القسم والعهد على الولاء لنا والإخلاص لنا وقبولك لشروطنا والتزامك بقوانيننا، وإذا أذنَ لك السلطان وقبِل أن تنتقلي إلى عالمنا سيعطيكِ أحد العاملين في القصر شرابًا سيحوّلك لهوائيةٍ فور شربه.

آمال: وكيف سآتي إلى عالمك؟

أزرق: هنالك تعويذة ستقولينها ثم بعدها ستنتقلين لعالمنا.

آمال: أريد أن أعرف أولاً قوانينكم كلّها قبل أن أنتقل إلى هناك، وأيضًا أمهلني عشرة أيامٍ أفكّر فيها جيدًا بالأمر وأدرس الموضوع من كلّ الجوانب، وأريدك أن تحدّثني الآن بالتفصيل عن كلّ شيءٍ في عالمك، وبعدها سأعطيك جوابي سواء بالقبول أو الرفض لعرضِ الزواج والانتقال لعالمك.

أزرق بإحباط: ظننت أنك ستأتين فورًا لأنك تحبّيني، وتحلمين بقربي منذ زمن، ولكن اتّضح لي بأن هنالك مجال للتفكير وربما

الرفض.

آمال: آسفة يا أزرق ولكن لا مجال للمجاملة في أمورٍ مصيريةٍ كهذه، وأيضًا سأستشير مربّيتي حنان ووالدي.

أزرق بقلق: لا، ليكن الأمر سرًا بيننا؛ فأنا أشعر بأن والدك قاسٍ وغير متفهّم، سيرفض ويقول بأنه لا مستقبل من هذا الزواج، سيعارض زواجك منّي، لن يفهمنا أنا متأكد من ذلك، أرجوك لا تخبريه.

آمال: إنني أثقُ برأي أبي وبحبّه لي، وإذا رفض زواجي منك سأسأله عن السبب، ثم إن لكلٍ زاوية معينة يرى بها الأمور بنظرته الخاصّة، وأنا لن أقدم على أمرٍ كهذا دون الأخذ بمشورة أبي، فأنا كما قلت لك أثقُ برأيه.

أزرق: آمال أرجوكِ أرجوكِ لا تخبريه، سيحرمني منك، والدك لا يعترف بالعواطف أبدًا وإنما بالمنطق فقط، وسيرى زواجي منك بلا فائدةٍ وبلا مستقبلٍ وسيرفضه بالتأكيد.

* * *

أغلقت آمال الباب خلفها ثم جلست بجانب والدها وقالت بعد أن نزعت عقدها وتأكدت من خلوّ الغرفة من الماء: أبي العزيز، إنني أعلم بأنك تحبّني وتحبّ أن تراني سعيدة، إن ابنتك الصّغيرة قد كبرت وبعد أشهرٍ ستتخرج من الجامعة، وهي مقبلةٌ على حياةٍ جديدة.

ناظر لها عدنان بتأثرٍ وقال: يا لسرعةِ الأيام! ابنتي الغالية ستتخرج قريبًا.

آمال: بالأمس فاتحني أحدهم برغبتهِ بالزّواج بي.

اعتدلَ عدنان في جلستهِ وبدأ يتأمّل آمال بحزنٍ ثم قال بعد صمتٍ دامَ لثواني: قد كبرتِ حقًا يا ابنتي وانتهى دوري الآن، إنني فخورٌ بك يا ابنتي وراضٍ عنك تمام الرضا، أستطيع الآن تركك وأنا مرتاح، فأنت الآن فتاتي القوية الشجاعة الطموحة الناجحة...

آمال باستنكار: تتركني! لم تقول هذا الكلام يا أبي؟! ولم تقول بأن دورك انتهى؟! ستبقى أبي الحبيب طوال العمر وسأكون ابنتك الحبيبة دومًا ولن أقطعك مهما بعدت المسافات بيننا.

عدنان: من هو الخاطب؟ ما اسمه؟ وما وظيفته؟ وكم عمره؟ وأين يعمل؟ وكيف تعرّف عليك؟ وما هي...

ضحكت آمال ثم قالت: تمهّل يا أبي، سأخبرك بكلّ شيء، اممم أولًا اسم الخاطب أزرق.

ابتسم عدنان: أزرق! تمزحين، ما هذا الاسم الغريب!

آمال: عمره مئة وسبعة عشر سنة.

عدنان وهو يضحك: كفّي عن المزاح يا آمال.

آمال: وفي الحقيقة هو غير بشري.

عدنان بلهجةٍ مازحة: مخلوقٌ فضائيّ؟ صحيح.

آمال: لا بل هوائي.

تبدّلت نظرات عدنان إلى غضبٍ أفزعت آمال وجعلها تتسمّر في

مكانها، وقف عدنان وضرب الطاولة بقوةٍ ثم دفعها حتى سقطت وصرخ في آمال: **هوائي! هوائي يا آمال! منذ متى وأنت تعرفينهم؟**

حاولت آمال أن تبدو ثابتةً ولا تظهر خوفها من ردّة فعله التي جعلت قلبها يرتجف من الخوف، فقالت بثقةٍ مصطنعة: نعم يا أبي هوائي، وأنا أحبّه، ونحن على علاقةٍ منذ مدّة، وأنا مستغربةٌ من ردّة فعلك... هل تعرفهم؟

عدنان وهو يصرخ: **اللّعنة عليكِ وعلى والدتك، يا أسفي عليك وعلى تربيتي التي ذهبت هباءً منثورًا، كل تعبي ذهب هباءَ الريح، تربيتي وجهدي، وفي النهاية ستسلكين طريق والدتك الحقيرة.**

آمال بغضب: أبي لا تتحدّث عن والدتي بسوء، لا أسمح لك بهذا.

عدنان: **ما الذي تعرفينه عن والدتك الحقيرة حتى تدافعي عنها؟**

آمال: أنها مسكينةٌ وقليلة الحظ؛ فقد أحبّت رجلًا لا يعرف الوفاء، ولا يذكرها إلا بسوءٍ رغم العشرة التي كانت بينكما.

صفعَ عدنان آمال بقوةٍ أوقعتها أرضًا، في الحقيقة كانت متنبئةً بصفعتهِ تلك، بل توقّعت بأنّه سيضربها أكثر، ولكنّها لن تسكت حتى ولو أبرحها ضربًا.

عدنان: أيتها الوقحة قليلة التهذيب.

ابتسمت آمال بسخريةٍ ثم قالت: هل آلمتك الحقيقة؟ حقيقة أنك قاسيٍ وبلا قلب، الناس دومًا يكرهون الحقيقة، أما أنا فأكره المجاملات والنّفاق وأحبّ أن أكون صريحةً وواضحة.

عدنان: **اخرسي يا قليلة التهذيب.**

آمال: لم تعاملني يومًا كإنسانةٍ تشعر ولها مشاعر، لم تُعر مشاعري قط أيّ اهتمام، كبرت ووصلت إلى هذا العمر وأنا لا أعرف عن أمّي أيّ شيء، حرمتني من معرفة أي شيءٍ يخصّ أمي**!** ولم تفكر يومًا بالألمِ والفراغ الذي أشعر به لفقدي لها، بل إنك لم تتفضّل عليّ وتترك لي مجالًا لأعبّر حتى عن هذا الفراغ، ولم تحاول يومًا فهمي وتفهمي...

قاومت آمال غيث الدموع الذي كان على وَشك الهطول؛ فلم تكن تحبّ أن تذرفَ عيناها أمام أحد.

آمال: أكرهك يا أبي، أكرهك، كم أتمنى من كلّ قلبي ألا أكون مثلك إذا أصبحت يومًا أمًا، أتمنى ألا أشبهك أبدًا، سأكون عكسك في كلّ شيء.

وضع عدنان يده على قلبه وجلس على الكرسيّ، لم تعد قدماه تستطيعان حمله أكثر، كلام ابنته الحبيبة والوقحة كانت مثل السّهام التي صوّبتها إلى أعماقِ قلبه دون رحمةٍ ومراعاةٍ لمشاعره، نزلت دموع حارّة من عينيّ عدنان، نعم لقد أبكت آمال والدها، السيد القوي الجامد يبكي بسبب وقاحة ابنته، لم تشعر آمال بالأسفِ عليه بل بقيت

تتأمّله بحقد، ولم تُشفق عليه أبدًا بل رأته يستحقّ ما قالته.

تنهّد عدنان ثم قال: حسنًا يا عزيزتي آمال، سأخبرك عن والدتك التي سألتني عنها كثيرًا ولم أشأ أن أكذب عليك ولم أشأ أيضًا أن أجرحك وأؤذيك بحقيقتها، أمك يا عزيزتي قد تخلّت عنك، وألقت بك في دورِ الأيتام، وأنتِ طفلة رضيعة لم يتجاوز عمرك الأسبوعين، تركتكِ من أجل أن تعيشَ حياتها وتلهو دون قيود، أمّك يا عزيزتي قد كانت السبب في موت توأميك... نعم يا آمال، قد ولدتي أنت ومعك توأمان ولكنّها كانت السبب في وفاتهما، وأيضًا ستكون هي سبب وفاتي فورَ زواجك...

* * *

# عالم جوف الأرض

صـهباء: وإذا أردنـا أن نتعـرّف علـى أسـرارِ الكـون نـذهب إلـى الحيوانات المضيئة...

دنيا: الحيوانات المضيئة!

صـهباء: نعم الحيوانات التـي تسـكن فـي طبقـات الأرض السـفليّة، في الطبقة الخامسة بالتحديـد، فـالأرض كمـا تعلمـان مكوّنـة مـن سـبعِ طبقات، وهذه الحيوانات مضيئة بسبب عدم وجـود مصـدر ضـوءٍ فـي طبقـةِ الأرض الخامسـة، إنَّ الحيوانـات المضـيئة تعـرف كثيـرًا عـن أسرار الكون التي نجهلهـا، ولكنّهـا لا تخبرنـا إلّا بالقشـور، ولا تجيـب علـى كثيـرٍ مـن الأسـئلة، إن تلـك الحيوانـات لا تمـوت ولا تتكـاثر، موجـودة منـذ عهـدِ آدم عليـه السـلام، وتعـرف التـاريخ الحقيقـي غيـر الملفّق عن هذا الكوكب.

شروق: كيف هو شكلهم؟ صفي لنا شكلهم بالتفصيل.

صـهباء: ولمَ؟!

شروق بحماس: أريد أن أرسمهم وأنشـر صـورهم للنـاس وأكتـب عنهم.

صهباء: لا لا، أرجوكما لا تخبرا الناس عن هذه الأشياء التي أحدثكما بها.

شروق: ولِمَ؟

صهباء: سيستغلون تلك الحقائق بالشر؛ فالبشر كما تعلمان مفسدون.

دنيا وهي ترفع حاجبها: والجنّ هم المصلحون؟!

صهباء: لا، ولكن هم من لهم الحقّ بالمعرفةِ بسبب القدرات التي يمتلكونها، وعلى كلٍ مفسدٌ واحدٌ خيرٌ من مفسدين.

استفزّت صهباء كعادتها دنيا بكلّ سهولة؛ فقد كانت دومًا ترى بأنها الأفضل من بين أقرانها، وتذكير صهباء لها بأنها محدودة القدرات مقارنة بها كان يستفزّها.

دنيا: على كلٍ مهما أطلقنا العنان لشرّنا فلن نستطيع منافستكم بالفسادِ والشرّ، فهذا هو الشيء الوحيد الذي تفوّقتم به علينا بجدارة.

شروق بانزعاج: نحن الإنس والجن فينا الطّيب والخبيث فلا تعمّمي.

ثم نظرت إلى صهباء وقالت: لا تخافي لن نفصح عن أيّ شيء.

تنهّدت صهباء وقالت: هذا جيد.

ضمّت دنيا كفّيها وقربتهما نحو خدّها وقالت: إنني أتخيّل شكلهم مثل السلاحف ولكن بألوان مختلفة، ولهم قرون مثل غزال الرنة، وأما

صوتهم فيشبه خوار الثور...

استمرّت دنيا بوصفِ الشكل الذي تخيّلته...

صهباء: ههه، كالعادة مهما أطلقتم العنان لخيالكم يا معشر الإنس فسيظلّ محدودًا ولا يتعدّى تركيب صور قد شاهدتموها من قبل.

دنيا: ماذا تقصدين؟

ابتسمت شروق من نبرة دنيا المنفعلة وقالت: تجاهليها يا دنيا إنها تريد استفزازك.

صهباء: أعني أن حتى خيالكم محدود، فعندما تخيّلتم شكل الشياطين مثلًا ركّبتم صورة إنسيّ أحمر اللّون وله قرنان، وعندما تخيّل بعضكم شكلَ الملاك ركّب صورة إنسيّ أبيض اللّون يرتدي ملابس بيضاء وله جناحان.

أكملت بلهجةٍ ساخرة: الصّور النهائية التي أنتجها خيالكم الواسع ليست إلا تركيبًا لصورِ أشياء قد شاهدتموها من قبل، فإذا طُلب منكم تخيّل شكل طائرٍ له مئة جناحٍ فسيصعب عليكم تخيّل ذلك؛ لأنكم لم تشاهدوا من قبل طائر بمئةِ جناح، وإذا حصل واستطاع عقلكم المحدود تخيّله فستكون شكل الأجنحة مثل جناح قد رأيتموه من قبل.

دنيا: تتفاخرين علينا دومًا بأصلك الناري، ولكن ما الفائدة من كلّ هذا التفاخر وأنت لا تتمتعين بقدراتِ بني جنسك.

صهباء: ماذا تقصدين؟

دنيا: أقصد بأنك قد أصبحتِ عاجزةً عن التشكل بهيئة الكلاب

والقطط كما في السابق؛ فقد فشلتي في التشكل بشكلٍ كاملٍ في المرّات السابقة.

لا - قالتها صهباء ثم تشكلت بهيئة قطٍ أصهب اللون، فابتسمت دنيا بخبثٍ وأمسكت بشريطةٍ طويلة وبدأت تحرّكها بسرعة، فشعر ياقوت برغبةٍ شديدةٍ بالانقضاضِ على تلك الشريطة وكأنها فريسة مغرية، ولكن دنيا كانت تحركها بشكلٍ سريع جعل ياقوت يعجز عن إمساكها.

ياقوت وهو يجري بسرعة محاولًا إمساك الشريطة: تو... توقفي عن هذا...!

ضحكت دنيا واستمرت بذلك مستغلة حقيقة أن الجن عندما يتشكّلون بهيئة حيوانٍ معينٍ فإنهم يصبحون يميلون لفعل الأشياء التي تحبّ فعلها تلك الحيوانات، ويشتهون الأطعمة ذاتها التي تشتهيها، وإذا أطالوا التشكّل لسنواتٍ بهيئةِ حيوانٍ معينٍ فإنهم عند رجوعهم لهيئتهم الأصلية يكونون قد تطبّعوا ببعضِ طباعه.

ألقت دنيا كرةَ صوفٍ فشعر ياقوت بأنها هي أيضًا فريسة مغرية وراح يركض نحوها، ثم أنقضّ عليها بأنيابه الصّغيرة وبدأ يعبث بها.

ضحكت دنيا وقالت: كنت أتمنى أن تتشكّل بهيئة كلبٍ لكي تحضر كرة الصّوف لي كما فعلت في السابق.

تحوّل ياقوت لهيئةِ صهباء ونظر إلى دنيا بانزعاجٍ بعدما أدرك بأن حيلتها انطلت عليه فضحكت عليهِ بشدة.

عبست صهباء وقالت: هذا ليس مضحكًا.

* * *

كيف حصل ذلك؟! كيف تكون بلقيس هي الطالبة المثالية وليست لُطفية العظيمة! إنني أنا الطّالبة المجتهدة، المميزة والمتفوّقة والذكية والنجيبة والمجيدة إنني أفضل الطالبات في الصفّ، بل في المدرسة كلّها.

شدّت على فستانها المزركش وقالت: لطفية العظيمة هي فقط من تستحقّ أن تكون الطالبة المثالية، لطفية هي من تستحقّ أن تكون الأولى على الفصل، بل على الصّف بلا منازع، لطفية الوقورة والجليلة، لطفية صاحبة الفخامة والسيادة.

كانت تمشي ذهابًا وإيابًا في غرفتها التي تكدّست المرايات في جداريها الأيمين والأيسر، أمّا الجدار الأمامي والخلفي فقد تكدّست فيه الإطارات المطلية باللّون الذهبيّ التي تحتضن صورها، كانت لطفية مهووسة بالمرايات والإطارات التي تتربّع داخلها صورها، كانت تحبّ أن ترى صورتها واسمها في كلّ مكان، وقد كان أحبّ الإطارات لها ذلك الذي كان على شكلِ شمس، شمسٌ ذهبيةُ اللّون تتربّع في وسطها صورتها وهي رافعةٌ لرأسها وتنظر بكلّ تكبّر واحتقار، كان الإطار محفوفًا بالملصقات التي تحتوي صفاتًا كثيرة - بخطٍ مزخرف ذهبيّ اللون - قد أطلقتها لطفية على نفسها (العظيمة، الجليلة، الشامخة، الفاضلة، صاحبة الفخامة، الوقورة، عظيمة الشأن، صاحبة الرفعة، صاحبة السمو، صاحبة السيادة...) طبعت لطفية

صورتها على حقيبتها وألصقت كثيرًا من صورها في كتبها ودفاترها، وكتبت اسمها بخطٍ مزخرف على كل شيءٍ يخصّها، كل لونٍ في علبة الألوان كان محفورًا عليه اسمها وبجانبه إحدى الصّفات التي أطلقتها على نفسها، كانت تعشق الرّقم واحد، وتعشق أن تقفَ في أول الطابور المدرسيّ، وفي أول صفٍ في الفصل.

لطفية الفتاة المدلّلة التي كان والديها وجدّيها يدلّلونها بشكلٍ مفرطٍ ويهتمّون بها بشكلٍ مبالغ، أصيبت بالصّدمة عندما لم تجد الاهتمام والدّلال في المدرسة! إنهم يعاملونها وكأنها فتاةٌ عادية، وليست محور الاهتمام! كانت لطفية ذات الصّف الأول الابتدائي تنظر إلى معلمتها التي تشرح الدرس بكلّ حسد؛ فجميع الطالبات ينظرن إليها، إنها تقف في المنتصف وتتحدّث كثيرًا والكلّ يُنصت إليها، إنها محور الاهتمام في الصّف! بعد أن أنهت المعلمة الدّرس جاءت إليها لطفية وأفصحت عن رغبتها في شرح الدّرس في الغد، رحبت المعلّمة بذلك بصدرٍ رحب، بل وشجّعتها على ذلك؛ فهي أول طالبةٍ في الصّف الأول الابتدائي تطلب منها ذلك، تدرّبت لطفية على شرحِ الدّرس جيدًا، وفي اليوم التالي وقفت في مكان المعلمة وقالت: أنا **معلمتكم** لطفية، وسأشرح لكم اليوم الدرس...

شعرت في البداية برهبةٍ عندما توجّهت كلّ الأنظار إليها، ولكنها تبدلت لسعادةٍ عارمة؛ فالجميع ينظرون إليها، إنها تتحدّث كثيرًا وتقف في المنتصف والكلّ ينصتون إليها، إنها الآن محور الاهتمام...

وفي الصّف الثاني الابتدائي أفصحت عن رغبتها في تقديم

الإذاعة المدرسية، كانت تشعر بسعادةٍ غامرةٍ وهي تقف على المسرح وتتحدّث أمام جميع الطالبات؛ فجميع الطّالبات ينظرن إليها، وهي فوق المسرح وهم تحتها، إنها أعلى منهم، والكلّ في نظرها الآن في مكانه المناسب، أُعجبت المعلّمات بثقتها في نفسها وتميّزها؛ ففي حين أن أغلب أقرانها يخجلون من الوقوف على المسرح كانت هي على عكسهم تقف وتتحدّث بكلّ ثقة، فاعتبرتها المعلمات طالبةً موهوبة، وذات شخصيةٍ قوية، فأصبحت تتلقّى المَديح والدّعم والثّناء من معلماتها أمام زميلاتها، وأصبح شعورها بالعظمة يكبر يومًا بعد يوم، حتى أتتها الصّدمة وهي في صفّها الأول الثانوي؛ فلم تكن هي الطالبة المثالية! بل بلقيس الوضيعة!

لطفية: بلقيس الصغيرة والوضيعة! من هي حتى تكون الطالبة المثالية؟! سأدوس على وجهها وأعلّمها من هي الطالبة الأفضل، ومن هي رقم واحد...

فزعت لطفية عندما سمعت صوتًا يضحك في الغرفة، لم يكن هنالك أحدٌ غيرها، خرجت و ركضت مسرعةً باتجاه أمّها واحتضنتها ولم تستطع النوم ذلك اليوم، بل أصيبت بالأرق في الخمس الأسابيع التي تلت ذلك اليوم، لم تَعد تنام إلا لساعاتٍ قليلة؛ فقد كانت تسمع صوتًا يحادثها عندما تكون وحيدة، بقيت على هذه الحال حتى اعتادت على ذلك الصّوت وأخيرًا قرّرت أن تخاطب صاحب الصّوت المجهول، عندها تعرّفت على نَهر ونشأت بينهما علاقة حبٍ قويّة، لقد أحبّته حقًا؛ فهو يعطيها حقّها في الإطراء، ويشبع غرورها، لقد كانت شخصيّة لطفية في البداية تُثير فضوله وتشدّه إليها، جنونها بالعظمة

واستحقاقها العالي، وثقتها المفرطة بنفسها ، على عكسهِ، فقد كانت ثقته مهزوزة، ولكم تمنّى أن يكون مثل لطفية، تمنّى أن يمتلك ربع الثّقة التي تمتلكها، أصبح نهر مهووس بمراقبتها، وأصبحت قدوته في الحياة؛ فهو يستمدّ ثقته منها.

بعد مرور ثلاث سنوات على علاقتهما اختفى نهر دون أية مقدّمات، افتقدته لطفية وتساءلت كثيرًا عن سبب اختفائه المفاجئ من حياتها وصارت تقف عند الماء وتنادي عليه ولكن بلا فائدة.

لطفية: هل تخلّى عنّي هذا الحقير؟

أجابت على تساؤلها بكلّ ثقةٍ وقالت بأنه هو الخاسر، هو من فرّط بشخصيةٍ عظيمةٍ لن تتكرّر أبدًا في التّاريخ كلّه.

تخرّجت لطفية من الجامعة من تخصّص العلوم السياسية، وقبيل تخرجها تقدّم لخطبتها شابٌ وسيم، وتمّت الخطبة ثم الزواج، وبعد زواجها بفترةٍ قصيرةٍ عاد نهر لحياتها وأخبرها بأن أهله قد منعوه عنها، و أنه لم ينسها ولم تَغب عن قلبهِ وفكره ولو للحظة وأنه ما زال يعشقها، بل متيم بها، ثم بدأ بتبجيلها وإخبارها بمدى عظمتها ورفعتها وعدم وجود مثيلٍ لها في الأهوية أو البشر كلّهم، شعرت لطفية بالسّعادة فكلماته هذه قد أشبعت غرورها وهذا ما جعلها تسامحه بعد تكراره لكلمات التبجيل والتعظيم لها، أخبرها بأنه يريدها أن تكون زوجةً له، وأخبرها بالتعويذة التي ستنقلها إلى عالمه، كانت لطفية تنتقل إلى عالمه دومًا ثم تعود قبيل رجوع زوجها، لقد كانت تفضّل نهر على زوجها الذي كان يتغزل بها فقط ولا يبجلها ويعظمها مثلما

يفعل نَهر، وفي إحدى الأيام انتقلت إلى عالم الأهوية قبل أن يطلبَ منها نَهر ذلك، وتفاجأت عندما علمت بأنه على علاقةٍ بهوائية، بل متزوّج منها ولديه طفلان!

غضبت لطفية وقالت: سأنتقم منك أيها الوضيع الحقير، كيف تتجرأ على التلاعب بصاحبةِ الجلالة والعظمة والسموّ **لطفية**، سأنتقم منك.

توجهت لطفية إلى قصر السلطان ودخلت عليه.

السلطان بازدراء: ماذا تردين أيتها الإنسية الوضيعة؟ كيف استطعتِ المجيء لعالمنا أيتها الملوثة؟!

لطفية: جلالة السلطان أرجوك إذن لي ولزوجي بالتحوّل إلى هوائيين.

نفث أحد الحراس الهواء من فمه، فخرّت لطفية على ركبتيها، وكأن أحدًا ضربها بعصا خلف ركبتيها.

الحارس: **اخفضي عينيك عندما تتحدّثين إلى جلالة السلطان أيتها الإنسية الملوثة.**

لطفية: أريد أن تَمنّ عليّ يا جلالة السلطان وتأذن لي ولزوجي بالعيش هنا في عالمكم، أريد أن أتحوّل إلى هوائية أنا وزوجي لنعيش في عالمكم الجميل، أرجوك يا صاحب السمو والرفعة إذن لنا بذلك.

أمطرت لطفية السلطان إعصار بكلمات المدح والثناء عليه وعلى شخصيته، وقد سَرَّ ذلك السلطان إعصار.

رفع السلطان رأسه بتكبر وقال: حسنًا أيتها الإنسية الملوثة، سأتكرّم عليك وسأحولك لهوائيةٍ أنت وزوجك.

لطفية بفرح: أشكرك يا صاحب السمو، شكرًا على لطفك، لا أعرف كيف أوفيك شكرك.

السلطان إعصار: لكلّ شيءٍ مقابل، وثمن ذلك أن تضحّي لي بطفلين من أطفالك.

لطفية: سمعًا وطاعة يا صاحب السمو.

ذهلت السلطانة أريج من موافقةِ لطفية على طلبِ إعصار دون تردّد! كيف ذلك! أين هي مشاعر الأمومة؟!

ظهرت أمام لطفية قارورتين زجاجيتين في داخلها شرابٌ مضيء ولامعٌ باللّون البنفسجي.

السلطان إعصار: اشربي أنتِ وزوجك هذا الشراب لمدة عشرةِ أيام، وعندما تحبلين وتضحي بطفليك من أجلي ستصبحين حينها هوائية أنتِ وزوجك.

لطفية: أشكرك يا سيدي على كرمك لأذنك لي بالتحوّل إلى هوائية.

تناولت لطفية الشراب وعندما أصبحت حبلى بتوائم طارت من السّعادة؛ فهي ستتحوّل لهوائية، حكت لزوجها عدنان عن الهوائيين وعالمهم الجميل، كان عدنان من البشر القلّة الذين قد سمعوا بعالم الأهوية.

ضحك عدنان وقال: إنهم مجرد أسطورة يا حبيبتي.

لطفية: كلا، سآخذك يا عزيزي إلى هناك قريبًا.

عدنان: إنك تتحدّثين عنهم بكلّ ثقة وكأنك متأكدة من أنهم حقيقيون.

ثم أكمل بسخرية: أخبريني كيف ستأخذينني إليهم؟

لطيفة: ستعلم كل شيء قريبًا يا عزيزي.

أنجبت لطفية ثلاث توائم توفى اثنان منهما بعد دقائق من ولادتهما.

* * *

شروق: كيف تعرف الحيوانات المضيئة ما يجري في طبقة القشرة الأرضية وهم في الطبقة الخامسة؟

صهباء: هناك نوعٌ مخصّص من الجنّ مسخّرون لخدمتهم ومساعدتهم لمعرفة ما يجري هنا.

دنيا: ولكن أنتم الجنّ طبعكم الكذب، فكيف تثق الحيوانات المضيئة بما تقولون؟

رمقت صهباء دنيا بنظرة، فابتسمت دنيا عندما تلمست انفعالها...

صهباء: هناك نوعٌ مخصّص من الجن يحضرون للحيوانات المضيئة الجوارب.

شروق ودنيا بدهشة: الجوارب!

صهباء: نعم؛ فأقدام البشر تفرز مادة مع العرق تسمى الفرمونات وإذا اشتمّت الحيوانات المضيئة تلك الفرمونات فإنها تعلم كل ما دار في عقل ذلك الشخص وتعلم عن كل مكانٍ زاره منذ أن ولد إلى آخر مرةٍ لبس فيها ذلك الجورب.

دنيا: يع هذا مقزّز، كيف تحتمل شمّ رائحة العرق باستمرار.

صهباء: إنها لا تشمّ العرق، بل على العكس تتقزّز من رائحته فتطلب من الجنّ المسخرين إحضار الجورب لها فور أن يُغسل لتزول عنه رائحة العرق، فرائحة الفرمومات لا تزول حتى لو غُسل الجورب جيدًا.

شروق: لذلك تختفي بعض جواربي بعد أن أغسلها.

صهباء: نعم.

دنيا: لطالما كنت أتساءل عن سبب اختفاء الجوارب!

شروق: وكيف علموا عن التاريخ الحقيقي وغير الملفق عندنا؟

صهباء: إنهم بشمّهم للجوارب يعلمون كلّ ما فكّر به الشخص، فليس كل ما يعلمه المرء ينطق به، فهناك كثيرٌ من الحقائق المكتومة التي دُفنت واندثرت مع موتِ أصحابها، ولكنّهم بشمّهم للفرمونات يعلمون كلّ ما جال في فضاء فكرِ الأشخاص وبذلك علموا كيف ولمَ انقسم أبناء آدم إلى ديانات ومذاهب مختلفة ولمَ كل منهم يزعم بأنه على حقّ، إنهم يعلمون أيضًا عن كلّ المذاهب الفكرية المعاصرة مثل العلمانية واللبرالية والرأس مالية وغيرها... وأيضًا الأوضاع السياسية، وليس فقط أخبار بني آدم، بل حتى أبناء إبليس، إنهم

يعرفون تاريخ العالم كلّه، يعرفون ما هي أول لغةٍ وكيف تفرّعت للهجات ثم صارت كل لهجةٍ لغةً مستقلّة.

غاصت دنيا في بحر أفكارها وبدأت تفكّر بأكثر شيءٍ يؤرّقها ويثقل صدرها في هذه الفترة.

شروق وهي تلوح بيدها أمام دنيا: إلى أين ذهبتِ بفكرك؟

دنيا: أريد التحوّل إلى خلد.

شروق وصهباء: خلد!

دنيا وهي تنظر للأرض بحزن: نعم.

صهباء: ما الذي أصاب هذه الفتاة! يبدو أنها جنت!

دنيا: ...

ضمّت صهباء يديها وقربتهما نحو خدها وقالت وهي تقلد طريقة كلام دنيا المغنّجة: ظننتك ستقولين بأنك تريدين التحوّل إلى أرنب لأن شكله لطيفٌ وجميل.

دنيا: ...

تلمست شروق ضيق دنيا وجدّيتها فاقتربت منها وقالت: ما بك يا دنيا؟ ما الذي يُثقل صدرك؟

دنيا: أريد التحوّل إلى خلد حتى ألتقي بالحيوانات المضيئة وأسألهم عن أشياء كثيرة، أريد أن أسألهم عن حقيقة الحياة، أريد أن أسألهم عن الدّين والمذهب الصحيح، فلقد تعبت.

غطّت وجهها بيدها وقالت بيأس: إنني تائهة.

شروق: قد لاحظت سؤالك وبحثك المكثّف عن هذا الأمر خلال هذه الفترة، ولكن لمَ فجأة صرتِ تفكرين بهذه الأفكار؟

دنيا: موسيقى آلة الفزع، قد أدمنتها، وبعدها أصبحت أفكّر بكثيرٍ من الأسئلة الوجودية، وعن سبب وجودي في هذه الحياة، وأيضًا أدمنت التفكير بحياة البرزخ ومصيري بعد الموت، إننا مجرد عابرون في هذه الحياة الدنيا ونحن نعمل فيها وكأننا سنخلّد فيها.

صهباء: وما الداعي للتحوّل إلى خلد؟! صلّي وتقرّبي إلى الله لتريحي ضميرك هذا.

دنيا: إن مشكلتي هي أنني مسلمةٌ فقط ولا أنتمي إلى مذهبٍ معيّن، فكما تعلمان أنتما أصحاب مذهب مختلف عني، وعندما قرّرت التقرّب إلى الله صرت أسأل أمي وأسألكم عن طُرق أداء بعض الشّعائر الدينية وعن الفرق بين مذهبكم ومذهبنا، كنت أقتنع بكلامكم عندما أحاوركم فأعتنق مذهبكم وأقيم الشعائر كما تقيمونها، وبعدما أسأل أمي أقتنع بكلامها، حتى أصبحت متخبّطةً وتائهة ولا أنتمي إلى أيّ شيء، أريد أن أعلم الحقيقة... ولكنني أتساءل هل الحيوانات المضيئة تكذب؟

صهباء: أبدًا، ولكنها لن تجيبك أبدًا عن هذه الأسئلة، فكثير من الجن قد سبقوك وأتوا إليهم وسألوهم ولكنهم أَبو الجواب رغم كثرة العروض والإصرار الشديد من الجن؛ فالحيوانات المضيئة ترى بأن

هذه هي مهمّة الإنس والجن في هذه الحياة، البحث عن الحقيقة واعتناقها.

دنيا: حسنًا أخبروني ماذا يجب عليّ أن أفعل؟ أريد أن أعلم الحقيقة، إنني تائهة.

* * *

لطفية: عزيزي عدنان، سآخذك لعالم الهوائيين الجميل الذي طالما حدّثتك عنه، أمسكت بيده وتمتمت بتعويذةٍ وفي لحظة وجدت نفسها هي وعدنان فوق جسرٍ طويلٍ وزجاجيّ ممتدٍ حتى قصر السلطان إعصار، تلفّت عدنان حوله بدهشةٍ من هذا المكان الجميل وصار يلوّح للأهوية التي كانت تحلّق فوقه وتنظر إليه باستنكار، فأمسكت لطفية بيده وقالت: هيا بنا.

كانا كلّما خطى خطوةً إلى الأمام تغوص إحدى ألواح الجسر الزجاجية والمُفرغة من الداخل ويدخل لجوفها بعض الهواء وعندما ينتقلان إلى التي تليها ترتفع وتصدر صوتًا شبيهًا بالموسيقى، وطوال طريقهما وعدنان يتلفّت حوله بدهشة ويلمس كلّ ما سمح له الوقت بلمسه.

عدنان: هل سنعيش هنا يا عزيزتي؟

لطفية: نعم يا حبيبي، وستتغيّر أشكالنا ونصبح مثل هؤلاء الذين يحلّقون فوقنا.

كانت الأهوية تشبه البشر في نصفها العلويّ أمّا نصفهم السفليّ

فكان مثل الأقمشة الخفيفة والناعمة التي تكوّمت فوق بعضها، وقد كان لون بشرة كل هوائيٍ مماثلٍ للون تلك الزعانف الخفيفة التي تشبه القماش الذي لا ينفكّ عن جسده أبدًا، وقد لاحظ عدنان بعدما دخل إلى القصر أن عدد طبقات الحراشف تلك تزيد كلّما زادَ منصبُ ومقام الهوائي.

* * *

ردّد زمهرير تعويذة فأبصرت عيني عدنان ولطفية عددًا لا متناهي من الألوان.

زمهرير: اختاروا لونكم...

لطفية وهي تشير إلى إحدى البراويز في القصر: ما اسم ذلك اللون؟

زمهرير: أفطَر.

أعجبت لطفية باللون الأفطر وتلهفت أن تكون فطراء ولكنها تردّدت قليلًا؛ فبالرغم من أن اللون الأفطر كان لونًا مشعًا أكثر من اللّون الذهبي إلا أنها لا تتخيّل بأنها ستتخلّى عن لبس الحليّ الذهبيّة، بالإضافة إلى أن درجات اللون الأصفر هي من أكثر الألوان المحبّبة إليها.

لطفيه: أريد أن أكون صفراء.

عدنان: وأنا أختار أن أكون أبشَر.

بدأ زمهرير بقراءة القوانين عليهما وبعدها رددا القسم، فتحولا إلى هوائيين، كانت حينها السلطانة أريج تنظر للطفية باحتقار؛ فقد ضحت بتوأميها بلا ترددٍ من أجل أن تلهوا وتمرح في عالمهم.

زمهرير: ما هو اسمكم الجديد؟

عدنان: رَطِب.

لطفية وهي ترفع رأسها بشموخ: شمس.

زمهرير: ألم تفهمي ما قلت؟ اختاري اسمًا من أسماء الرياح أو صفاتها أو..

قاطعته السلطانة أريج: اسمها نكباء.

نظر عدنان إلى تلك السلطانة التي أطلقت على زوجته هذا الاسم، كانت مختلفةً عن جميع الأهوية؛ فلم تكن لها طبقات من الحراشف مثلهم، بل كان لها أقدام! وجناحٌ كبير أبيض اللون بلا ريش امتدّ من قدمها حتى كفّها مثل الخفاش، بالإضافة إلى وجود هالةٍ مشعةٍ حولها، وقد لاحظ أيضًا بأن لون شعرها كان أزرقًا وليس كلون بشرتها الرمادية، كان لقب السلطانة يليقُ عليها كثيرًا؛ فقد كانت ذات وقارٍ وهيبةٍ وكلمةٍ مسموعة.

زمهرير: تم، نكباء ورَطِب أنتما الآن...

نفخت أربعة من الأهوية بالأبواق بعدما أعلن زمهرير عن أسمائهما.

نكباء باعتراض: ولمَ يا جلالة السلطانة أسميتني نكباء؟!

السلطانة أريج باحتقار: لا تخاطبيني أيتها السّفاحة.

رَطِب: سفاحة؟!

السلطانة أريج بتعجب: ألا تعلم بالأمر؟!

صُعق رَطِب عندما علم بفعلِ زوجته نكباء.

رَطِب وهو ينظر إلى نكباء بدهشة: أيتها القاتلة! كيف فعلتِ ذلك؟ كيف طاوعك قلبك على التّضحية بأبنائنا البكر؟

رفعت نكباء رأسها وقالت وهي تعبث بشعرها: إنني أكره الأطفال يا عزيزي؛ فهم مضيعةٌ للوقت، تخيّل أن أفنيَ حياتي من أجل العناية بمخلوقٍ ثم بعدها يكبر ويتركني

ثم نظرت إلى جسدها الذي عاد رشيقًا وقالت: أليس من الأولى أن أستمتع بحياتي بدلًا من أفنيها على طفلي الذي سيكبر ويتزوّج ثم يتركني وأنا قد أفنيت عمري من أجله؟

رَطِب: وأين هي آمال الآن؟

نكباء: لا تقلق يا عزيزي لقد وضعتها في أحد دور الأيتام وسوف تلقى الرعاية المناسبة هناك، لننسى أمرها ولنستمتع بالحياة ونلهو فهناك من سيعتني بها، انظر إلى شكلي كم هو جميل...

التفت رَطِب إلى السلطان إعصار وقال: إذن لي يا جلالة

السلطان أن أعود لعالمنا حتى أعتنيَ بطفلتي.

غضب السلطان إعصار واحمرّت عيناه فضرب الأرض بعصاه بقوةٍ فاهتزَّ القصر ثم قال بصوته الضخم والجهوري: **لقد استهنت بعالمنا أيها الإنسيّ الوضيع، لقد أنعمت عليك وتكرّمت عليك بأن جعلتك هوائيًا تنعم بالصّفات والقدرات التي ننعم بها نحن الأهوية، وأنت تكفر النعمة!**

رَطِب بنبرة رجاء: اعفُ عني يا جلالة السلطان، فابنتي...

نكباء: هل هناك مجال يا جلالة السلطان من أن تنتقل ابنتنا إلى هنا.

إعصار: إذا ضحيتم بابنكم القادم لي.

وضع رَطِب يده على رأسه وقال بأسى: لا أستطيع، لا أستطيع فعل ذلك.

نكباء: لمَ لا تأخذوها وتجعلوها خادمةً عندكم.

السلطان إعصار وهو يفكّر: ممكن.

نكباء: انظر لقد حللنا الأمر يا عزيزي ستعيش آمال في عالمنا الجديد، ستعيش في القصر وتخدم جلالة السلطان وأنتَ يمكنك أن تراها كلما اشتقت لها.

رَطِب: لن أسمح بأن تكون ابنتي خادمة، أنا أرفض العرض.

السلطان إعصار: **سيكون ثمن استهانتك بعالمنا أيها الإنسيّ الوضيع هو حياتك.**

رفع السلطان إعصار يده ليشير إلى القصّاص بإعدام رطب، ولكن السلطانة أريج أمسكت بيده قبل أن يشيرَ إليه وقالت برجاء: أرجوك لا تفعل هذا، أرجوك، إنه يريد الاعتناء بطفلته ورعايتها.

السلطان إعصار: **هذا ليس من شأني.**

السلطانة أريج: أرجوك أمهله مدّة يرعى فيها ابنته حتى تكبر وتتزوّج على الأقل.

لم يكن من عادة السلطان إعصار التراجع عن كلامه ولكن السلطانة أريج حاولت جاهدةً حتى نجحت في ثنيه عن إعدام رَطِب الآن على الأقل.

السلطان إعصار: ستموت أيها الإنسي في اليوم الذي ستتزوّج فيه ابنتك.

* * *

بعد ثوانٍ وجد رَطِب نفسه قد عادَ إلى منزله، كان منهكًا جدًا ولكنه توجّه فورًا إلى دار الأيتام ليأخذ طفلته آمال، قبل أن يتبنّاها أحدهم فيفقدها للأبد.

نكباء: هل تأمريني بشيء يا جلالة السلطانة؟

السلطانة أريج: آمرك بأن لا ترينا وجهك مرة أخرى، محرمٌ عليك دخول القصر.

خرجت نكباء من القصر وتفاجأت بشهيق الذي تفاجأ أكثر عند رؤيتها وقد تحوّلت لهوائية، احتضنت شهيق وقالت: عزيزي نهر،

إنّني أحبك جدًا، كنت أريد أن أفاجئك، لقد ضحيت بطفلتي حتى أستطيع العيش بقربك، وأكون زوجةً لك.

ضمّها شهيق وقال: وأنا أحبك أكثر يا لطفية، لقد اشتقت لك كثيرًا...

* * *

# تقاسموا معي ذالك الألم

كان خالد جالسًا في إحدى المقاهي يرتشف قهوته وهو ينظر ببرودٍ إلى المرأة التي تبكي أمامه.

حلا: لقد كذبت عليّ وتلاعبت بمشاعري، كم أنت وغد ولئيم.

خالد وهو يبتسم: شكرًا.

كان يشعر بلذّةٍ وهو ينظر لعينيها وهي تبكي، لقد جرحها بعمق وهذا ما كان يطمح إليه، كان خالد يحبّ دنيا، وقد كانت هي حبيبته الوحيدة ولكنّه الآن فقط يمارس هوايته المفضّلة.

حلا: سيأتي من يتلاعب بك ويجرحك كما جرحتني.

ارتشفَ قهوته ثم قال: لقد أتى هذا الشخص، لقد تعاقبت على ذنبي هذا قبل أن أقترفه.

حلا: ولمَ فعلت هذا بي.

خالد: لأنتقم.

حلا: تنتقم من ماذا؟

خالد ببرود: لا أعلم، ربما أنتقم منكنّ يا معشر النساء.

حلا: أيها الوغد اللئيم الـ...

خالد وهو يبتسم: الشيطان الحقير.

قطع على خالد متعته رنين هاتفه، أمسك بهاتفه المحمول فوجد صورة دنيا، كانت صورة دنيا تظهر له عندما تتصل عليه.

خالد: انظري إلى هذه الفتاة الجميلة، إنها حبيبتي، أليست جميلة؟ إنها أجمل منك أيتها الحولاء، كيف صدّقتي بأنني أحبك، كيف أحبّ فتاةً بعينين بشعتين مثلك أيتها المشوّهة، أنصحك بالعلاج حتى تجدي من يحبّك ولا تموتي وحيدة...

أكمل خالد سريعًا ما تبقى من قهوته السّوداء ثم خرج من المقهى ليحادث أميرته المدلّلة.

* * *

كان هناك فتى مراهقًا ابنًا لعالِميّ أحياء، فضّلوا ترك المدينة واختاروا العيش في وسط الأدغال حتى يسهل عليهم عمل بعض الأبحاث والتّجارب وليستمتعوا بالعيش في أحضانِ الطبيعة، وفي إحدى الأيام اكتشف الفتى بأن والدته تتعامل مع الجنّ وتمارس السحر، كانت متعمّقة في علومِ السّحر، وشغوفة بالسّحر المتعلّق بالحيوانات، وقد عَلم الفتى بالمكان الذي تُخبئ فيه كتب السّحر، فاستغلَّ أوقات خروجها وبدأ بقراءة تلك الكتب، حتى فُتن بالسّحر وأحبّه، وعندما وصل للفصل المتعلّق بالحيوانات علم بأن الإنسان يمكنه التحوّل إلى حيوان، ولكنّه إذا تحوّل فلن يعودَ أبدًا، تحمّس الفتى

الطائش لذلك وقام بقراءة التعويذات ثم تحوّل بعدها إلى أسد وانطلق يجري في الأدغال بسعادةٍ غامرة؛ فقد تحوّل لأقوى حيوانٍ في الغابة.

عندما عاد الوالدان لم يجدا ابنهما، بحثا عنه كثيرًا، حتى اكتشفت والدته الأمر، وعلمت بأن ابنها الأحمق قد تحوّل لحيوان، وهو الآن وحيد؛ فلن يستطيع أن ينضمّ لقطيعِ الأسود؛ فلن تقبل الأسود بأن ينضمّ (حيوانسان) لهم؛ فالحيوانات تعلم بأن الـ(حيوانسان) هو ساحرٌ أو إنسان قد ذهب إلى ساحر، والسّحر محرّم، بل من الكبائر؛ لذلك لا تحبّ أغلب الحيوانات التّعامل من الـ(حيوانسان) لارتكابه إثمًا عظيمًا.

العالمة: ابني الأحمق سوف يموت، لن يستطيع أن يحميَ نفسه أو يواجه الحياة البريّة القاسية حتى ولو كان أسدًا.

استيقظ الأب فجأةً من نومه ولم يجد زوجته بجانبه، فانتابته رغبةٌ شديدة في البحث عنها، ولكنه لم يجدها، نظر من النافذة فوجد لبوةً تُهم بالقفز خارج سور حديقة المنزل.

العالم بفزع: كيف استطاعت هذه اللّبوة القفز لداخل سور المنزل؟ إنها هي بالتأكيد من التهمت ابني الحبيب.

أحضرَ الأب بندقيته وقام بإطلاق النار على اللبوة، إنها هي بالتأكيد من قامت بافتراس ابنه الوحيد، صرخ الأب وقال: **سأنتقم منكِ.**

ثم قام بتفريغ رصاص البندقية على جسدها، ولكن لم يشفِ ذلك غليله، فبعدما ماتت اللبوة قامَ بسلخ جلدها وتعليقه في صدرِ مجلسه،

ليشعر في كل مرةٍ يراه فيها بأنه انتقم ممن افترست ابنه الوحيد، ولكنّه بقي يتساءل، أين اختفت زوجتي؟ فلم يكن على اللبوة ذلك اليوم أيّ آثارٍ للدماء.

صمتت صهباء قليلًا ثم قالت: هل ما زلتِ تودّين التحوّل لخلد؟ هل تودّين التخلّي عن بشريتك لتصبحي (حيوانسان)؟

دنيا بتردّد: لا أعلم.

صهباء: تذكري جيدًا، تذكري بأنك إن تحولتِ إلى حيوانٍ فلن تستطيعي الرجوع بشرية ابدًا.

* * *

عدنان: ومن الذي سيضحّي به أزرق حتى تتحوّلي لهوائية؟

آمال: يضحّي!

عدنان: ألم يخبرك أزرق بالأمر؟ إنه مثل والدتك، سيقتل نفسًا بريئة كما قتلت والدتك توءَميك من أجل أن تتحوّل لهوائية، ماذا ظننتِ يا ابنتي الذكية؟ هل ستنتقلين إلى عالم أزرق الورديّ بدون مقابل؟ إن أزرق يخفي عنك الكثير، يريد أن يأخذك لعالمه ثم يستفرد بك هناك بعدما يضمن عدم قدرتك على الرجوع إلى هنا...

آمال: أبي ماذا صار اسم والدتي بعد أن تحوّلت إلى هوائية؟

عدنان: كان اسمها لطفية ثم غيرته إلى نكباء.

اتّسعت عيني آمال للآخر من الدهشة وقالت: نكبـاااء! نكبـاء! هل

أمي هي نكباء؟

عدنان: نعم، هل سمعتي بها من قبل؟

آمال: إنها زوجة والد أزرق!

* * *

أمرت نكباء شهيق بأن يُطلِّق زوجته (المرسلات) من أجلها فنفّذ لها طلبها، ولم تكن نكباء تتردّد في قتلِ كل من يضايقها، وطليقة شهيق كانت إحدى من ضايقهم فكرة أن تبقى حيّة، وفي إحدى الليالي نامت المرسلات ولم تستيقظ بعدها...

نكباء باشمئزاز: هل كنت متزوجًا من طفلة؟ ما هذه الألوان الطفولية، والطيور المزعجة؟!

كانت المرسلات تحبّ الدرجات الفاتحة من الألوان، وهي ما نسميه بألوان الباستيل، فملأت المنزل بلمساتها وتفاصيلها الرقيقة والطفولية نوعًا ما، ولكن نكباء لم تشعر بالانتماء للمنزل الذي بهذه الألوان؛ فهي تفتقد اللون الذهبيّ البرّاق ومراياتها وإطاراتها التي تتربّع في وسطها صورها.

قامت نكباء بتغيير المنزل تغييرًا جذريًا، فقامت بتفصيل أثاثٍ جديدٍ للمنزل، كانت أرجُل الكرسي الذي فصلته منحوتةً على شكلِ هوائيين، أربعة أهويةٍ صغار الحجم يحملون كرسيها، وكم تمنّت لو كانوا حقيقين، كانت تجلس على كرسيها ذاك وتغمض عينيها وتتخيّل بأنهم حقيقيون وبأنها تفوقهم حجمًا ومنزلةً وهم يحملونها وكأنها ملكة

تجلس على عرشها، بعدها أصبح الهوائيّون منحوتين في كل شبرٍ في منزلها، تضع مشطها الذهبيّ فوق هوائي راكعٍ وكأنه قد خُلق فقط ليحملَ مشطها، هوائيٌ آخر منحوتٌ يحمل حُليَّها، هوائيون يحتضنون قبعاتها وتيجانها، طلبت تفصيلهم وكأنهم يتلذّذون بشمّ رائحة قبعاتها وكلّ ما يخصّها، أمّا أرجل أثاث المنزل فكانت منحوتةً على أشكال هوائيين يحملون أثاثها الجميل بكل خضوع، الطاولات والكراسي والخزانات، وطبعًا لم تنسَ نقش اسمها المزخرف في كلّ ممتلكاتها باللون الذهبي، ولم تنسَ الصّور والمرايات والإطارات الذهبية و تفصيل إطار الشمس الذي تحبّه ووضع صفاتها التي أطلقتها على نفسها حول إطارها الحبيب.

لم تستطع نكباء الجلوس دون عمل، فبدأت تبحث عن عملٍ يناسبها ويناسب ميولها، فالتحقت بالجيش، كانت تنظر لمدرب الجيش بحسد؛ فهو محورُ الاهتمام، يقوم بتدريب الجيش وكلّهم ينظرون إليه، ولكنَّ لطفه مع المتَدربين يستفزّها، كان التدرب في الجيش إلزاميّ على كل الأهوية في مرحلةٍ معينةٍ من عمرهم، ولكم أحبّت الأهوية التدرّب في الجيش، فأغلبهم يصادفون شريك حياتهم هناك، وكم نُسجت آلاف قصص حبّ بين الأهوية لا مثيل لها بين المتدرّبين في الجيش، كانت الأهوية تتعمد الرسوب حتى يبقوا في التدريب لأطولِ فترةٍ ممكنة ويصنعوا المزيد من الذكريات الجميلة.

نكباء: أيها القائد عَصْف، هل لي بالحديث معك على انفراد؟

عصف: ما الأمر يا نكباء؟

نكباء: إنني أشعر بالضّيق يا سيدي عندما أسمع الجنود يتحدّثون عنك بسوء.

عصف: ماذا؟! يتحدّثون عنّي أنا!

نكباء بحزنٍ مصطنع: نعم يا سيدي، أنهم يسخرون من لطفك الشديد معهم، لقد سمعت(العاصفات) و(اللواقح) بالأمس يقولان بأنك ستسامحهما إذا تأخرا عن الحضور، واليوم كما ترى قد حضرا متأخرًا، لقد كذبا عليك بشأن تلك الظروف التي قالوها، لقد تعمدتا التأخير واستهانتا وتهاونتا بك لأنك طيّب القلب.

ثم ضاعفت نبرة حزنها وهي تقول: والأهوية مع الأسف تستغلّ وتتهاون مع طيب القلب أمثالك، إن الأهوية دومًا تتحدّث عنك بالسّوء وأنا أدافع عنك باستمرار، ولذلك لا يحبّني أيٌّ منهم، ألا ترى كم أنا وحيدة وبلا رفاق؟

عصف بغضب: **الويل لهم!**

نكباء: سيدي أرجوك اسمح لي أن أكون نائبتك وذراعك الأيمين؛ فأنا أقسم على إخلاصي وولائي لك أنت فقط، ولديّ بعض الأفكار حتى تجعل الجنود يتعلّمون بشكلٍ أسرع.

عين عصف نكباء نائبةً له، وقد خَلفته في أيامِ غيابه، كانت تستمتع جدًا وهي تدرّب الجنود، كانت تشعر بالسّعادة وهم ينظرون إليها وينفّذون أوامرها وعودة عصف للعمل سيحرمها من هذه المتعة، وهي ستتخلّص من أي شخصٍ يقف في طريق سعادتها، في إحدى

الليالي نامَ عصف ولم يستيقظ بعدها، وهذا يعني بأن نكباء ستكون هي القائدة من الآن.

كانت نكباء تطير بمستوى أعلى من الجنود، وتعاقب بشدةٍ كل من يطير بمستوى أعلى منها، ردّد الجنود النشيد الوطني الذي كانت جميع كلماته ثناء وتبجيل للسلطان إعصار، كانت نكباء تقف في المركز حيث تتوجّه لها كل الأنظار وتغمض عينيها وتتخيّل بأنها هي السلطان إعصار وبأن كلمات المدح هذه موجّهة لها.

نكباء بغضب: **صوتكم كان منخفضًا أعيدوا ترديد النشيد الوطني بصوتٍ أعلى.**

كان الجنود يردّدون النشيد ثلاث أو أربع مرات يوميًا كما تأمرهم نكباء؛ لكي تتلذّذ أكثر وتشبع غرورها وهي تتخيّل بأنها هي السلطان الذي يُثني عليه الجمع الغفير، أجبرت نكباء الجنود على حفظِ أشعار فيها كلمات تبجيل وتعظيم لها، وكان كل من يخطئ تطلب منه أن ينحني أمامها بذلّ ويردّد كلمات تبجيلها وتعظيمها، وكانت تعاقب من يُخفق بأن تجعله يحمل كرسيها، لقد تحقّقت إحدى أحلامها وهي أن تجلس على كرسيّ يرفعه الهوائيون لها، كان الجنود يتدرّبون بجدٍ ورغم أن التمارين أصبحت مكثفةً وشاقة إلا أنه لم يرسب أيّ هوائيّ بعدما تولّت نكباء أمرَ تدريبهم، وهذا ما فاجأ السلطان إعصار؛ فجميع الجنود أصبحوا يتخرّجون بل ويحاولون التخرّج في أسرعِ وقت، وهذا ما لم يحدث قط في تاريخهم بالإضافة إلى ملاحظته لتقدّمهم في الأداء بشكلٍ ملحوظ.

السلطان إعصار: أحضر لي القائدة نكباء.

انحنى زمهرير وقال: أمرك يا جلالة السلطان.

السلطانة أريج: ولكنّي حَرَّمت دخول نكباء إلى القصر، هل ستكسر كلامي من أجلها؟

السلطان إعصار: طبعًا.

السلطانة أريج بغضب: من أجل نكباء؟

السلطان إعصار: اخرسي أيتها السّفيهة الضّعيفة.

دخلت نكباء وانحنت للسلطان ثم قالت: جلالة السّلطان أنا طَوع أمرك.

السلطان إعصار: إنني مبهورٌ من تدريبك للجنود؛ فقد لاحظت تقدّمهم الملحوظ وحُسن أدائهم.

نكباء: إنني يا جلالة السلطان قد أقسمت على الولاء لك وللسلطانة أريج والوطن، وأنا أفعل كلّ هذا لأخدم وطني، فهذا هو واجبي، بل غايتي.

السلطان إعصار: تستحقين مكافأة، اطلبي ولكِ ما تريدين.

نكباء بحزن: أودّ رؤية ابنتي آمال، كيف هي وكيف أصبحت، كم عمرها وكيف هو شكلها...

السلطان إعصار: هل تريدين الرجوع لكوكبك؟

نكباء: لا، والعياذ بالله! كيف لي أن أكفرَ النّعمة وأتخلّى عن النّعيم

الذي وَهبتني إيّاه بسبب كرمك يا جلالة السّلطان وأرجع إلى عالمي الملوث.

السلطانة أريج بسخرية: إنها لن تتخلّى أبدًا عن مصلحتها من أجل أيّ شخص، فهل نسيت يا عزيزي بأنها ترى بأن الأبناء مضيعةٌ للوقت وهي تريد الاستمتاع بكلّ دقيقةٍ من عمرها.

نكباء: أودّ أن أراها عن طريق الماء.

السلطان إعصار: لكِ ذلك.

نكباء: لا أعرف كيف أشكرك يا جلالة السلطان؛ فأفضالك عليَّ كثيرة، هل تأذن لي أن أقدّم لكما هدية بسيطة ومتواضعة تقديرًا لأفضالك المنهمرة عليّ يا جلالة السلطان؟

نظر إليها السلطان بتكبّر ورفع إحدى حاجبيه وقال: ما الذي ستهديني إياه؟

نكباء: أريد أن أضحّي بابنيّ زوجي من أجلكما.

شهقت السلطانة أريج وقالت: أيتها السّفاحة، إننا نرفض هديتك ولا نقبلها.

نكباء بحزنٍ مصطنع: يا للأسف، لقد رفضت السلطانة هديتي.

ثم انتقلت بنظرها إلى السلطان وقالت: ولكن أنتَ يا جلالة السلطان بالتأكيد لن ترفضَ هديتي.

ابتسم السلطان إعصار وقال: بالطبع.

نكباء: من تريد يا صاحب السموّ عليل أم هُبُوب؟

السلطان إعصار: إممم، هبوب أجمل من عليل.

شعر السلطان بالسّعادة فأمر بإعطاءِ نكباء جارية، اختارت نكباء جاريةً قصيرة القامة، ولكم تمنّت لو كانت قزمة، ولكنّها لم تجد فالجارية جفيف كانت أقصرهم قامة، كانت نكباء تحبّ التعامل مع قُصار القامة؛ فهم يشعرونها بعظمتها، وحتى عندما كانت زوجةً لعدنان أحضرت خادمةً قزمة لكي تغذّي إحساسها بالعَظمة والشموخ، ولكم تمنّت بأن يكون كلّ من حولها أقزام وهي فقط العملاقة، تدوس عليهم عندما يغضبونها ويَعصون أوامرها.

ألقت نكباء على جفيف دفترًا به عشرات الأشعار التي ألّفتها، كانت كلّها أشعار تبجيلٍ وتعظيم لها، أمرت جفيف بأن تلحنها وتردّدها عليها كلّ يوم عندما تعود إلى المنزل، كانت التيجان الكبيرة لا تفارق رأس نكباء وهي في المنزل، ولكم تمنّت أن لا تفارقَ رأسها أبدًا، ولكن القانون يمنع لبس التّاج على غير الملوك والأمراء، فكانت تلبسها فقط في المنزل، كانت تحبّ ارتداء الحليّ ذات الأحجار الكريمة الكبيرة، وتحبّ أيضًا ارتداءَ أكثر من قلادةٍ كبيرة في الوقتِ ذاته، وبالنّسبة للأوشحة فقد كانت تحبّ الأوشحة المزركشة والأقمشة اللامعة ودرجة الأصفر الفسفوري.

كانت جفيف تعتني بعليل وتعطف عليه أثناء غياب نكباء، كانت تشعر بالأسى على حالهِ واعتبرته طفلًا لها، ليس فقط جفيف بل أغلب الأهوية تعاطفت مع عليل وهبوب وأحسنوا إليهما ولا سيما تلك

الأهوية التي نشأت يتيمة؛ فقد كانت المرسلات - والدتهما المرحومة - تحبّ العطف على الأيتام، كانت تَحِن عليهم وتحاول أن تعوّضهم عن حنان الأم الذي فقدوه؛ فالمرسلات قد ذاقت مرارة فقد الأمّ في مرحلة الطفولة، ولكم تمنّت أن تجدَ من يَعطف ويحنّ عليها وهي طفلة، ولكنَّ الحظ لم يحالفها، فأقسمت على أن تعطف على كلّ يتيمٍ ويتيمة عندما تكبر، وأن تعاملهم كأبناء لها وتعطيهم الحبّ والحنان بسخاءٍ ولا تبخل عليهم، كانت المرسلات تحبّ رسم البسمة على وجوههم و تملأ قلوبهم بالسّعادة بدون أن تنتظر منهم أيّ مقابل، ولم تتخيّل بأنها ستحتاج لتلك الأهوية في يومٍ ما، فبعد موتها ردّت لها تلك الأهوية بعضًا من ذلك الدّين عن طريق إحسانها وعطفهما على طفليها هبوب وعليل، ومحاولة رسم الابتسامة على وجهيهما البريئين، بل إن كثيرًا منهم عرض على شهيق تبنّيهم ورعايتهم ولكنّه رفض.

عليل: ماذا الذي تقولينه يا ماما جفيف؟! نكباء هي سبب موت شقيقي هبوب؟!

* * *

خرج عدنان من الغرفة تاركًا آمال تصارع صدمتها القوية تجاه حقيقة والدتها...

هزّت آمال رأسها بالنفي وبدأت تنكر ما سمعته؛ علّها بذلك تخفّف من وطأةِ مرار صفعة الحقيقة.

آمال: أنا لا أصدّق، لا أصدق أنَّ والدتي الحبيبة هكذا، إنهم يكذبون عليّ لأنهم يكرهونها، إنهم يريدون خداعي، كيف تجرَّأ أزرق

على الكذب عليَّ كل هذه الفترة؟ وأوهمني بحبّه لي لكي يستطيع استدراجي وأخذي لعالمه وينتقم من أمّي عن طريقي.

وقفت آمال وضربت على الطاولةٍ وهي تتنفس بغضبٍ ثم صرخت: **أزرق اللئيم سوف أنتقم منك، ولن أسامحك.**

قامت آمال بتحطيم كل ما كان أمامها وهي تتوعد أزرق بالانتقام منه، ثم اتّجهت نحو غرفة الدّراسة وقامت بفتح الباب بقوةٍ وأمسكت بكأس الماء الزجاجي وألقته بقوة، فتفرقت أجزاؤه لعشرات القطع الصغيرة.

صرخت آمال بأعلى صوتها: **أزرااق...**

فزع أزرق من صراخ آمال فردّ بخوف: ما بكِ يا آمال؟

آمال: **كيف تجرأت على الكذب على أيّها اللئيم المخادع؟ يا لك من حقود وخبيث أردت أن تستدرجني حتى آتي لعالمك ثم تنتقم من أمي الحبيبة عن طريقي! سوف تدفع ثمن تحدّثك عن والدتي الحبيبة بالسوء، إن أمي أطهر وأنقى وأفضل من والدتك الكريهة والضعيفة...**

صرخ أزرق: **إياك والتحدّث عن أمي هكذا.**

آمال: **بلى سأتحدّث، وسأتحدّث عن والدك المسكين الذي أُبتلي بفتى عاق مثلك، لا عجب في عدم حبّه لك وتفضيل أختي نَفَس عليك، أختي الصّغيرة المسكينة التي ابتليت هي الأخرى بأخٍ حسودٍ وغيور مثلك، دخلت لحياتي وخدعتني وأوهمتني بحبك وأنا صدّقتك وجعلتُ من شخصٍ فاشلٍ**

**وضعيفٍ مثلك شخصًا ذو قيمة، إنك لا شيء يا أزرق، أنت نكرة ومكروه من الكلّ ولا أحد يحبك، الهوائيون الذين يتصرّفون معك بلطفٍ إنما يفعلون ذلك إشفاقًا عليك وعلى حالك، أما أنت بدون أن يشفقوا عليك شخصية منبوذة ونكرة وفاشلة وضعيفة.**

بدأ الماء المنسكب على الأرض بالغليان.

أزرق: كيف تتجرئين وتتحدّثين عن والدتي المرحومة بالسوء! تدافعين عن والدتك! ما الذي تعرفينه عن تلك السّفاحة حتى تجزمي بأنها طيبة؟ على الأقلّ أمي لم تتخلَ عني، بعكسك يا عزيزتي، فأمك أرادتك خادمة للسلطان، وقبل هذا ألقت بك في دارِ الأيتام، أنا لم أكذب قط بأيّ شيء قلته عن السفيهة والمريضة نكباء، وإذا لم تصدّقي ما أقول فتعالي وشاهديها بنفسك، شاهدي والدتك الحنونة والطيبة وهي تعامل الهوائيين بلطفٍ وحنان.

آمال: إنك تريد استدراجي لكي آتي لعالمك لتقتلني وتقهر أمي وتنتقم منها عن طريقي، لا تظنّ بأنك ستستطيع خداعي.

أزرق: أقسم لك بأنني لم أكذب عليك قط في أيّ شيءٍ قلته، وبأنني لم أكن أريد إلا أن تكوني زوجتي وشريكتي في الحياة، ولكنني الآن أشكر والدك الذي كان سببًا في أن أستطيع رؤية وجهك الحقيقي، وطريقة تعاملك معي عند الغضب، أيتها الحقيرة، قد أخبرتك بيدي التي تؤلمني وقمتي بلويها عند أول خلافٍ دار بيننا، تعايريني بنقاط ضعفي التي أخبرتك بها!

ثم صرخ: **وتتحدّثين عن والدتي المرحومة بالسوء! سيُحرق هذا اللسان الذي تحدّث عن أمي، سيُحرق جسد من قامت بمعايرتي بنقاط ضعفي، الويل لك؛ فقد أغضبت الشخص الخطأ يا آمال ولن أغفرَ لك إساءتك هذه.**

* * *

# لا عزا ء للوحيد

طرق منير الباب ولكنَّ وديع لم يُجِب، انتظر قليلًا ثم دخل، كان وديع يحبّ الجلوس بمفرده، يحبّ أن ينطوي على نفسه كل فترة؛ فهو يقول بأنه يركّز هكذا أكثر على عمله؛ فهو لا يحبّ الضّوضاء، اقترب منير من وديع ليوقظه ولكن وقعت عيناه على الحاسب المحمول الذي على المكتب، صعق منير عندما رأى الفيديوهات التي في جهاز أخيه...

أخي الكبير وديع يتحرش بالأطفال!

وجد عشرات الفيديوهات لأطفال مختلفين قام بتصويرهم وهو يتحرّش بهم.

ثم اتّسعت عيناه حتى الآخر من الدّهشة وقال: دنيا! هذه دنيا! إنها الآن في المرحلة الثانوية ولكنّها كانت طفلة هنا، كانت هنالك عشرات الفيديوهات لدنيا، في مختلف مراحلها العمرية، لقد كانت هي أكثر طفلة قام بتصويرها من بين جموع الأطفال!

دنيا الفتاة يتيمة الأب، كانت تقول له بابا! كانت تعتبره والدها وهو استغلّها، شعر منير بغضبٍ عارم...

دنيا المسكينة، إنها في نفس عمر ابنته شروق، تذكر أحلام وهي

تقول لهم «ابنتي أمانة عندكم، إنني أتركها عندكم وأنا مطمئنةٌ عليها؛ فأنتم أسرة صالحة».

تخيّل حينها بأنَّ أحدهم يتحرّش بابنته الحبيبة شروق ويمسّها بسوء، سوف يقتله، ودنيا مثل ابنته، لذا لن يُسامح وديع على استغلاله لها...

صرخ منير بأعلى صوته وهو يهزّ وديع بقوةٍ من قميصه ويقول: **أيّها الحقير.**

استيقظ وديع مذعورًا، وقبل أن يستوعبَ ما يجري حوله سقط على الأرض إثر اللّكمة التي وجهها منير له، تبعت تلك اللّكمة عشرات اللّكمات.

منير وهو يتنفس بغضب: **أيّها الوَضيع السّافل، لقد وثقت بنا والدتها وأنت استغلّيت براءتها وحبّها لك وهي طفلة، لن أغفر لك تحرشك بها!**

وديع وهو يمسح بذراعه الدم الذي نزف من أنفه: سأتزوّجها... لقد وعدتها بذلك، سنتزوج فور تخرّجها من الثانوية.

أبرح منير وديع ضربًا حتى كاد أن يغمى عليه من شدّة الضرب، هرب وديع من قبضةِ منير وركض نحو سيارته ثم توجّه مسرعًا إلى منزله، ولكنه كان يشعر بالدوار بسبب الضرب المبرح الذي تلقاه...

وفي منتصف القيادة بدأ يشعر بانعدام الرؤية ثم غاب عن الوعي.

* * *

بكت دنيا كثيرًا، بكت حتى تورّمت عيناها، ربما لن تستطيع البكاء مرةً أخرى فقد ذرفت عيناها دموع كلّ السنين القادمة.

عانت دنيا من مرارة الوحدة؛ فهي وحيدةٌ الآن، تبكي وتتألم وحدها، ولا أحد يشعر أو يعلم بمعاناتها، ولم تتلقَ العزاء على موت حبيبها، لم تجد من يخفّف عنها وجعها؛ فهي لا تستطيع أن تخبرَ أحدًا بما تشعر به؛ فشروق ستكرهها و ستحتقرها إذا علمت بأنها كانت على علاقةٍ بعمّها المتزوّج، وأمّها ستصاب بصدمةٍ وتتألم من أفعالها، أمّا آمال فستسخر منها ولن تتفهم مشاعرها أبدًا؛ فهي ترى بأن الحبّ غباء ولا تفهم شيئًا عنه، ذهبت دنيا لبيت غريمتها الأولى فاطمة، فرأت الناس حولها يعزونها ويحاولون التخفيف عنها وعن ابنتها وَسن، شعرت بأنها هي الأحقّ بهذه التعزية؛ هي من فقدت حبيبها، فوديع يحبّها هي وليس فاطمة، لقد كان يشتكي منها باستمرار ويخبرها دومًا بأنه لا يحبّها وبأن حياته معها ليست سوى سلسلة من المشاجرات، أمّا هي فلم تكن علاقته معها إلا غزل ودلال، لذا فهي الأحقّ بتلك المواساة.

نظرت دنيا إلى فاطمة بحقدٍ وبدأت تتساءل: لمَ يعزي الناس فاطمة على موت شخصٍ كانت تتشاجر معه باستمرار بينما هي تبقى وحيدة ولا تجد من يواسيها؟ ولمَ الناس يواسون وَسن على موت والدها وهي قد توفي والداها مرتين ولم يواسِها أحد على فقدها، أولًا والدها أدهم الذي هجرهم إلى أن مات حبّه في قلبها وعاشت طوال حياتها كاليتيمة ثم أبوها وديع.

كان الحزن ينخر قلب دنيا، ورؤية مواساة الناس لفاطمة ووَسن دون وجود من يواسيها ويفهمها ضاعف شعورها بالحزن عشرات المرات.

لم تجد من يفهمها إلا آلاتها الموسيقية، فأمسكت بجيتارها الرمادي الجميل الذي أهداه لها وديع واحتضنه وبدأت تمسح على أوتاره بكلّ خفّة، ودموعها تعانق خشبه العتيق، كانت الموسيقى هي فقط من تفهمها، هي من ساعدتها على التّعبير عن ألمِ الفقد وثقلِ الوحدة ومرارة الموت، أخرجت دنيا كل ألمها وحزنها على شكل معزوفاتٍ حزينة، وأغاني نشرت الشجن في قلوب كلّ من استمعَ إليها، غنّت دنيا وغنت وغنت... ونشرت بعد أسابيع من العزاء أولى مقاطعها في اليوتيوب ثم في باقي مواقع التواصل الاجتماعي، ولأن الغناء الذي يخرج من القلب يدخل مباشرةً لقلبِ المستمع، ولأن من يغنّي بإحساسٍ تكون أغانيه ذات وقعٍ مختلفٍ على آذانِ وقلوب المستمعين، لامسَ غناؤها قلوبَ الناس، وحصلت على العديد من المشاهدات، وأُعجب بها الكثيرون.

دنيا وهي تقرأ إطراء الناس على صوتها وعزفها: جهلني الناس وفهمتني الموسيقى.

وَشمت دنيا على صدرها الأيسر علامة ∞ ووضعت على يمينها حرف D وعلى يسارها حرف W، ولكن الوشم كان على الدوام مخبًا خلف ملابسها المسترة والفضفاضة التي طلب منها وديع في الماضي ارتداءها، نظرت دنيا لانعكاسها في المرآة، ثم وضعت يدها على

علامة ∞ وبكت...

دنيا: إنني أفتقدك، أفتقدك بشدّة يا حبيبي، ذات يومٍ قلت لي بأنه سيكون لي مستقبل في الغناء، وبأن الناس سيعجبون بغنائي وعزفي، وها أنا اليوم قد نجحت وأصبحت أُدعى لأغني في حفلات كبيرة، وقابلت كثيرًا من الشخصيات المهمّة، وأصبح من حولي فخورين بي، ولكن فرحتي ناقصة يا حبيبي فأنا أفتقدك على الدوام، كم تمنّيت أن تشاركني فرحتي، تمنّيت لو ترى ثمار تعليمك لي، وترى طفلتك الصّغيرة كيف أصبحت، يا معلمي وحبيبي وجميع أشيائي الجميلة إنني أحبك، وأعاهد نفسي على أن أبقى أحبك للأبد، أقسم على أنني سأغلقُ هذا القلب من بعدك وأقسمُ على ألا أفتحه أبدًا لأيّ شخصٍ آخر...

خَلَّف موت وديع فراغًا عاطفيًا كبيرًا في قلب دنيا، وفي الوقت ذاته كان هناكً الكثير من الشباب المعجبين بها والذين أمطروها بكلماتِ إعجابهم على غنائها وجمالها، كانت تردّ على رسائلهم وتتحدّث معهم لقتلِ الوحدة التي كانت تُحيط بها، كانت تتسلّى وتعبث بهم فقط، ولكن لم يستطع أيٌّ منهم تخطي عتبة باب قلبها الذي أغلقته وأوصدت إحكام قفله.

بعد أن بدأت تعلّم العزف على آلة الفزع بدأت تشعر بتأنيبِ الضّمير تجاههم، فحاولت الكفّ عن العَبث بهم، ولكن أتى ما ضاعف إحساسها بالذّنب؛ فقد بدأ قلبها يميل لخالد، وبعدها بدأ ينبض بحبّه، ولكنّها في نفس الوقت قد طلبت منه تغيير قصة شعره وطريقة لبسه،

وبالرغم من أن نوع اللّباس الذي كانت تفضّله دنيا كان يجعل خالد يبدو أكبر سنًا مما هو عليه إلا أنه نفّذ طلبها على الفور دون أن يعرفَ السبب، يكفيه أن هذا سيجعلها سعيدة.

إن دنيا الآن تحبّ خالد وتشعر بالسّعادة معه، لقد بدأت تفتقده إذا غابَ عنها وأصبحت تغار عليه وتريد تملُكه، ولكنها في الوقت ذاته تريد أن تغيّره ليصبح نسخةً من وديع... فهل تُعتبر دنيا الآن قد أحبّت خالد؟

* * *

حنان وهي تبكي: ستموت آمال يا أزرق، إنني لا أستطيع احتمال رؤية ابنتي وهي تتعذّب أمامي، أرجوك كفّ عن تعذيبها، أرجوك.

أزرق: ابنتك قد أغضبت الشخص الخطأ وهي تستحقّ العقاب.

حنان: أرجوك يا أزرق حاول تفهّم موقفها، لقد توالت عليها الصّدمات ومع الأسف قد قامت بتفريغ كلّ غضبها عليك، أولًا حقيقة أن والدتها لم تمت وبأنها تخلّت عنها، وبأنك كنت تعلم بعدم موتها وكتمت الأمر عنها، ثم تحدّثك عنها بسوءٍ طوال الفترة التي مضت، إن أكثر ما آلمها هو تحطّم تلك الصّورة المثالية التي رسمها وبقيت معلقةً في ذاكرتها طوال سنوات عمرها.

هزت حنان رأسها بالنّفي وقالت وهي تتنهد: ليتها لم تعلم... سامحك الله يا عدنان ليتك لم تخبرها بالحقيقة.

أزرق: لكنها تحدّثت عن والدتي المرحومة بسوء، وسأعاقبها بجعلها تتمنّى الموت ولا تجده، ستُعذب كثيرًا حتى ترجوني أن أدعها تموت.

حنان: يا بنيّ يا أزرق قد تحدّثت هي عن والدتك مرةً واحدةً في لحظةِ غضب، أما أنت فقد تكلّمت عن والدتها عشرات المرات، فقط ضع نفسك مكانها يا بنيّ.

أزرق: ولكن...

حنان: إنني لا أطلب منك أن تعودَ معها كما كنتما وتحبّها مثل السابق، بل سأتفهم موقفك إذا قطعت علاقتك بها، ولكن فقط دَعها وشأنها، اعفُ عنها من أجلي أنا، ومن أجل تلك الأوقات الجميلة التي أسعدتم فيها بعضكما.

تنهّد أزرق ثم قال: حسنًا.

توقفت المياه عن الغليان، واستطاعت آمال أخيرًا أن تروي ظمأها، ولكن أزرق اختفى من حياتها ولم يتحدّث إليها مطلقًا من بعد ذلك اليوم.

* * *

ياقوت: ما هذا الكتاب الذي بين يديك؟ ماذا تقرئين؟

شروق: إنني أقرأ عن نجم البحر، كم هو مخلوقٌ غريب! أتعلم بأنه إذا قَطعت أحد أطرافه فإنها ستنمو من جديد؟ وهو يعدّ من الخلوقات ذات التناظر الشعاعي.

ياقوت: تناظر شعاعي؟ ماذا يعني ذلك؟

شروق: أغلب الحيوانات ذات تناظرٍ جانبي، يعني أنه إذا قسمتها من المنتصف فإن النصف الأول يتطابق مع النصف الثاني، هذا هو التناظر الجانبي، أما نجم البحر فتناظره شعاعي، وذوات التناظر الشعاعي يمكن تقسيمها إلى أكثر من جزء، إمّا أربع أو خمس أو ست...

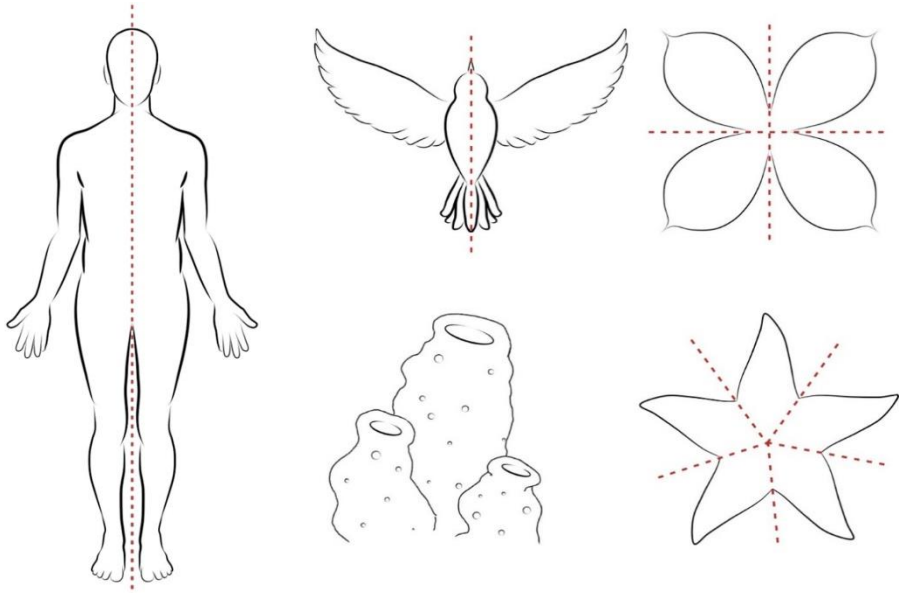

ومثله أيضًا الورد والتفاح، وهناك مخلوقات عديمة التناظر مثل الاسفنجيات.

ياقوت: فهمت قصدك، إنني أعرف

حيوانات ذات تناظرٍ ثلاثيّ.

شروق: حقًا؟ ما هي؟ لم ندرس عنها.

ياقوت: اسمها الهليميات.

شروق: الهليميات! لم أسمع عنها من قبل، هل هي من الحيوانات التي تعيش في طبقات الأرض السفليّة؟

ياقوت: لا، بل هي من حيوانات طبقة القشرة الأرضية النادرة، وهي موجودةٌ في بعضِ الجزر، ولكن لم يرَها أغلب البشر، وأيضًا هي مثل نجم البحر، تنموا وتتجدّد أطرافها إذا قُطعت.

شروق بحماس: حدّثني عنها أكثر، كيف هو شكلها.

ياقوت: لا أحبّ الوصف ولكن سأتشكّل بشكلها حتى تري بنفسك.

تشكل ياقوت بشكلٍ حيوان الهليمي.

شروق: واااو غريب، لا أصدق أن هذه الحيوانات موجودة في القشرة الأرضية! لمَ ليست معروفة؟

قطع حديثهم اتصال آمال.

شروق: مرحبًا آمال كيف حالك...؟ ما بك...؟ لم يبدو على صوتك الانزعاج؟

آمال: إنني مصدومة.

شروق: لمَ؟ ما الذي حصل؟

آمال: اليوم عندما كنت مع دنيا في الجامعة اتصل عليها خالد، فاستأذنت وذهبت بعيدًا لتحادثه، ولكنني رأيتها وهي تبتسم وتضحك

وهي تحادثه! ولقد أطالت في الحديث معه.

شروق: وما المشكلة في ذلك؟ ألا تعلمي بأنها تحبّه، وتقول بأنه هو أيضًا يحبها.

غصت آمال بالقهوة التي كانت ترتشفها وبدأت تسعل ثم قالت: ماذا تقولين! خالد ودنيا يحبّان بعضهما؟!

عادت بها الذاكرة إلى حديثه الأخير معها «ما الذي أُحبهُ فيكِ؟ كيف صدّقتني عندما أخبرتك بأنني أحبك؟ من الغبيّ الذي سيحبّ امرأة مثلك؟ إنك مثل الصبيان! بلا أنوثة، لم أشعر يومًا وأنا معك إنني أحادث فتاة، أشعر أنني مع أحدِ أصدقائي، إنك تفتقرين للأنوثة والجاذبية، وفاشلة في الحب...

كيف أتزوّج من فتاةٍ تحاول دومًا أن تكون ندًا لي؟ تحاول دومًا منافستي، لا أشعر بأنكِ بحاجةٍ لي، لا أشعر معك بأن لي أيُ أهمية، وأنا أحب المرأة التي تشعرني بحاجتها لي، فتاة أدلّلها وأعتني بها وأحميها و...»

جُرحت آمال بعمقٍ من أول شخصٍ أحبّته، وقبل أيام اكتشفت بأن حبيبها التالي كان يخدعها، بل يخطّط لإيذائها، ولكن لمَ يحصل معها كل هذا؟ لمَ تفشل هي في علاقاتها العاطفية بينما دنيا تتنقل من حبيبٍ الى آخر؟ الكثير معجبون بها ويحبّونها، يحبّون الفتاة المدلّلة التي تعبث بهم وتكذب عليهم وتستغلهم... أما هي فالأذى لا يكفّ عن الالتصاق بها وهي التي لم تحبّ إلا بكلّ صدقٍ وإخلاص.

آمال: وما الذي أحبّه خالد فيها؟ ما الذي أحبّه في تلك الفتاه المدلّلة عديمة النفع.

شروق بانزعاج: دنيا عديمة النفع؟!!

آمال: بل و ضعيفة الشخصية، تبكي على أتفهِ شيء، وأيضًا لا يمكن الاعتماد عليها و...

شروق: يكفي يا آمال لا تتحدّثي عن دنيا هكذا.

آمال: أنا أجزم بأن علاقتهما لن تدوم، وستأتي إليّ باكية وهي تخبرني بأن خالدًا قد تلاعب بها وكسر قلبها المرهف والرقيق، لا سيما بأنها هي من تترك معجبيها في العادة وليس العكس، ولم يعتد قلبها الرقيق إلا على الغزل والإطراء.

شروق: أدام الله حبهما وسعادتهما، ما مشكلتك مع دنيا؟ ألم تقولي بأنك تحبّين أزرق وأنك لا ترين أحدًا غيره؟ وبأن خالد هو من الماضي وقد تخطيتِ ونسيتِ الماضي؟

أغلقت آمال الخط ورَمت هاتفها المحمول على السرير ثم قامت بضربِ المكتب الذي أمامها ورمي كل ما فيه.

آمال: لِم يحدث هذا معي؟ خالد ثم أزرق، أبي والمربية حنان، والآن شروق تقف في صفّ دنيا.

* * *

ما دمنا بشر فجميعنا رماديون...

رماديون ولكن بدرجاتٍ متباينة...

ويحدث الخطأ عندما لا يتقبّل الشخص رماديته فيحاول بأن يكون أبيضًا ناصعًا، فيرهق نفسه بالسّعي نحو الكمال والمثالية ويجلد نفسه على نواقصها، هفواتها وعثراتها...

ويحكم على كلّ من يختلفون عنه بالسّواد...

أصبحت آمال كثيرة الانتقاد لدنيا ولشخصيتها وتصرّفاتها، في البداية كانت تسخر منها بلهجةٍ مازحة ثم صارت تنصحها بأن تحاول أن تتغيّر وتصبح قويةً وصلبةً مثلها، وبعد ذلك أصبحت تؤذيها بكلامها الجارح، فازداد النفور والكره سريعًا في قلبِ دنيا، لا سيما أنها قد أخبرت آمال مرارًا بأنها تتأذى من كلامها ولا تحتاج إلى نصائحها تلك، ولكن آمال تجاهلت ذلك واستمرّت بتجريحها حينها ابتعدت دنيا عنها وبدأت بالتفكير بالطريقة المثلى للانتقام منها على أذيتها تلك.

* * *

# لنمرح أيها الغمام

استيقظت نكباء من نومها متأخرة وهرعت إلى دورة المياه حتى لا تتأخر عن العمل؛ فهي تكره أن تتأخر حتى لا يفوتها استفتاح يومها بالنّشيد الوطني، شهقت عندما رأت انعكاس وجهها على المرآة، كانت نَفَس قد وضعت على وجهها مساحيق تجميل وهي نائمةٌ بشكلٍ جعلها تبدو كالمهرج.

نكباء وهي تصرخ بأعلى صوتها: **نَفَاااااس، كيف تتجرئين على الاقتراب من وجه والدتك الجليلة عظيمة الشأن وتجعلينه هكذا؟**

بدأت تبحث سريعًا عن مزيل المكياج ولكنّها لم تجده، فالتفتت فوجدته بحوزةِ نَفَس، كانت نَفَس تريها إياه وهي تضحك عليها، فقامت نكباء بالتّحليق بسرعةٍ حتى تمسكَ بها ولكنها لم تستطع مجاراتها في سرعتها في الطيران، كانت تطاردها كما يطارد نسرٌ فريسته حتى انقضّت عليها أخيرًا، ولكن بعدما تأخر الوقت وفاتها سماع النّشيد الوطني.

نكباء: **سوف تعاقبين، وعقابك سيكون عسيرًا عندما أعود.**

نَفَس وهي تقاوم ضحكتها: وما الذي ستفعلينه بي؟ لا تستطيعين فعل أيِّ شيء.

ثم أكملت وهي تلعب بخصلات شعرها الطويل بشكلٍ مستفز: «ممنوع ضرب الأبناء».

لم تكن نكباء تستطيع التعدّي على ابنتها بالضّرب؛ فالقوانين صارمة ولا سيما عليها؛ فقد قامت نَفَس بالشكوى عليها عندما كانت طفلة بعدما أبرحتها نكباء ضربًا عندما عادت إلى المنزل ووجدتها قد لوّنت جميع صورها وجعلتها تبدو كمهرجٍ في بعضها وبعضها الآخر رسمت عليه قرونًا، وأما بقية الصور فقد جعلتها تبدو فيها كالحيوانات التي في عالمهم، جُنَّ حينها جنون نكباء؛ فهي لا تتهاون قط مع أي شخصٍ يَسخر منها، فهي صاحبة الشأن الرفيع والفخامة والوقار التي ليس لها مثيل، ولكن جمعية «الأسرة السعيدة» طبقت القوانين وعاقبت نكباء على ذلك، وعندما علمت السلطانة أريج بذلك وهي التي سنّت معظم قوانين حقوق الأبناء في عالمهم، طلبت منهم المجيء كل أسبوع إلى بيت نكباء للاطمئنان على نَفَس، ومضاعفة العقاب على نكباء إذا لاحظوا أي آثار للعنفِ على نَفَس، كان عمل الجمعية يقتصر على ملاحظة آثار العنف الجسدي فقط، أما العنف اللفظي فلا دليل عليه، ولكن نَفَس قد تبلّدت في كل الأحوال ولم تعد كلمات والدتها تؤثر عليها.

أغلقت نكباء الباب بقوةٍ عند خروجها فنادتها نَفَس: **أمي، لقد نسيتِ الغمام المشويّ.**

في نهاية اليوم عادت نكباء وهي غاضبة؛ فنَفَس قد وضعت في الغمام الذي أعدته والدتها نكهةً شديدة المرارة، وهي التي كانت تشتهي أكل الغمام أثناء فترة الاستراحة، أمسكت نكباء بنَفَس ودفعت بها إلى غرفتها وأقفلت عليها الباب.

نكباء: **ستحبسين هنا لأربعةِ أيام.**

ابتسمت نَفَس ثم التفتت للوراء وحلقت للأعلى وأزاحت لوحة كانت على أعلى الجدار فظهر بابٌ حديديّ صغير، ففتحته فخرجت منه طيور الغمام التي التفت سريعًا حول نَفَس ببهجة.

الغمامة ١: نريد أن نلعب.

الغمامة ٢: نعم نريد أن نلعب معكِ.

نَفَس: ماذا تريدون أن نلعب؟

الغمامة٣: لعبة الغميضة.

هتفت باقي الغمامات: نعم، لعبة الغميضة، لعبة الغميضة.

نَفَس بحماس: حسنًا هيا بنا.

التفتت نفس إلى الحائط وبدأت بالعدّ فانتشر الغمام في الغرفة وبدؤوا بالاختباء في نفس الأماكن التي كانوا يختبؤون فيها في كلّ مرة، وكالعادة كانوا يظنّون بأنهم نجحوا بالاختباء بمجرد أن يخبؤوا رأسهم ويصبحوا هم غير قادرين على رؤية نَفَس.

* * *

ضحكت آمال وقالت بلهجةٍ ساخرة: لمَ لا ترتدين إلا الملابس الورديّة؟ إنها تجعلك مثل الأطفال ولا تناسبك.

أمسكت دنيا بيدِ آمال وقالت بحنان: عزيزتي آمال، إنني أعلم بأن جرح خالد ما زال يؤذيك حتى الآن، لقد قلتِ بأنكِ تجاوزته ونسيته، ولكنني أفهمكِ يا آمال وأشعر بكِ، وأعلم بأنكِ تحاولين تناسي ذلك

الجرح ولكنكِ لم تستطيعي.

تبدلت نظرات آمال الساخرة لنظراتٍ حزينة.

دنيا: ولكنني سأساعدك يا آمال؛ فأنت صديقتي ولن أرضى بأن أراك تتألمين هكذا وأتركك من دون أن أساعدك، علينا أن نخيطَ ذلك الجرح ونضمّده، ولكن قبل أن نخيطه لا بد من أن ننظّفه أولًا، من الخطأ أن نغلقه وهو ما زال ملوثًا؛ فبذلك سيتعفّن هذا الجرح ويؤذي من حولك بعفنه، ولكن لن أتمكّن من تنظيفِ جرحك إذا لم تساعديني.

آمال: ما الذي يمكنني فعله؟ لقد حاولت كثيرًا ولكنني فشلت.

دنيا: أريدكِ أن تخرجي كلّ الألم الذي داخلك الآن، احكِ لي مشاعرك، احكِ لي كلّ شيءٍ ضايقك وآذاك، أخرجي الآن كلّ ألمك.

آمال: ولكنني لا أحبّ، لا أحبّ أن أفصحَ عما يوجعني، لا أحبّ أن أضعفَ أو أنكسرَ أمام أحد، أحبّ الحفاظ على قوّتي وصمودي.

دنيا: ولكن يجب عليك يا حبيبتي أن تخرجي كل الآلام المتكدّسة داخلك حتى نستطيع ملء داخلك بما هو جميلٌ ولطيفٌ مثلك، لن تستطيعي استقبال مشاعر الفرح والحبّ ما دام داخلك مكدّسًا بالألم والمشاعر المؤذية، لذا سأساعدك يا صديقتي على إخراج آلامك وتنظيف أعماقك، أخبريني الآن لم أنتِ غاضبةٌ من خالد؟

اقتنعت آمال بكلام دنيا وبدأت تتحدّث عن كلّ ما آلمها وأذاها حتى أجهشت بالبكاء.

دنيا: لقد آلمك رفض خالد لك، وأيضًا ربما ذكرك هذا لرفض

زميلاتنا لك عندما كنتِ في الصّف السادس الابتدائي، وربما أيضًا تفريق معلمتنا عفراء لكِ عن باقي الطالبات وسخريتها منك أمامهن عندما كنا في المرحلة المتوسطة.

آمال وهي تبكي: نعم، نعم.

اعتصرت دنيا ذاكرتها وبدأت بتذكير آمال بكل المرات التي رُفضت فيها ولم تشعر فيها بالتقبّل، كانت تنوي أن تذكرها بكلّ تلك المواقف حتى تقول آمال بلسانها بأنها شخصٌ منبوذٌ وغير مرغوب، بالرغم من أنها ليست كذلك بل على العكس.

آمال: لمَ حدث لي كل هذا؟ لم الناس تكرهني ولا تحبّني؟

دنيا: لا تحزني يا آمال كلّنا نعاني، أنا أيضًا أعاني من مطاردة المعجبين، إن ملاحقتهم لي تخنقني وأنا أشعر بالضّجر منهم، ومن صندوق الرسائل الذي يكاد ينفجر من رسائلهم المزعجة.

كانت دنيا سعيدة لأن آمال قد وصلت لأضعفِ حالاتها، وهذا ما سيسهل عليها بدأ لعبتها التي تتقنها وتحبّها كثيرًا...

العبث بمشاعر الناس...

إنَّ آمال الآن في أضعفِ حالاتها وستتمكّن الآن من امتصاص ثقتها الزائدة وبرمجتها على أنّها منبوذة.

كانت صهباء متعاطفةً مع آمال وممتنةً لدنيا التي تساعد صديقتها بالرغم من أنها كانت تؤذيها في الفترة السابقة، أما شروق فقد كانت مدركةً لكل ما تفعله دنيا، وصارعت رغبتها في لطمها لعبثها بآمال.

آمال: لا أحد يحبّني، حتى أمي تخلّت عنّي، وألقت بي في دور الأيتام عندما كنت رضيعة.

صعقت الصديقات الثلاثة وقالوا: **ماذا؟!!!!**

صهباء: أمك لم تتخلَّ عنك يا آمال، ما بك؟! ولكن الموت خطفها منك.

آمال: لا، لقد تخلّت عني، وألقت بي في دارِ الأيتام.

وأيضًا أزرق كان يخدعني ويكذب عليّ.

عقدت الدّهشة ألسن الصّديقات الثلاث مما نطقت به آمال.

آمال: لم يحدث لي هذا؟ لم لا يحبّني أحد؟

حكت آمال عن كلّ ما مرّت به في الفترة السابقة، فدمعت عينا دنيا وأشفقت على حالها، وقرّرت التوقف عما شرعت بالقيام به، وقرّرت أن تدعها وشأنها.

شفقتها تلك لم تعني بأنها قد صفحت عنها وطردت الكره الذي غرسته آمال في قلبها، ولكنّها ستدعها وشأنها؛ فما تعانيه الآن يكفيها، كانت شروق وصهباء مشفقتين على آمال ويواسينها، حينها تراجعت دنيا للوراء وهمّت بالرحيل، نظرت لآمال للمرةِ الأخيرة وكأنها تودّعها؛ فقد قرّرت الابتعاد عنها وإخراجها من حياتها.

ولكن...

رن هاتفها...

أجابت دنيا على الهاتف.

أحلام بصوتٍ ممتلئ بالسّعادة: مرحبًا دنيا، لديّ خبر سعيد لكِ أنتِ وآمال اضغطي مكبّر الصوت.

تعجبت دنيا وضغطت على مكبّر الصوت فأكملت أحلام بنبرتها السعيدة: مرحبًا يا فتيات، كيف حالكن؟ أريدكن أن تأتوا إليَّ الآن، فهناك مفاجأة جميلة لآمال ودنيا.

دنيا وآمال: مفاجأةٌ لنا!

أحلام: نعم، وستعجبكما كثيرًا، لا تتأخرن يا فتيات أنا في انتظاركن.

كانت آمال تقود السّيارة وما إن وصلت حتى تغيّرت تعابير وجهها.

كان خالد خارجًا من سيارته وقاصدًا هو أيضًا بيت دنيا وهو يحمل باقة ورود ومعها بالونات مملوءة بغاز الهيليوم، وإحدى البالونات كانت على شكل خاتم خطوبة.

فتساءلت آمال في نفسها: ما الأمر؟ ما الذي تخطط له الخالة أحلام وابنتها؟ هل علمت الخالة أحلام بأمر علاقتي السّابقة بخالد؟ هل علمت بأني ضايقت ابنتها المدلّلة وتريد أن تغيظني بأفعالها؟ ما الذي يخطّطان له؟

صهباء وهي تدفع رأس آمال: ما بكِ يا آمال؟ هيا انزلي.

دخلت آمال والتقت عيناها بعينيّ خالد الذي بدا مسرورًا.

خرجت بلقيس من المطبخ وهي تتغطرف ومعها كعكةٌ جميلةٌ وفوقها خاتم فضيّ صُنع بعجينة السكر.

الخالة بلقيس: ألف ألف مبارك.

احمرّ وجه دنيا فأتت شروق واحضنتها بشدّة: ألف مبارك يا حبيبتي.

صهباء وهي تبتسم: ألف مباوك يا دنيا، والعقبى لي.

خلود وهي تقفز: دنيا ستصبح عروسة، دنيا ستصبح عروسة.

ابتسمت أحلام وقالت: بإذن الله يا ابنتي ستكونين أجمل عروس، ولكن هذه الحفلة ليست لكِ أنتِ وخالد.

نظرت الصديقات لأحلام بدهشة.

أحلام بخجل: هذا حفل خطوبتي، ستصبحين أنتِ وآمال أخوات.

ثم ضمّت كفّيها وقربتها نحو خدّها وأكملت ببهجة: ما رأيكما بالمفاجأة؟

نظرت آمال ودنيا إلى بعضهما بصدمةٍ وقالتا: **ماذاااا؟!!**

بلقيس: ستتزوّج أمك من السيد عدنان.

خالد: العقبى لنا يا حبيبتي دنيا، قريبًا سنكون أنا وأنتِ أيضًا أجمل عروسين.

لم تتمالك الخالة بلقيس نفسها فبدأت تبكي من شدّة تأثرها.

بلقيس وهي تمسح دموعها بطرفِ منديلها المطرز: ألف مبارك يا أختي.

ثم نظرت إلى الصّديقات الأربع وقالت: والعقبى لكنّ جميعًا، عندما كنا في عمركن كانت الفتاة تتخرّج من الثانوية وهي في بيتِ زوجها، وكانت الفتاة تساعد والدتها في ترتيب المنزل وتدخل إلى المطبخ منذ نعومة أظفارها؛ فقد ربّتنا أمهاتنا على السناعة و...

صهباء: وما شأننا نحن بكنّ؟

همست شروق وهي تقرص يد صهباء: اصمتي.

دنيا: عيب عليك يا صهباء، لا تجادلي الخالة.

شهقت الخالة بلقيس ووضعت يدها على فمها وقالت: فتاةٌ قليلة التهذيب، هذه النّصائح الثمينة هي التي ستفيدك في المستقبل أكثر من تلك الدورات الفارغة والسخافات؛ فالرجل يحبّ الفتاة السنعة والمطيعة، والصّبورة أيضًا

نظرت بلقيس إلى أحلام وقالت: فتيات مدلّلات.

ثم تذكرت غرفة ابنها وقالت: وحتى الشباب، يقضون جلّ وقتهم مع أصدقائهم وإذا عادوا ينعزلون في غرفهم التي تشبه...

تراجعت آمال إلى الخلف ثم ركضت إلى سيارتها، وبدأت تقودها بسرعةٍ وهي تحاول استيعاب الأمر: دنيا ستعيش معي؟ أنا سأكون مع دنيا طوال اليوم وأراها وهي تتدلّل وتتحدّث مع خالد طوال الوقت! لاااا.

همست صهباء لشروق: لم خرجت آمال؟ ما خطبها؟

خالد: دنيا! ما الذي يبكيك؟

بلقيس بقلق: ما بكِ يا دنيا؟

جلست دنيا حينها على الأرض وانهارت باكية.

* * *

# هل سؤلقى في سلة المنسيين؟

دخلت آمال إلى المنزل وألقت بجسدها على الكرسي، ثم رفعت رأسها وتنهدت.

آمال: لا أصدّق، تلك المدلّلة ستعيش معي.

سمعت صوت عدنان من ورائها وهو يقول بسعادة: كيف كانت المفاجأة يا ابنتي؟

ضمّت حنان كفّيها معًا وقربتهما عند خدّها وقالت بتأثر: لطالما كنتِ تقولين لي وأنتِ طفلة أنك تتمنّين أن تكوني أنتِ ودنيا أخوات، وها قد تحقّق حلمكما.

عدنان: سيصبح لديّ الآن ابنتان.

انفعلت آمال على والدها ومربّيتها، وبدأت بإقناعه بأن يتراجع عن الأمر، ثم بدأت بإبرازِ عيوب وانتقاد دنيا وأحلام بطريقةٍ وقحةٍ وسيّئة، وهذا ما جعل والدها يسكتها بصفعةٍ قويةٍ أسقطتها أرضًا، ولكنّها لم تسكت بل استمرّت بشتمهم ووَصفهم بأسوأ الأوصاف.

* * *

مرّ أسبوعٌ ودنيا ما زالت حزينة وغير راضية عن الأمر، لم تعد تشتهي الطّعام وبقيت تبكي باستمرار.

أحلام بنفاذِ صبر: كفّي عن التنكيدِ والبكاء، لقد أفسدت عليَّ فرحتي بتصرّفاتك.

دنيا وهي تبكي: ستتزوجين وتنشغلين عني، أنتِ الآن مشغولةٌ عنّي وبعد الزواج ستنشغلين أكثر وتنسيني، وسأصبح حينها بلا أم أو

أب.

أحلام: ما هذا الكلام! كيف أنساكِ يا بنيتي، كيف أنساك وأنتِ أغلى ما أمتلكه في هذه الحياة.

اقتربت أحلام من ابنتها ووضعت كفّيها على خدّيها وأكملت: أنتِ ابنتي الحبيبة وفرحتي الأولى، منذ اللّحظة الأولى التي وجِدتِ فيها في حياتي تغيّر كل شيءٍ بي، لقد غيرتُ كثيرًا من تصرّفاتي وعاداتي من أجلك يا ابنتي؛ فقد كنت مدركةً بأنك ستتأثرين بي وتقلّديني، من بعد تلك اللّحظة التي وجِدتِ فيها في حياتي سعيتُ جاهدة لأكون أفضل نسخة من نفسي، لأجلك أنتِ، إنك هديتي من الله، كيف تقولين بأنني سأنساكِ يا بنيّتي.

دنيا بحزنٍ ممتزجٍ بكثيرٍ من القلق: ولكن السيد عدنان ربما سيغيّرك عليّ، ويقسّي قلبك عليّ، هنالك كثيرٌ من الأزواج يفعلون هذا، وأنا أخشى ذلك.

أحلام: عدنان شخصٌ طيبٌ وحنون، وقد قال لي بأنه يعتبرك مثل ابنته ولن يفرّق بينكما، وأنا أيضًا سأعتبر آمال ابنتي.

دنيا بغيرة: تعتبرين آمال ابنتك؟ آمال!

أحلام: نعم يا عزيزتي؛ فالفتاة بلا أم، وأنا أريد أن أكون رحيمةً وعطوفةً عليها وأعطيها الحنان والحب؛ لعلّي بذلك أستطيع سدّ ولو جزء بسيط من الفراغ الذي خلّفه وفاة والدتها المرحومة، سأعتبرها ابنتي.

دنيا وهي تمسح دموعها: أمي أنا لا أحبّ آمال، إنها دائمًا تنتقدني وتسخر مني.

أحلام بدهشة: آمال تسخر منك!

دنيا: نعم، إنها تقول بأني ضعيفة الشخصية ومدللة و...

حكت دنيا لوالدتها عن انتقادات آمال لها.

أحلام بانزعاج: لا تبالي بما تقول، تجاهليها.

دنيا: أمي أنا لا أحبّ السيد عدنان، لا أتخيّل أن يكون أبي.

أحلام: إنني وحيدة يا دنيا، لقد عانيت كثيرًا بسبب والدك الذي هجرنا وتركني وحيدةً أواجه مشقّة الحياة، إنني أعمل طوال اليوم وأعود في آخرِ النهار منهكةً بسبب عملي الذي يطلب مني الوقوف لساعاتٍ متواصلةٍ لأوفّر لكِ يا بنيتي الحياة الكريمة، ولكنك الآن ستتزوجين يا عزيزتي وستنشغلين بحياتك الجديدة، وأنا سأبقى وحيدة، لقد حان الوقت لأرتاح، أريد أن أنعمَ بالراحة، أريد سندًا لي، أريد أن أُحِبّ وأحَب، ألا أستحقّ أن أعيش قصة حبٍ جميلةٍ من بعد عناءِ كلّ هذه السنين؟

دنيا: بلى تستحقين...

تعاطفت دنيا مع والدتها وتفهمت موقفها فقالت بغصّة: تستحقين أن تحبّي وتعيشين حياةً سعيدةً وأنا سأساعدك على هذا يا أمي، أنا مع سعادتك وراحتك، ولكن أرجوكِ لا تنسيني...

* * *

مرَّت ثلاث أسابيع وآمال متخاصمة مع والدها، ولم تتوقف عن التحدّث بالسوء عن دنيا وأحلام، كان مجرد التفكير بأن دنيا ستعيش معها في نفس المنزل يُثير اشمئزازها، ستأتي دنيا وسيأتي ابن خالتها الحبيب خالد لزيارتها في وسط منزلها، دنيا المغنّجة ستكون معها في المنزل طوال اليوم، كيف ستحتمّل هذا؟ كيف ستحتمّل فكرة أن والدها المشغول عنها دومًا سينشغل عنها وربما سينساها بسبب وجود شريكة حياته الجديدة، ستُلقى في سلّة المنسيين وتصبح لا شيء في حياة والدها العزيز الذي لا يوجد لها قريبٌ في هذه الدنيا غيره، لقد تغيّر والدها من الآن وأصبح كثير الحديث عن أحلام ولا يبالي بعدم رضاها عن ذلك، بل صفعها عدّة مراتٍ لشتمها أحلام وابنتها الكريهة دنيا.

تغيّر والدها، وبدأ يغيّر أثاث المنزل الذي كانت تحبّه من أجل إنسانةٍ لم تعتبرها إلا دخيلةً عليهم في منزلهم، وها هي الغرف الفارغة في المنزل قد تأثّثت كلّها، كانت ترى العمال وهم يدهنون إحدى الغرفتين الفارغتين باللون الوردي، ثم يدخلون الأثاث والكماليات التي جعلت الغرفتين وكأنّها غرفة أميرة مدلّلة، إنها بالتأكيد غرفة دنيا

بدأت تتفحّص غرفتها وهي تقول في نفسها: اللئيمة! لم تختر إلا أفخم وأغلى أنواع الأثاث، لقد كدّست غرفتها بالكماليات، ثم لم كلّ أشيائها باللون الوردي؟! كأنها غرفة أطفال! ألوان غرفتها تشعرني بالغثيان.

رجعت آمال إلى غرفةِ نومها وبدأت تتفحص أثاثها وتقارنه

بتنسيقِ دنيا، لم تكن آمال محترفةً في تنسيق الألوان ولم تكن تحبّ الكماليات، كانت تميل للأشياء العملية ذات الجودة العالية على عكسِ دنيا التي كانت تركز على مظهر وألوان الأشياء أكثر من جودتها، لاحظت آمال بأن أثاث جميع غرفها الأربع (غرفة النوم الدراسة، الملابس، غرفة الذكريات) قد بدا قديمًا ويحتاج للتغيير باستثناء أثاث غرفة الذكريات الذي كانت تحبُّ طابعه القديم، ذهبت إلى عدنان وقالت له: أبي أريد تغيير أثاث غرفي، كلّ أثاث غرفي قد أصبح قديمًا ويحتاج للتغيير باستثناء غرفة الذكريات.

ردّ عليها عدنان من دون أن يلتفتَ إليها بسبب اندماجه بمشاهدة نشرة الأخبار: لا.

آمال: أبي هل تبخل عليّ؟

عدنان: لا، ولكن لا توجد لديّ الآن سيولة في المال بسبب استعدادات الزواج؛ فكما تعلمين بأننا سنقضي شهر العسل في المالديف ثم سنتنقل في دول أوروبا.

ألقى فطيرة سبانخ صغيرة بحجم إصبع الخنصر في فمه، ثم أكمل وهو ما يزال ينظر إلى التلفاز: أريد منك أن تكوني لطيفةً مع دنيا عندما نسافر؛ فهي بالتأكيد ستشعر بالخجل، لقد أوصيت حنان عليها كثيرًا ولكن أنتِ أيضًا يجب أن تكوني لطيفةً معها.

ثم نظر إلى صحنٍ ارتصّت فيه مجموعةٌ من فطائر السبانخ الصغيرة، والتقط واحدةً من الصّحن وأعطاها لآمال ثم قال: تذوّقي

هذه، كم هي لذيذة! وكم هي لطيفة دنيا؛ لقد أخبرتني أحلام بأن دنيا قد أعدّت لي فطائر السبانخ عندما علمت بأنني أحبّها، لقد أصبحت تعدُّ لي الأطباق التي أحبّها وترسلها لي مع والدتها، أريدك أن تتعلّمي منها فنون الطّهي وتصبحي مثلها تعدّين الأطباق اللذيذة، وقد أخبرتني أحلام أيضًا بأنها تحبّ الترتيب والنظافة.

آمال: ما رأيك يا أبي بأن نستغني عن الطاهي والخدم ما دامت دنيا ستأتي؟ فهي ستكون خادمة وطاهية ماهرة، بعد عدّة سنوات سأترقى أنا وأصبح سيدة أعمالٍ ناجحة وثرية وهي ستترقى من فتاةٍ محبة للنظافة إلى خادمةٍ تنظف لنا منزلنا، ما رأيك يا أبي أن تطلب من دنيا النظيفة بأن تلمع لكَ أحذيتك، فهي متسخةٌ بالغبار ودنيا مهووسة بالنظافة.

ضرب عدنان الطاولة بقوةٍ وصرخ في آمال: **يا قليلة التهذيب، توقفي عن الحديث عنها هكذا.**

خرجت آمال وأغلقت الباب خلفها بقوّة.

لم يكن عدنان يبالي بها وبمشاعرها، لقد كان جلّ تفكيره في حبيبته أحلام، وما دام إسعاد دنيا سيسعد حبيبته فهو سيسعى أيضًا لإسعادِ دنيا، وقد كانت آمال تراه وهو يسعى لذلك ويطلب منها أن تقوم هي أيضًا بذلك.

* * *

# المذاق النوري

نجحت شروق أخيرًا بعد ثلاث أسابيع من الحوار مع أزرق وآمال من الإصلاح بينهما، وبالرغم من مشقّة ذلك إلا أنها نسيت كل المشقّة والتّعب عندما رأت أن العلاقة بينهما قد عادت كما في السابق.

آمال: من الذي كنتَ ستقتله حتى أتمكّن من التحوّل لهوائية؟

أزرق: نَفَس.

شهقت آمال ثم قالت: أردت أن تقتل أختي الوحيدة.

أزرق: لا تنسي بأنها أختي أنا أيضًا.

آمال: لماذا تقتل؟ ألا توجد طريقةٌ أخرى لتحولي لهوائية من غير أن تقتلَ أحدًا؟

أزرق: السلطان إعصار قد اشترط ذلك.

آمال: إذًا سأعيش معك وأنا بشرية.

أزرق: لا يمكن؛ فالقوانين تمنع ذلك؛ فالسلطان يعتبر البشر ملوّثين؛ لأنكم تستنشقون هواء المصانع الملوّث ويرى بأنكم ستلوّثون عالمنا إذا تجوّلتم فيه بهيئتكم البشرية.

آمال بسخرية: ولكن يمكنني المجيء إلى عالمك من دون أن نخبره بذلك.

أزرق: ولكن إذا كُشف أمرك، وعلم السلطان أو وليّ العهد بأنني ساعدتك على ذلك فسيشككون في ولائي لهم، وربما يعتبرونني خائن، والعاقبة ستكون وَخيمة.

آمال: ما دخل هذا بولائك؟!

تنهدت ثم قالت: تحبّون تعقيد الأمور!

أزرق: ...

آمال: أريد أن أكلّمه.

أزرق: ماذا؟!!! ما الذي تقولينه.

آمال: سأكلّم السّلطان إعصار وسأقنعه بتحويلي لهوائية من دون أن أقتلَ أحدًا.

أزرق: أنتِ لا تعرفين السلطان إعصار، إنه متعطشٌ دائمًا للقتل ولن يتردّد في قتلك إذا شعر بأنك قد أضعتِ وقته بكلامك.

آمال: لقد علمت عن تعطشه للدم من خلال حديثك، ولكنني أثق بأنني أستطيع إقناعه، إنني أثق بقدرتي على الإقناع.

أزرق: هذه مجازفة.

آمال: بعض الأشياء تستحقّ المجازفة، ولكن أحكِ لي أكثر عن السلطان إعصار حتى أفهم طريقة تفكيره أكثر وبذلك أخطّط لطريقةِ التّعامل المناسبة له، واحكِ لي أيضًا عن عالمكم.

أزرق: السلطان إعصار سريعُ الغضب ويستمتع بالقتلِ والتّعذيب، يحبّ التبجيل والتّعظيم ويحبّ التّعامل مع الشخصيات القوية

والمخلصة في عملها، أمّا بالنسبة لعالمنا فإحدى الأشياء التي ستتغيّر عليك إذا تحولتِ إلى هوائية هو حاسة التذوّق، فسيستطيع لسانك استشعار المذاق النوري.

آمال: المذاق النوري! لم أسمع به من قبل.

أزرق: المذاق النوري هو إحدى المذاقات الأساسيّة مثل الملوحة والحموضة والحلاوة...، والمستشعرات الخاصّة به موجودة في منتصفِ اللّسان ولكنه معطلٌ عند البشر، بالرغم من أنّ هذا المذاق هو المذاقُ الأساسيّ.

آمال: وكيف طعم هذا المذاق؟

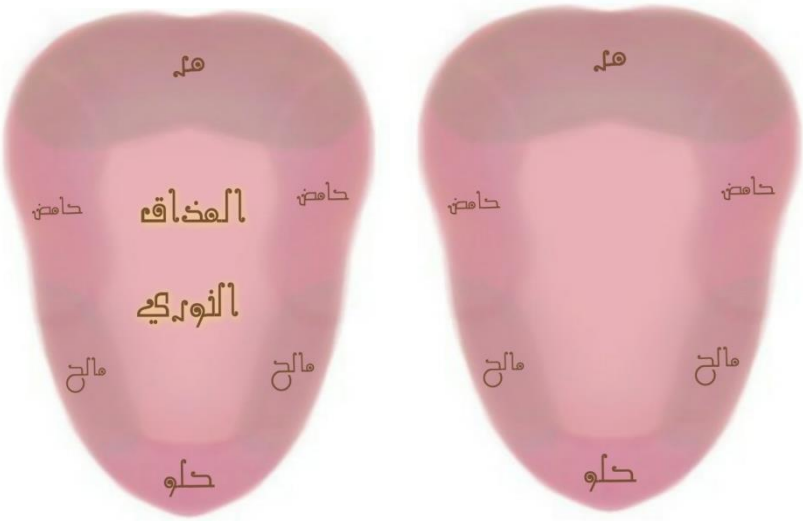

أزرق: نوري!

ضحك أزرق ثم قال: لا أعلم كيف أصفهُ لك، إذا أتيتِ عندنا ستجربينه، يتمّ وضع تلك النّكهة عن طريق الإضاءة، فكلّما عرّضنا الطّعام إلى النور فإن طعمه يتغيّر بحسب شدّة الإضاءة، وبالنسبة للّحوم فالغمام والضّباب والسحيبات والغيم والمُزن والسّديم هم من الحيوانات القلّة التي من عالمِ الأهوية، أما باقي الحيوانات التي عندنا فهي مستوردة من باقي الكواكب، لقد قمنا بإحضار العديد من المخلوقات وقمنا بطهيها وتذوّق طعمها، والذي استطيبنا طعمه وضعناه في المزرعة ليتكاثر ونستفيد منه ومن لحمه، هناك العديد من الحيوانات اللطيفة، إنها أليفة وتحبّنا، و كثيرًا ما تحاول التحدّث معنا ولكننا نترفّع عن الحديث معهم.

آمال: ماذا، هل الحيوانات عندكم تتحدّث؟!!

أزرق: نعم؛ فهي على مستوى عالٍ من الذكاء، إنها تتحدّث وتفكّر وتناقش، ولكننا لا نتخاطبُ معهم؛ فهم في النّهاية حيوانات ونحن أهوية.

آمال: وماذا عنا نحن البشر؟ ما هي نظرتكم لنا؟

أزرق: أنتم أيضًا تصنّفون من الحيوانات، وقد استوردنا بعضًا منكم ولكن في الحقيقة لم نستسغ طعم لحومكم، القليل من الأهوية يحبّون طعمكم، قبل فترةٍ كانت هناك مزرعة للبشر.

آمال بانفعال: يا للعجب! هل أنا بالنسبة لكم حيوان؟ أنا أصنّف

كحيوان؟!

أزرق: كل مخلوقٍ غير هوائيّ نصنّفه حيوانًا خلق من أجلنا، كلكم مسخرون من أجلنا ويحقّ لنا التصرّف بكم كيفما نشاء، ولكن الأهوية الآن قد توقفت عن أكل البشر منذ زمن؛ فقد أصيب أحد البشر بمرضٍ معدٍ انتقل لكلّ البشريين الذين في المزرعة مما أدى إلى موتهم جميعًا وانقراضهم عندنا، وعندما أردنا استورادكم من جديد نهتنا هيئة التغذية والصّحة عن ذلك؛ فالبشر الحاليون ملوّثون؛ فمنذ مدّة وأنتم تتنفّسون هواءً ملوّثًا، لم يعد هواءَكم نقيّ كما في العصور القديمة؛ فقد تلوّث هواءكم بسبب الغازات التي تنبعث من المصانع، ولحمكم أصبح مضرًا لنا.

توجّست آمال وقالت: هل تكذب عليَّ يا أزرق؟ أنت ما زلت تكذب عليَّ.

أزرق: ماذا؟ ما الأمر؟ أقسم لكِ بأنني لم أكذب عليك أبدًا وكلّ ما أقوله صحيح.

آمال بغضب: بلى تكذب، إنك تريد خطفي والتهامي.

أزرق: لحمكم مضرٌّ يا آمال، وأنا في كلّ الأحوال لم أكن أستسيغه، لحمكم ولحم جميع حيواناتكم غير مستساغٍ بالنسبة لي، باستثناء لحم الزرافات طبعًا، ثم إنني أحبك يا عزيزتي، كيف أفعل هذا بك؟ كيف أفعل هذا بك وأنا أحبك وأريدك شريكةً لحياتي؟

آمال بنفاذِ صبر: كفّ عن الكذب فلست فريسةً حمقاء تصطادها

بكلامك المعسول.

أزرق: متى كذبت؟

آمال: تقول لي بأنك لا تستطيع أن تأتي لعالمي وتستطيع فقط مراقبتي من خلال الماء، وأنا فقط من يجب عليّ أن آتي إليك.

أزرق: نعم هذا صحيح.

وقفت آمال وضربت على الطاولة ثم قالت: **ثم تقول بأنكم تستوردون البشر، كيف تأتي الأهوية لعالمنا وتستورد البشر ما دمتم غير قادرين على أن تأتوا لعالمنا؟**

أزرق بنبرةٍ حزينة: لقد أسأتِ الظنّ بي، كان يمكنك أن تسأليني عن هذا دون أن تتهميني بالكذب، نحن الأهوية لا نمتلك خاصّية التنقل بين الكواكب والتّعامل المباشر مع المخلوقات الأخرى، ولكن هنالك تعاويذ معيّنة وسرّية منع السلطان تعليمها للعامّة، فقط تُعلم لبعضِ الهوائيين والمسؤولين عن الاستيراد، ولا يستخدمون تلك التعاويذ إلا لأسبابٍ تخدم مصلحتنا، أما العامة فقد مُنعوا من تعلّمها خوفًا من أن يستخدموها للشرّ أو العبث، هل فهمتِ الآن؟

آمال: نعم لقد فهمت، وأنا آسفة لأنني أسأت الظنّ بك.

أزرق: ...

آمال بشك: أنا آسفة يا أزرق ولكني لم أثق بك بعد، كيف أعلم بأنك لا تخدعني؟

أزرق: مستعدٌ أن أفعل لك أيّ شيءٍ لأثبتَ لكِ بأنني صادقٌ في كلّ ما أقول.

فكرت آمال بالأمر، حبّها لأزرق وتعلّقها به وحلمها أن تكون بجانبه شيء، وعقلها الذي يخبرها بأنه يريد الانتقام من والدتها عن طريقها شيء آخر، تعاركت الفكرتان ولكن الغلبة كانت للعقل.

آمال: لماذا أنا بالذات؟ لماذا فقط تريد من ابنةِ زوجة أبيك التي تكرهها أن تأتيَ لعالمك؟

تنهد أزرق ثم قال: قبل عدّة سنوات أمر السلطان إعصار بإعطاء نكباء شرابًا يمنحها خاصّية مراقبة البشر من خلال الماء؛ لأنه لاحظ تقدّمًا ملحوظًا في أداء الجنود بعدما قامت نكباء بتولّي أمر تدريبهم، فالسلطان إعصار يحبّ الإخلاص والتفاني في العمل، فقرّر مكافأتها بمنحها ذلك الشراب، وقال لها الكاهن الذي صنعه بأنه يجب أن تشربه قبل النوم، وعندما علمتُ بذلك استغلّيت انشغالها بالتغزّل بنفسها أمام المرآة وخطفت الشراب واختبأت في منزل أحد أصدقائي، وشربته هناك قبل أن أنام، كنت أرجف حينها خوفًا من نكباء ومن الشراب نفسه، وفي اليوم التالي استيقظت فلاحظت بأن مفعول الشراب قد ظهر عليّ، كنت أراقب البشر كل فترةٍ من باب الفضول لا أكثر، وفي الحقيقة لم يجذبني كثيرًا كوكبُ الأرض؛ فقد بدا لي أقلّ من عادي، وفي إحدى الأيام خطرَ على بالي أن أرى النّسخة المصغرة من نكباء وأقوم بإفزاعها وإيذائها لكي أشفي ولو بعض غليلي منها، فبدأت أراقبك حتى أتحيّن الفرصة التي أفزعك فيها، في

أول مرةٍ رأيتك فيها كان والدك غاضبًا منك، كان يوبّخك لأنك أخذتِ سيارته الجديدة وتجوّلت بها في الطّرقات رغم أنك لم تكوني تتقنين قيادة السيارة جيدًا.

ضحكت آمال ثم قالت: نعم أتذكّر، كان عمري حينها ستة عشر عامًا.

أزرق: قلق والدك عليك حينها وخاف عليكِ كثيرًا وغضب من تهوّرك، وعندما عدتِ قام بتوبيخك، كنتِ تتصنّعين عدم المبالاة وكأن توبيخه لم يحرّك فيكِ شيئًا رغم أن قلبك كان يرتجف من الخوف؛ فقد كنت خائفةً جدًا أثناء القيادة، رأيت فيك الفتاة العنيدة والقوية والصّلبة، لم يكن يثنيك أي شيءٍ عن تحقيقِ ما تريدين، كنتِ الفتاة القيادية التي يتبعها الكثيرون وينفّذون أوامرها، وكانت لكِ هيبة في بعض الأحيان.

آمال وهي تضحك: إلى الآن، هنالك بعض الرجال في العمل يخافون منّي عندما أغضب.

أزرق: عندما راقبتك أكثر وجدت أننا متشابهان في بعض الظّروف، فأنت بلا أم ووالدك مشغولٌ عنكِ دومًا وليس لديك أشقاء ولا حتى إخوة، وقد واجهتِ في حياتك كثيرًا من الصّعوبات ولكن... كنتُ أنا بالرغم من تشابه ظروفنا فتى ضعيفًا وخجولًا وكثير الشكوى والتذمّر، كنتُ لا أتقن دورًا سوى دور الضّحية، وكنت لا أثق بنفسي مطلقًا ولا أحبّ الحياة، ولكن شخصيتك ألهمتني، شعرت بالانجذابِ لك فأصبحت أحبّ مراقبتك، حتى أدمنتها، ولكن عدم توفّر الماء بجانبك في أغلب الأوقات كان يشكّل عائقًا أمام رغبتي في

مراقبتك، فعقدت اتفاقًا مع المربّية حنان، أن توفّر لي الماء مقابل أن أبحثَ لها عن ابنتها المفقودة ريم.

أعلم أنك تظنّين بأني أريدُ خطفك وإيذاءَك ولكن لو كنت أنوي إيذاءَك لن يمنعني شيء؛ فأنا أستطيع إيذاءك في أيّ لحظةٍ أقرّر فيها ذلك؛ فالماء موجودٌ في كل مكانٍ وحتى داخلك، ولديّ القدرة على أن أجعلَ الماء الذي في جسدك يغلي ويتبخر من الحرارة، أقسم لك يا آمالي أنني أحبّك ولطالما حلمت باليوم الذي تكونين فيه بقربي، وحتى إن لم تأتِ سأظلّ أحبّك وأشتاق للحظةِ التي تكونين فيها معي، وسيعتب عقلي حينها على قلبي الذي نذرَ نفسه للإخلاص والوفاء لك حتى آخر يومٍ في عمره.

ضحكت آمال ثم قالت: ما هذا الكلام، لقد أصبحت حساسًا للغايةِ يا أزرق.

أزرق: إنني صادقٌ في كلّ ما أقول، ولكن لن أصرّ عليك.

كانت آمال تعشق المغامرات والتّجارب، والانتقال لكوكبِ زحل يعتبر مجازفة كبيرة، ولكن بعض الخطوات الكبيرة والأشياء الجميلة تحتاج إلى مجازفة، ولكن لم لا تجازف؟ فهي تريدُ معاقبة والدها لعدمِ مبالاته بمشاعرها واهتمامه بدنيا وأحلام، بالإضافة إلى أنّها سترى والدتها أخيرًا، وستعوّض كلّ سنين الحرمان وسترتوي أخيرًا من نهر حنانها من بعد سنوات من الظمأ والجفاف، وستكون والدتها فخورةً بها عندما تروي لها إنجازاتها في الحياة، صحيح أن والدها سيجنّ جنونه عندما يعلم بأمرِ انتقالها لعالمِ الأهوية، ولكنّها ستختار نفسها

كما اختارَ هو نفسه وقرّر أن يتزوّج ويُلقيها في سلةِ المنسيين...

آمـال: أريـد التحـدّث الآن إلـى السّـلطان إعصـار، أخبرنـي عـن الطلسم الذي ينقلني لعالمك.

بدأ قلب أزرق يخفق بشدةٍ من الخوف على آمال المتهوّرة.

أزرق: ولكنـكِ لـم تتـدرّبي علـى الكـلام الـذي سـتقولينه لجلالـة السلطان، لنتدرّب أولًا على ما ستقولينه.

آمال: لا بأس، لقد فهمت طريقة تفكيره وطريقة التعامل معه، ثـق بي؛ فأنا سأستطيع إقناعه.

* * *

شعرت آمال برهبةٍ شديدةٍ عندما وجدت نفسـها فـي القصـر وأمـام جلالـة السـلطان، كـان عرشـه مهيبًـا وكـان الحـرّاس ينظـرون إليهـا بصـرامةٍ وجمـود، ومـا جعـل قلبهـا يرجـف مـن الخـوف هـو صـوت السلطان إعصار الجهوري الذي سألها باستنكار: **ما الـذي جـاء بـك أيتـها الإنسيّة الملوّثة لعالمي؟**

غطّـت آمـال خوفهـا بوقفتهـا ونظراتهـا الواثقـة والصّـلبة، وقالـت بنبرةٍ مهذّبة: جلالة السلطان، قـد سـمعت عـن عـالمكم الجميـل، وعـن مزاياه الكثيرة، وعن حبّك لتطويرِ عالمك وأنا هنا لأخدمك وأكون مـن المطـوّرين لعالمـك الرائـع والجميـل، ثِـق بـأنني سـأكون مـن مغيـريّ عالمكم للأفضل؛ فأنا أُتقن أيّ عمل أصمّم على تنفيذه.

نظر السّلطان إعصار إليها باحتقارٍ وقال: وما الـذي تعرفينـه

عن عالمنا حتى تقومي بتطويره؟ ما الذي تستطيعين فعله أيتها الملوّثة لكي تقومي بخدمتنا؟!

آمال بثقة: أي شيء، أي شيءٍ تطلبه منّي سوف أنفّذه.

السلطان إعصار: لا يوجد ما نحتاجه منك أيتها الوَضيعة، لدينا ما يكفينا من الأهوية.

نظر السلطان إعصار لـ(قاصف) ورمش بعينه إشارة له بإعدامها عن طريق نفث الهواء الحارق عليها، ولكنَّ حبيبها عليل تدارك الوضع سريعًا وقال: جلالة السلطان، هذه الإنسيّة هي ابنة القائدة نكباء، وأنت تعلم كيف غيّرت نكباء الهوائيين وقامت بما لم يستطع فعله أي من القادة السابقين، وهذه ابنتها وبالتأكيد ستقوم بالمثل إذا كلّفتها بأيّ عمل.

نظرت السلطانة أريج لآمال بشفقة، ولاحظت الحبّ بين عليل وآمال، وفهمت سبب رغبتها بالعيشِ معهم.

السلطانة أريج: أريدها حارسةً لي؛ فقد أعجبتني شخصيتها.

صرخ السلطان إعصار: **اخرسي أيتها السّفيهة، إنها لا تُجيد فنون القتال والدّفاع فكيف تريدين منها أن تكون حارسةً لك.**

السلطانة أريج: لندع عليل يعلّمها فنون القتال والدّفاع، أنا متأكدةٌ من أنّها ستجيدها.

ضرب السلطان الأرض بعصاه الكبيرة فاهتزّ القصر ثم قال:

ستتحوّلين لهوائية لمدّة شهر، وإذا نجحتِ في تعلّم فنون الدفاع والقتال ستتحوّلين لهوائية وتتزوّجين من أيّ هوائيّ من هنا، وإذا لم تنجحي ستعودين إنسيّة، وبالنسبة لك يا عليل أنت في إجازةٍ هذا الشّهر حتى تتفرّغ لتعليمِ هذه الإنسيّة فنون القتال والدّفاع.

آمال: أشكرك يا جلالة السلطان على إكرامك لي بهذا، ولكنني لا أفكّر بالزواج الآن يا صاحب السمو.

السلطان إعصار: لا يمكنك ذلك؛ فأنت تبدين كبيرةً ويجبُ عليك الزواج.

السلطانة أريج بشفقة: ألا يمكن أن تكسر لعنةَ موت والدها يوم زواجها؟

أسند إعصار ظهره على كرسيّ عرشه وقال: لا، أنا لا أتراجع عن كلامي.

السلطانة أريج: أرجوك افعل هذا من أجلي.

صرخ عليها إعصار: **لم يُفسد الأهوية إلا طيبتك المفرطة، ولم يُصلحهم إلا صرامة نكباء معهم، ألم تفهمي ما قلت؟ أنا لا أتراجع عن كلامي، ومن الآن ستسلب منك كلّ الصّلاحيات؛ فأنت مدمّرة للمملكة بسبب سفاهتك وحبّك للتّساهل مع الأهوية وهذا ما جعلنا نتراجع أيتها السّفيهة.**

شعرت آمال بالغضب من طريقةِ تعامل السلطان إعصار مع

زوجته الطّيبة، تمنّت للحظةٍ صفعهُ بسبب تعامله السيئ معها، ولكنها كانت مجبورة على كتم غيظها حفاظًا على حياتها.

السلطان إعصار: **إقرأ يا زمهرير قوانين عالمنا لهذه الملوّثة.**

بدأ زمهرير بقراءة القوانين لآمال وبعد أن انتهى قرأ طلسمًا جعلها تبصر ملايين الألوان التي لم تبصرها من قبل، دُهشت آمال من كمّية الألوان التي أمامها؛ فقد كان القصر مكدّسًا بملايين الألوان التي لم تبصرها من قبل، كانت كمصابٍ بعمى الألوان الذي شُفي لتوّه من دائه.

زمهرير: اختاري لونك.

تجوّلت آمال بين الألوان ببصرها وبدأت تفكّر، ثم أشارت لإحدى الألوان وقالت: ما اسم هذا اللّون؟

زمهرير: أبشر.

آمال: أريد أن أكون بشراء.

زمهرير: وما هو الاسم الذي اخترته؟

آمال: نفحة.

زمهرير: والآن أقسمي على الولاء لعالمِ الأهوية والإخلاص له وبذل نفسك من أجل تعميره.

ردّدت آمال القسم فتحوّلت بعدها لهوائية.

همس عليل: مبارك لك يا نفحة تحوّلك لهوائية.

نظر كلٌّ من عليل ونفحة للسلطان وقالا: هل تأذن لنا بالانصراف الآن يا صاحب السمو؟

رَمش السلطان بعينيه إشارةً له بالإذن لهما.

احتضنَ عليل نفحة فور خروجهما من القصر.

نفحة بحماس: لم أكن أعلم بأنك بهذا القدر من الجمال يا عليل.

عليل: كيف تخيّلتني.

نفحة: ذو وجهٍ بشعٍ وجسدٍ أبشع.

كان كلٌّ من نفحة وعليل في قمّة سعادتهما، وأخيرًا بعد حبّ دام لأكثرِ من ثلاث سنوات استطاعَ الحبيبان احتضان بعضهما، وأمّا يديهما فقد اشتبكت ولم تفترق وكأنها ألصقت بصمغٍ قويّ، فلم يُفلت أيّ منهم يدَ الآخر بعد حضنهما الأول.

نفحة بحماس: كيف يمكنني التحليق يا عليل؟

عليل: خذي شهيقًا ولكن ببطء.

أخذت نفحة شهيقًا فبدأ جسدها بالارتفاع، وكان عليل يرتفع معها.

نفحة: والآن كيف يمكنني الهبوط؟

عليل: أخرجي الهواء عن طريق الزفير.

أخذت نفحة شهيقًا قويًا فطارت للأعلى بسرعةٍ مما جعل يد عليل تُفلت منها.

نفحة وهي تضحك: الحق بي إن استطعتِ.

لم تكن نفحة تُجيد الطيران بمهارةٍ مثل عليل؛ فجسدها لم يعتد بعد على التّوازن أثناء الطّيران ولكنّها كانت تطير بفرحٍ وحماس، حتى قال عليل بعد أن مَضت ساعتان على طيرانهما: ألم تشعري بالجوع؟ ألا تريدين تذوّق الطعم النوري؟

نفحة بحماس: بلى بلى.

أمسك عليل بيدها وقال: هناك مطعمٌ جيّد في السماء الأرجوانية يبيع غمام مشوي ولذيذ و...

نفحة: يبدو أنّك تحبّ أكل الغمام.

عليل: الغمام مشهور عندنا ونتناوله بكثرة، إنه مثل الدّجاج بالنّسبة لكم.

دخلت نفحة للمطعم وشاهدت الطّهاة من خلف الجدار الزجاجي وهم يعدّون الطعام، كانت المصابيح مثبتةً فوق كل قدرٍ بإضاءاتها المتفاوتة، وأيضًا فوق كلّ طاولة ثُبتت إضاءات مساوية لعددِ الكراسي.

شعرت نفحة بلذّةٍ لا توصف عندما استطاعَ لسانها استشعار المذاق النوري، فأغمضت عينيها وبدأت بمضغِ الطعام ببطء لكي تتلذّذ بطعمه قدر المستطاع، ثم قالت في نفسها: يا إلهي كيف كنت أتلذّذ بالطّعام في كوكبِ الأرض!

ثم بدأت تأكل بشراهةٍ ونَهم...

نظر إليها عليل فضحك وقال: لا تخافي لن ينفد الطّعام يمكنك الأكل كلّ يوم.

نفحة وهي تمضغ الطعام: ليتني أتيت هنا منذ أول يوم عرفتك فيه لكي أتلذّذ بكلّ أصناف الطعام التي عندكم.

عليل: أصناف الطعام عندنا لا تحصى ولن تستطيعي تجربتها كلّها في هذا الشهر، إلا إذا كنتِ لا تبالين بوزنك.

نفحة: أنا لا أبالي به، المهم أن آكل، وسأشترك في النادي الرياضي عندما أعود بشريّة.

عليل: لا، أدعوا الله أن تتقني مهارات الدّفاع حتى تتحوّلي يا حبيبتي لهوائية للأبد.

نفحة: ومن قال لك بأنني سأرضى بالتحوّل لهوائية؟

عليل بدهشة: ماذا؟ ألم يعجبك عالمي؟

نفحة: بلى، بلى يا عزيزي إنك عالمك جميل، وأتمنى العيش فيه بقية حياتي ولكن إذا تحوّلت لهوائية يجب أن أتزوّج منك وإذا تزوجت سيموت أبي العزيز، وأنا لا أحتمل هذا.

عليل: ولكن ألستِ غاضبةً منه؟

نفحة: بلى، إنني غاضبة، ولكن هذا لا يعني بالطبع أنني سأكون سببًا في وفاته، لن أضحّي بحياته من أجل سعادتي.

عليل: ولكنه لا يفكّر بك ولا يهتمّ لأمرك، لقد قسى عليك في

الفترةِ الماضية ولم يأبه بمشاعرك، كان فقط يفكّر بسعادته، والآن حان دورك لتفكّري أنتِ أيضًا بسعادتك، ألم تري كيف كان يدلّل دنيا وكأنها ابنته ويقسو عليك وكأنك أنتِ الغريبة؟

تعزّزت وتجدّدت الغيرة في قلب نفحة فقالت بضيق: أرجوك يا عليل كفّ عن هذا الكلام.

عليل: هذه الحقيقة، إنه لا يفكّر إلا بنفسه ولا يهتمّ لأمرك والآن حان دورك لتحبّي نفسك وتفكّري بسعادتك، ثم إنك إذا تحولتِ لهوائية ستقضين بقية عمرك مع والدتك.

نفحة: صحيح، أمي، أمي الحبيبة، لنذهب إليها الآن، إنني متلهفة للقائها.

دخلت مجموعة من الأهوية للمطعم فهتفوا: عليل.

زفير: اشتقت لك يا صديقي، لم أركَ منذ فترةٍ طويلة.

رياح: من هذه الفتاة؟

عليل: إنّها حبيبتي نفحة.

رياح: يا إلهي كم هي جميلة، كم أنت محظوظ يا عليل.

مدّت رياح يدها لنفحة وقالت: مرحبًا أنا رياح.

وضع زفير يده على صدره وقال: وأنا زفير.

هواء: أهلًا يا نفحة أنا هواء.

نسمة بنبرة هادئة: وأنا نسمة.

نفحة: تشرفت بلقائكم.

هواء: لماذا لم نركِ من قبل؟ أين تسكنين؟

نفحة: أنا بشريّة وقد تحوّلت اليوم لهوائية.

شهقَ أصدقاء عليل وقالوا بصوتٍ واحد: بشرية!

شعر عليل بالحَرج، وقد لاحظت نفحة ذلك ولكنها تجاهلته وقالت بثقة: نعم أنسية، هل هنالك مشكلة؟

هواء: لا أبدًا.

ابتسمت لها نسمة، ذات العينين الناعستين والملامح الناعمة، كان لها شعرًا بنفسجيًا ممزوجًا ببعض الخصل ذات درجة أفتح، وكانت قد جدلته وجعلته يتكئ على كتفها.

نسمة: كم أنتِ لطيفة يا نفحة، هل يمكن أن نصبح صديقتين؟

نفحة: نعم بالتأكيد.

شعر كلٌ من هواء وزفير ورياح بالحَرج من نسمة لمبادرتها بصداقة أنسية.

نسمة: هل تذوّقت طعم السّحاب؟

نفحة: لا لم أذقه من قبل، ولكن أليس طعمه مثل الماء؟ فالسّحاب عبارة عن تكاثف بخار الماء، فهو قد تكون نتيجة تصاعد الهواء الرطب إلى السماء و...

شعر عليل بالحَرج مرة أخرى من نفحة التي كان يبدو عليها

الجهل التامّ بعالمهم.

نسمة: لا يا عزيزتي، السّحاب طعمه مزيج بين الطعم النوري والحلو إنه لذيذٌ جدًا، هيا بنا لتذوّقه.

نفحة بحماس: حسنًا.

حلّق الجميع باتجاهِ السّحاب وأثناء ذلك رأت نفحة طيور المزن وهي تحلّق تحتهم.

نفحة: يا لجمالهم!

رفعت طيور المزن رأسها وهتفت: مرحبًا، كيف حالكم أيتها الأهوية؟

ترفَّع الجميع عن الردّ أو حتى النّظر لطيورِ المزن إلا نفحة التي قالت: أهلًا، نحن بخيرٍ وأنتم؟

شعر هواء بالحرج فقال: لا تخاطبيها يا نفحة، إننا لا نخاطب الحيوانات.

نفحة: لماذا؟ إنهم لطيفون وجميلون.

رياح بانزعاج: ترفعي عن التحدّث إليهم؛ فأنت هوائية ويجب أن تترفعي عن التحدّث مع الطّيور والحيوانات كلّها.

نفحة: هذا ليس سببًا منطقيًا، إنهم لطيفون، والقوانين التي قرأها عليّ زمهرير لم تنصّ على منع التحدّث معهم.

رياح: نعم، ذلك ليس قانونًا ولكنها عادة متعارفٌ عليها عندنا.

نفحة: ولكنني لن أفعل شيئًا لست مقتنعة به وحجّتكم لم تقنعني.

كانت نفحة تكره تنفيذ الأشياء دون معرفة سببٍ مقنع لها، كانت تكره السّير مع القطيع وتحبّ كَسر العادات والتقاليد التي لا تقتنع بها.

طارت نفحة باتجاه طيور المزن وقالت لهم: هل يمكنكم اللّحاق بي؟

ثم طارت بسرعةٍ فبدأ المزن بملاحقتها، كانت تضحك وهي تطير وتلهو معهم، ولكن هذا أثار تعجب الأهوية فتجمّعوا حولها وهم يشاهدونها بصدمة، كان أطفال الأهوية يتمنّون اللّعب مع الحيوانات ولكن أهلهم قد نهروهم عن ذلك، ليس الأطفال فقط بل حتى بعض الأهوية الذين كبتوا رغبتهم منذ الطفولة، ولكن رغبتهم لم تَمت بل ظلّت مكبوتة داخلهم إلى الآن، ولكنّهم لم يتجرؤوا على اللّعب والتحدّث مع الحيوانات لخجلهم من كَسر العادات المتعارف عليها.

نظرت نفحة للأهوية التي تجمّعت حولها وقالت بصوتٍ جهوري: ما بكم؟ لمَ تنظرون إليّ هكذا؟ إن المزن حيوانات لطيفةٌ جدًا وأنتم تحرمون أنفسكم من متعةٍ كبيرة بسبب عادات غير مقنعة، إنني أقرأ في عيون بعضكم رغبتهم في مشاركتي في الطيران واللهو مع المزن، بعدما رأيتم مدى سعادتي وأنا ألعب معهم، تعالوا وانضموا إليّ، ولا تحرموا أنفسكم من المتعة بسبب عادات بالية وليس لها

أي سببٍ منطقيّ.

تشجع هوائيان من بين ستين من الأهوية وقاموا بالطيران مع نفحة والمزن، وبعدها انضمّ إليهم ثلاثة أهوية، ثم خمسة، لقد كانوا سعداء وهم يلعبون بالرّغم من خجلهم من ذلك، ولكن كسر نفحة لتلك العادة شجعتهم على كسرها.

قالت إحدى المزن بعدما انتهوا من اللعب: ما رأيكم بأن نقيمَ في الغدِ مباراة كرة بين المزن والأهوية؟

نفحة: **أنا موافقة.**

عمّت جلبةٌ بين الأهوية الذين كانوا مندهشين مما سيحصل في الغد.

التفتت نفحة للخلفِ وقالت: **من يريد الانضمام للّعب معنا غدًا؟**

صمتت جميع الأهوية ولم ترد، ولكن فعل نفحة أصبح حديثهم في تلك الليلة، فانتشر الخبر بين جموع الأهوية مما أدى إلى حماس المئات منهم لرؤية نفحة وهي تلعب مع المزن في الغد.

شعر أصدقاء عليل بالحرج من نفحة فانصرفوا عنها، نظرت نسمة لنفحة بحزنٍ ثمّ هزّت رأسها بالنفي وبعدها تبعت بقيّة أصدقائها، وقد علمت نفحة بذلك ولكنها لم تأبه بهم، وبالرغم من شدّة حرج عليل من بعض تصرّفاتها إلّا أنه أمسك بيدها بفخرٍ ورافقها وقام بتعريفها على عالمه دون أن يبالي بتعليقات الأهوية حوله.

شعرت نفحة بالعطش والجفاف فجلدها أصبح جافًا جدًا وشفتيها بدأتا بالتشقّق: إنني أشعر بالعطش يا عليل، أريد بعض الماء.

عليل: لا يوجد ماء عندنا.

نفحة: كفّ عن المزاح، إنني أكاد أموت من العطش.

عليل: إنني لا أمزح.

نظرت نفحة ليدها الجافة ثم تحسّست وجهها وشفتيها المتشققة، فضحك عليها عليل وقال: نحن الأهوية لا نشرب الماء، توجد غيوم تمطر الماء ولكننا نروي بها الحيوانات والنباتات، أما نحن الأهوية إذا عطشنا فنذهب إلى السماء الرماديّة، حيث الجوّ يكون شديد الرطوبة، وعندها يمتصّ جسدنا الماء من الهواء الرطب ونرتوي به، إننا نذهب إلى السماء الرمادية مرّةً في اليوم أو مرةً كل ثلاثة أيام، على حسبِ المجهود الذي نقوم به، ولكنك اليوم قد طرتِ كثيرًا وبذلت كثيرًا من الجهد أثناء سباقك مع المزن مما جعل جسدك يجفّ.

أخذ عليل نفحة إلى السماء الرمادية فشعرت بجسدها وهو يمتصّ الماء ويترطب، فاختفت التشقّقات من شفتيها، وغادر الظمأ لسانها وحلقها، أما شعرها فقد تموّج وأصبح أقصر مما كان عليه، كان شعر الأهوية يزداد تموجًا كلّما زادت الرطوبة في جسدهم ويصبح ناعمًا كالحرير إذا كانوا شديدي الظمأ.

حلّقت نفحة وسط السماء الرمادية وشعرت وكأنها تغوص في أعماق البحار؛ فالطيران في السماء الرمادية كان ذا طابعٍ مختلفٍ عن بقيةِ السماوات، وقد لفت انتباه الأهوية شكل نفحة وهي تخرج من

السّماء الرمادية وقد قصرَ شعرها جدًا وأصبح مثل الصبيان بسبب تموّجه.

بدأت الشمس بالمغيب فسمعت نفحة نفخًا على الأبواق يشبه صوت الباخرة استمرّ لبضع ثوانٍ، وبعدها انتبهت لوجود بلّورات زجاجية توزّعت في العديد من الأماكن، استيقظ من داخل كلّ بلورة حيوانٌ لطيفٌ جدًا، كان جسمه مستديرًا تفرّعت منه يدان صغيرتان أما شكلُ وجهه فقد كان مثل قرد اللوريس وله جناحان صغيران يشبهان أجنحة الفراشات، استيقظت الحيوانات اللّطيفة من النوم وفتحت عينيها البريئتين وبدأت ترفرف بجناحيها فبدأ جسدها يُضيء، كانت أجنحة اللورسيات تُنير وتلمع بشكلٍ مذهل.

طارت نفحة باتجاهها وقالت: كم هي لطيفة! تبدو بريئة جدًا، أريد اللّعب معها.

كانت الحيوانات الأرضية واللورسيات هم فقط من لا يستطيعون التّخاطب مع الأهوية.

عليل: إياك وإخراجها من الزجاج، إن اللورسيات حيوانات سامّة تلدغ من يقترب منها؛ لذلك وضعت في الزجاج، إنها مجرد إنارة بالنّسبة لنا.

نفحة وهي تطير باتجاهها: يا للطافتها.

عليل: ويا لسوء لدغتها.

نفحة: هل كل منزل فيه لورسيات؟

عليل: نعم، وأنا كنت أنوي اليوم اختيار مصابيح بها لورسيات لنضعها في منزلنا؛ فأنا لم أنتهِ من تأثيث منزلنا بعد، ما رأيك أن نذهب الآن لاختيار مصابيح منزلنا؟ فمن الأفضل اختيار المصابيح في المساء حتى نتمكّن من رؤية شدّة الإضاءة بوضوح.

ذهب عليل ونفحة للتسوّق وكانت تسأله عن كثيرٍ من الأشياء التي لم تعرف فائدتها والمغزى من صنعها وكأنها طفلٌ صغيرٌ يحاول التعرّف على الحياة حوله عن طريق أسئلته الكثيرة، ولكم كان أزرق صبورًا وطويل البال وهو يشرح لها ويُجيب عن جميع أسئلتها بدون ملل.

نفحة: هذا المصباح جميل؛ فقد أعجبني تصميم الزجاج.

ثم أشارت إلى مصباحٍ آخر وقالت: ولكن هذا المصباح أعجبني لون اللورسي الذي داخله.

عليل: تقصدين اللورسي الأفطر؟ لا تقلقي يمكن تغيير لون اللورسي على حسب الطّعام الذي يتناوله.

نفحة بدهشة: كيف ذلك؟

عليل: اللورسيات مخلوقات أصل لونها أبيض، ولكن إذا وضعتي على الماء الذي تشربه ملوّن طعام ذو لون أزرن فستصبح زرناء، وإذا وضعت للماء ملوّن طعام أزرق فستصبح زرقاء... نحن في الحقيقة قد اقتبسنا هذه الفكرة منكم أنتم البشر بعدما علمنا بأن بعض الحيوانات يتغيّر لونها بحسب ما تأكله.

نفحة: لم أسمع بهذا من قبل.

عليل: مثلًا طيور الكناري البيضاء أو الصفراء عندكم إذا تناولت ثمار البنجر يبدأ لون ريشها بالتغير بعد فترةٍ إلى اللون البرتقالي، وأيضًا الورد الأزرق هو في الأصل وردٌ أبيض ولكن إذا وضعت للماء صباغًا أزرق وسقيته به فسيتغير لونه إلى الأزرق.

نفحة: نعم لقد سمعت من قبل عن طريقة تغيير لون الورد، إنهم يستعملونها أيضًا لإنتاج ورد قوس قزح، تلك الوردة البشعة، أشك بأن دنيا السخيفة ستجعلها مسكتها في زواجها.

عليل: لا تفكري بها، انسي أمرها واستمتعي بالحاضر.

سرحت نفحة وبدأت تغوص في بحر أفكارها...

عليل وهو يلوح بيده أمام عينيها: إلى أين ذهبتِ بفكرك؟

نفحة: إنني أتساءل الآن...

ما دمنا نستطيع تغيير لون الورد والطيور على حسب ما يتغذوا عليه، لمَ لم نستطع نحن البشر تغيير لوننا؟ ما الذي يقف بيننا وبين تلك الطيور والحيوانات لتغير لوننا.

عليل: ومن قال بأنكم لا تستطيعون تغييره؟

* * *

نكباء بنفاذ صبر: لقد مرّت يومان وأنا أعتني بك، يومان لم أرفّه فيهما عن نفسي العظيمة والقديرة، أنا لا أحتمل.

نَفَس وهي مستلقيةٌ على السرير الذي كان عبارة عن تجويفٍ في أعلى جدار غرفتها: يمكنك الذهاب يا أمي، اذهبي ورفهي عن نفسك؛ فنكباء الوقورة والفاضلة لا يجب عليها تضييع وقتها الثمين في الاعتناء بابنتها عند المرض.

نكباء: ومن قال لك بأنني أنتظر الإذن منك؟ إنني ذاهبة في كلّ الأحوال، ولن أضيّع وقتي معك أكثر، عندما تتعافين أريد منك أن تحاولي التقرّب مجددًا من ذوي المناصب العالية، وإذا فشلتي فلن أكون راضيةً عنكِ.

نَفَس: لن أفعل.

شهقت نكباء وقالت: كيف تعصينَ أمري! أنا أمك ويجب أن تطيعيني، يجب أن تكوني بارةً بوالدتك ولا تعصي أوامرها وإلا ستكونين فتاةً عاقة، ولن أرضى عنك.

نَفَس: ما الذي فعلتيه حتى تُعدين نفسك أمًا؟ لطالما قلتِ لي بأنك حملت بي بالخطأ، وحاولتِ مرارًا إجهاضي، لطالما قلتِ لي بأنني بلا فائدةٍ وأنني مضيعةٌ للوقت، الخادمة جفيف هي من اعتنت بي وأنا طفلة، أخبريني ما الذي فعلتيه أنتِ من أجلي؟

نكباء: لقد فقدت جسمي الممشوق والجميل من بعد حملي بك، هل أستحقّ عقوقك وأنا قد تشوّه جسمي بسببك؟ هل تستحق نكباء العقوق وأذنها القديرة قد سمعت صوت بكاءك وأنت طفلة بدلًا من سماع زقزقة المزن؟ ألا أستحقّ مكافأةً لتحمّلي لك؟ يا عديمة النّفع والفائدة.

قامت نكباء بفتحِ علبة طلاء الأظافر وطلي أظافرها باللون الأصفر الفسفوري وهي تقول: يا حسرتي، نكباء العظيمة الجليلة صاحبة الفخامة تفشل ابنتها في كسبِ قلب إحدى كبار الشخصيات! وعليل الحقير ابن المرسلات يصبح حارسًا شخصيًا لوليّ العهد! يسكن القصور ويرافق الأمراء ونحن نعيش هنا.

تنهدت ثم قالت: يا حسرتي.

نَفَس وهي تضحك: إنَّ شكلك يبدو مضحكًا عندما تُستفزين، لا عليك يا أمي العزيزة، اجعلي روحك رياضية وتقبّلي بأن ابنتك فاشلة وعديمة النّفع، والبغيض عليل ابن المرسلات هو الناجحُ والقادرُ على كسبِ قلوب الأهوية ومحبّتهم.

نكباء وهي تضرب على صدرها: يا ويحَ قلبي.

قطع حديثهم صوت طرقٍ للباب.

نكباء بتعجب: من يطرق باب صاحبة السمو في هذا الوقت؟!

فتحت نكباء الباب وقالت بتعجرف: لقد أتيتِ باكرًا، كان اتفاقنا أن تأتِ عصرًا.

ثم أكملت بتذمر: وعلى الرغم من تأكيدي عليهم بإحضار خادمةٍ قصيرة القامة إلا أنهم قاموا بإحضارك أنتِ!

ارتمت نفحة في حضنِ والدتها وقالت: أمي هذه أنا آمال، ابنتك الحبيبة آمال قد أتت إليك.

نكباء: ماذا؟! ابنتي آمال!

أبعدت نكباء يديها من حضن آمال وهي تقول: احذري، كدتِ أن تفسدي طلاء أظافري، فلم يجفّ بعد.

نفحة وقد دمعت عيناها: أمي الحبيبة لكم حلمت بهذا اليوم، اليوم الذي أراكِ فيه، لا أستطيع أن أصفَ لك مدى صدمتي وفرحتي عندما علمت بأنك على قيدِ الحياة؛ فقد كنت دائمًا أتمنى أن أراكِ يا أمي، ولكم كنت أشعر بالحزن عندما أرى من حولي يتمتّعن بحنان أمهاتهنّ وأنا في المقابل بلا أم، ولكننا الآن نستطيع أن نعوّض كل سنوات البعد التي فرّقت بيننا بسبب الظروف، لقد أخبرني والدي القاسي بأنك تخلّيتي عني ولكنني لم أصدّقه أبدًا؛ فأنا متأكدةٌ من أنه كان يكذب عليّ بشأنك فلا توجد أم تتخلّى عن ابنتها من أجلِ أن تستمتعَ بحياتها مثلما يقول والدي و...

نكباء وهي تتفحص تقاسيم وجه آمال: أنتِ فعلًا ابنتي آمال، إنك جميلةٌ يا ابنتي مثلي، ورثتي عيون والدتك الواسعة والجميلة، وأهدابها الطويلة، وشعرها الكثيف.

وعلى الرغم من أن جسد نكباء كان مكدسًا بكتل الشحم إلا أنها قالت: وجسمها الممشوق، ولكن أنفك أفطس مثل والدك.

ثم نظرت إلى النافذة وشهقت ثم قالت: سينتصف اللّيل بعد ساعة! لقد تأخرت على موعدي في عيادة التجميل، سأكمل حديثي معك يا ابنتي عندما أعود فغدًا لديّ مناسبة مهمة.

كانت نكباء مدعوّة لحفل زفاف الأميرة (نسيم) في الغد، وقد عزمت أن تحضّر للحفل وهي في أبهى صورتها.

وقبل أن تخرج أشارت لإحدى الغرف وقالت: هناك في الغرفة ابنتي نَفَس، إنها أختك، اذهبي واعتني بها ريثما أعود.

حلقت نكباء خارج البيت وتركت آمال في حالة صدمةٍ من ردّة فعل والدتها عند لقائهما من بعد ثلاثٍ وعشرين سنة من البُعد والانقطاع، لقاؤها البارد كان مثل الصّفعة التي أوقظتها من أحلامها الوردية بشأن حياتها الجديدة مع والدتها، وقد بدأ صدى كلمات والدها وعليل يتردّدان في ذاكرتها...

* * *

تورّطت صهباء بتلك الهدايا التي أحضرتها لها الخالة أهداب؛ فلم تكن تجيد إعداد الكعك والحلوى، ولكن الخالة أهداب سألتها في إحدى الأيام بعد أن استلطفتها كثيرًا وأحبتها: ما هي هوايتك يا صهباء؟

صهباء وهي تفكّر: لا شيء، ليس لديّ هوايات.

أهداب: بلى بلى، بالتأكيد أنتِ موهوبة في شيءٍ ما وتبدعين فيه.

صهباء وهي تحكّ رأسها: كم أتمنّى هذا ولكنني مع الأسف لا أُجيد صنعَ أيّ شيء.

أهداب: ما هو تخصّصك في الجامعة؟

صهباء بلا مبالاة: إنني لا أدرس، ولا أحبّ الدراسة.

ابتلعت أهداب دهشتها، أما صهباء فكانت تأكل وهي تجلس

بطريقةٍ تعكس عدم اهتمامها بالموضوع.

أهداب: فكّري، ما هو الشيء الذي تشعرين بمتعةٍ وأنتِ تقومين به؟

بدأت صهباء بالتفكير ثم قالت: ربما إعداد الطعام.

أصبحت بعدها الخالة أهداب تهدي صهباء باستمرار أدوات لصنعِ الكعك وإعدادِ الطعام، وأخبرتها بأنّها مؤمنةٌ بها ومتأكدةٌ من أنها ستبدع في هذا المجال ما دامت تحبّه، وقد لمَست صهباء لهفة الخالة أهداب لتذوّق ما تطهوه فشعرت بالخجل منها للطفها معها، فبدأت تحاول أن تعدّ لها شيئًا في كل مرةٍ تزور فيها شروق بهيئتها تلك، ولكنها كانت تفشل في كلّ مرة.

صهباء بضجر: يا إلهي لقد فشلت مجددًا في صنع الكعك.

دنيا وهي تضحك وتمسك بقطعة الفحم التي على شكل قالب الكعك: وهل تسمّين هذا كعكًا؟! لمَ أنت مصرّة هكذا على تعلّم صنعه؟

صهباء وهي تنظر لأكوام الفوضى التي صنعتها في المطبخ: لأنني أشعر بالخجل من الخالة أهداب، أودّ أن أُسعدها باستعمالي لتلك الهدايا التي تحضرها لي؛ فهي لطيفةٌ جدًا معي وهذا يخجلني.

دنيا: حسنًا ما رأيك بأن أعدَّ أنا لك الكعك وأنتِ تأخذيه للخالة أهداب.

صهباء: فكرةٌ حسنة.

أصبحت دنيا تعدّ لصهباء الكعك والطعام في كل مرةٍ تزور فيها شروق بهيئتها تلك.

أهداب وهي تأخذ قطعة من الكعك الصغير والوردي الذي أعدته دنيا وتفنّنت في تزيينه: كم هو لذيذ! إنك تتطوّرين يا صهباء بشكلٍ ملحوظ، كم أنا سعيدة من أجلك، كيف جعلتي العجينة تبدو هشّة هكذا؟

أمسكت دنيا بقطعة من فطائر الدجاج التي أعدّتها الخالة أهداب وقالت: كم أحبّ فطائر الدجاج هذه، إنها لذيذة.

أهداب بسعادة: بالعافية، لم لا تأكلي منها يا صهباء؟

صهباء: إنني نباتية يا خالتي ولا أتناول اللحوم.

هزّت أهداب رأسها بالنفي وقالت: مثل شروق.

صهباء: نعم، إنني لا آكل لحوم الحيوانات لأنني أحبها.

ثم أكملت في نفسها: ولكنني أحبّ تناول لحوم البشر، وأشتهيه الآن بشدّة.

* * *

أزرق: لا تقلقي يا ماما حنان آمال بخير وهي سعيدةٌ في عالمي.

حنان وهي تبكي: أريد أن أتحدّث إليها، أريد الاطمئنان عليها.

أزرق: آمال في منزل والدتها الآن.

غطّت حنان وجهها بيديها وأجهشت بالبكاء وقالت: ليتني لم أدعكَ تراقبها، يا ليتني لم أعطكَ المجال لتدخل إلى حياتي وحياتها، لقد

أضعتُ الفتاة، أضعتُ الأمانة، ألا ترى حال عدنان كيف أصبح؟ سوف يجنّ على ابنته.

أزرق: إنه يستحقّ، يستحقّ ذلك وأكثر؛ لقد كان السبب في دمار علاقتي مع آمال في الفترة السابقة، وأراد تفريقها عني.

حنان: لقد كان خائفًا عليها وهذا من حقّه، لقد دمّرتنا يا أزرق لقد خطفت قطعةً من قلوبنا وأبعدتها عنّا، تبًا لهذه اليد التي ملأت مياه حوض الاستحمام بالماء وأجلست آمال فيها لساعات، تبًا لي، لقد كسرتَ قلبي، وليتكَ أفلحت في مهمّتك التي كانت سبب سماحي لك بمراقبة آمال، لقد خذلتني يا أزرق وجعلت قلبي ينفطر الآن حزنًا على ابنتي آمال.

* * *

# نباتية تشتهي

# لحم البشر

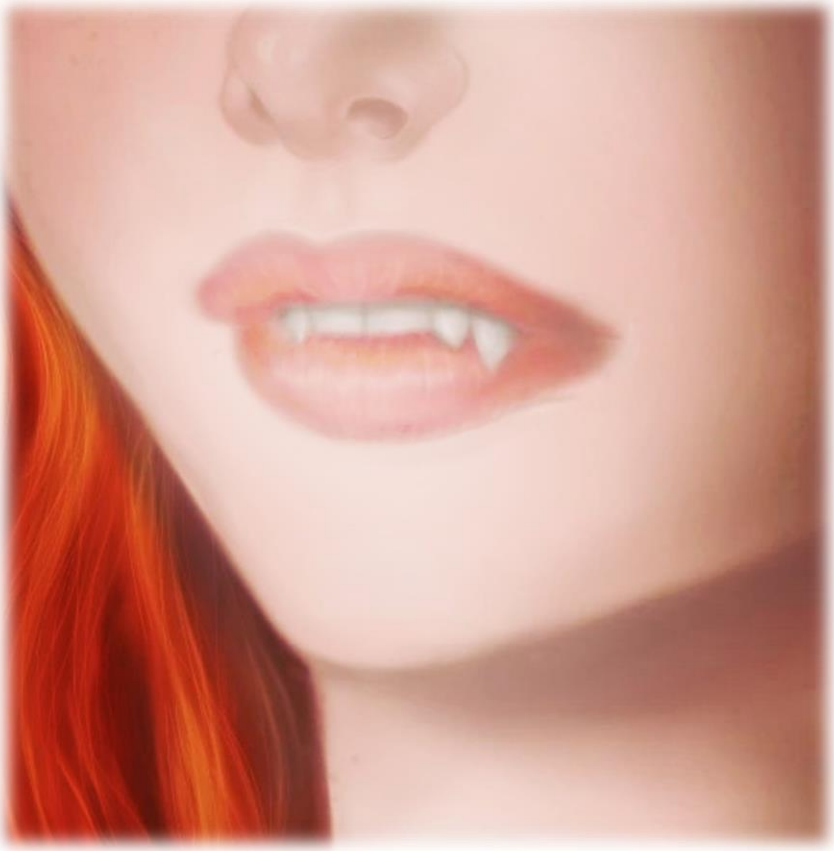

دخلت صهباء إلى دورة المياه وتحسّست أنيابها التي طالت، كم اشتاقت لنهشِ لحم البشر بأنيابها والتلذّذ بطعمه، نظرت لانعكاس وجهها في المرآة فتحوّلت قزحية عينيها إلى اللون الأحمر

صهباء وهي تبتسم وتكشر عن أنيابها: يجب أن يعاقب أحدهم اليوم، يجب أن أنتقمَ من أحدهم اليوم.

خرجت من دورةِ المياه بعدما تأكّدت من رجوع أنيابها كما كانت، ورجوع عينيها للون الأخضر الداكن.

أهداب: إلى أين أنت ذاهبةٌ يا صهباء؟

صهباء: لديّ بعض الأعمال ويجب عليّ إنجازها.

دنيا: ولكن لا تنسي سنذهب للتسوّق في الصّباح من أجل تجهيزات عقد قراني.

صهباء: لا تقلقي، سوف آتي، إلى اللّقاء أراكم في الغد.

خرجت صهباء من المنزل وبدأت تمشي بلا وجهة، لقد كانت تفكّر بالمكان الذي تبحث فيه عن فريستها، شدّ انتباهها صوت خادمةٍ تبكي وهي تلقي القمامة في الشارع، كانت هزيلة الجسم، رثّة الثياب، وملامح الانكسار والبؤس مرتسمان على وجهها.

اقتربت منها صهباء ثم سألتها: ما بك؟ ما الذي يبكيك؟

استمرّت الخادمة في البكاء ولم تُجب.

لفت انتباه صهباء احمرار على يدِ الخادمة فسألتها: هل احترقت

يدك؟ انتظري سأشتري لك مرهمًا للحروق.

الخادمة وهي تبكي: لقد أحرقت ثوب سيدتي بالخطأ فقامت بحرقِ يدي.

صهباء: وهل تلك الكدمة التي في وجهك بسببها؟

هزّت الخادمة رأسها بالإيجاب ثم قالت: نعم، إن سيدتي تبرحني ضربًا إذا أخطأت أو أغضبتها، إنها تفرغ كلّ ضغوطها عليّ بالضربِ والشتائم.

صهباء بغضب: كسر الله اليدَ التي تستقوي على الضّعفاء، ولكن عذرًا على التطفّل، لمَ لا تعودين لأهلك؟ لم تتحمّلين كل هذا العذاب؟

الخادمة: الحال لا يختلف كثيرًا عند أهلي؛ فأخي الأكبر لا يقلّ قسوةً عن سيدتي.

صهباء: وأين تعيش سيدتك؟

أشارت الخادمة بإصبعها والذي بدأت تجاعيد الزمن تظهر عليه إلى بيتٍ اكتسى بالصِّباغ الأزرق في منتصفِ الشارع.

صهباء: حسنًا.

توارت صهباء عن الأنظار ثم جعلت جسدها غير مرئي، وتبعت الخادمة حتى دخلت إلى المنزل بعدما أحضرت لها مرهمًا.

ما إن دخلت الخادمة حتى دفعتها السيدة وبدأت بالصّراخ عليها وشتمها بسبب تأخرها، دخلت السيدة لغرفة نومها وأغلقت الباب بقوةٍ فاخترقت صهباء الباب بجسدها غير المرئي وقامت بإقفاله، فزعت السيدة عندما رأت الباب يُقفل فالتفتت إليه بفزع، ثم التفتت للجهة

المقابلة فرأت صهباء تقف أمامها، شهقت السيدة وتراجعت للوراء وهمّت بالصراخ ولكنَّ صهباء سبقتها وأغلقت فمها وتمتمت بطلسم جعلها تنتقل هي والسيدة إلى بيتٍ مهجورٍ وقديم.

قيّدت صهباء يديّ المرأة وقدميها وخصرها على كرسيٍ خشبيٍ كان ذو رائحةٍ نتنة بسبب امتصاص خشبه للدماء البشرية التي كانت تهطل عليه كالغيث.

السيدة وهي ترتعش: من أنتِ؟ وما الذي تريدينه مني؟

صهباء: أنا فتاةٌ تحبّ الخير والسلام، تقوم بتنظيف العالم من الأشخاص السيئين؛ لكي يصبح العالم أكثر لطفًا وجمالًا.

السيدة وهي تبكي: وما الذي فعلته أنا؟ أنا مثلك امرأة صالحة وأحبّ الخير للناس، لم أفعل شيئًا، لم أؤذِ أحدًا.

صهباء: ومن الذي أحرقَ يدَ خادمتك المسكينة؟

السيدة: أنا أعتذر، أعترف بأنني أخطأت، وأعدك بألا أكرّرها... أعدك.

صهباء: قد فات الأوان يا عزيزتي؛ فقد وقعتِ في يدي ولن يحرّرك منّي سوى الموت الذي ستحلمين به كثيرًا ما دمت قد وقعتِ في أسري.

بدأت صهباء في قلعِ أظافر السيدة التي كانت تصرخ بشدةٍ من الألم، ثم بعد ذلك قامت بإحضارِ سكينٍ وبدأت بتقطيع أصابعها ببرود.

السيدة وهي تصرخ وتترجى صهباء بأن تكفّ عن تقطيع آخر إصبعٍ لها: أرجوك اغفري لي، لن أضرب أي أحدٍ أرجوك توقفي أقسم لك بأنني سـ...

صهباء ببرود: هل تفضلين اللّحم المقليّ أم المسلوق أم المشوي؟ أم جميعهم؟

أخذت صهباء أصابع السيدة وقامت بتتبيلها بالبهارات ثم قليها في الزيت أمام السيدة، وبعد ذلك أخذت إحدى الأطباق الوردية التي أهدتها لها الخالة أهداب ووضعت الأصابع في منتصفها، وعلى جوانب الطبق قامت برسم وجه مبتسم وبجانبه وجه حزين بالكاتشب، ثم جلست على كرسيها أمام السيدة وبدأت بتناول أصابعها.

صهباء: أوه، نسيت بأنك ضيفتي ويجب عليَّ إكرام الضيف.

فتحت صهباء فمَ السيدة بالقوة وقامت بحشوه بأصابعها المقلية، ثم بعد ذلك طالت أنياب وأظافر صهباء وتغيّر لون عينيها للأحمر.

نظرت للسيدة ببرودٍ وقالت: مع الأسف نسيت أن أجعلك تقلّمي أظافري قبل أن أقطعَ أصابعك.

جلست صهباء على كرسيها الذي كان مقابل كرسي السيدة وقامت بتقليم أظافرها وجعل أطراف أظافرها كزاويةٍ حادّة، وبعد أن انتهت قامت بإحضار مرآةٍ كبيرة ووضعتها أمام السيدة.

السيدة: ما الذي تفعلينه.

صهباء: أريد أن أرسم، صديقتي المقرّبة رسامةٌ ماهرة وأنا أريد

التدرّب على الرسم حتى أصبح رسامةً ماهرة مثلها.

أجهشت السيدة بالبكاء وقالت: أرجوكِ اقتليني، رجاءً، لم أعد أريد الحياة بعد أن فقدت أصابعي.

همست صهباء: حاضر يا عزيزتي، ولكن انتظري قليلًا.

كانت السيدة تقاوم وتحاول الإفلات من قبضة الحبال فغرست صهباء ظفرها في خدّ السيدة ورسمت عليه وجهًا مبتسمًا وعلى الخدّ الآخر وجهًا حزينًا، وبعد أن انتهت قامت برسم فراشات وقلوب على ظهرِ السيدة الذي كان مثل لوحةٍ كبيرةٍ يمكنها التفنّن في الرّسم عليها، وكم تلذّذت بلعقِ الدم الذي كان يخرج من جسدِ السيدة.

السيدة: أرجوك دعيني أموت أرجوك اقتليني ثم أكملي الرسم كما يحلو لك.

غرست صهباء ظفرها بعمقٍ في لحم السيدة وقالت بضجر: **كفي عن التحرّك لقد أفسدتِ عليَّ رسمتي.**

بعد أن انتهت صهباء من رسمها فكّت قيدَ يديّ وقدميّ السيدة ولكن أبقت خصرها مقيدًا بالحبل، وتحوّلت بعدها لذئبٍ شرسٍ وبدأت تَعوي، ثم كشّرت عن أنيابها وقامت بالتهامِ أطراف السيدة، بدأت بأصابع قدمها حتى نهاية فخذها ثم تناولت يدها حتى نهاية كتفها، وفي أثناء ذلك غيّرت هيئتها عدّة مراتٍ من ذئبٍ إلى نمرٍ ثم إلى دب، وأخيرًا لقطٍ أصهب اللّون، وبعد أن انتهت تركت السيدة تنزف حتى

تحرّرت منها روحها وطارت بعيدًا وبقي جسدها البائس بين يديّ صهباء التي قامت بتقطيع ما تبقى منه ووضعته في الثلاجة لتطهوه وتتغذى عليه في الأيام المقبلة.

* * *

# فريق المزن وفريق الأهوية

نَفَس: من أنتِ؟ هل أنتِ خادمتنا الجديدة؟

تأمّلت شكل وملامح أختها الوحيدة، إنّهما تشتركان في العيون الواسعة والشّعر الكثيف والشفاه متوسطة الحجم، كانت ترى أجزاءً متفرّقة منها في ملامح أختها الوحيدة نَفَس، ولكن الفرق أن نَفَس كانت أكثر أنوثةً من نفحة؛ فقد توزّعت الحليّ بين كفها ورقبتها وإذنها، وقد ذكّرها طول شعرها بصديقتها صهباء.

نَفَس: أحضري لي الماء، ثم قومي بتنظيفِ الغرفة.

نفحة: نَفَس، أنا أختك نفحة.

ضحكت نَفَس بصوتٍ عالٍ ثم قالت: يا لك من خادمة طموحة، إنك من الخادمات الآتي يطمحن لمصادقة من يعملن عندهم، أنا لا أمانع بل على العكس، ولكن أمي ستخسف بطموحك هذا، ألا تعرفين والدتي نكباء؟ ألم تسمعي بطريقة تعاملها المهينة مع الخدم؟

نفحة بجدية: أنا أختك نفحة يا نَفَس، أنا ابنة نكباء وأختك الكبرى.

لاحظت نَفَس الشبه الذي بينها وبين نفحة، فشهقت ووضعت كفّها على شفتيها وقالت: ماذا؟ هل كانت أمي تخون أبي؟

نفحة: لا أنا ابنتها من زوجها الإنسي، ألا تعلمين بأن أمك أصلها بشري وتحوّلت إلى هوائية.

نَفَس: بلى أعلم، وأعلم مدى البؤس الذي سببته للأهوية بعدما أتت لعالمهم.

نفحة بحزن: لمَ تقولين عنها هذا.

نَفَس: لأن هذه هي الحقيقة المرّة، والدتنا نكباء هي نكبة على عالم الأهوية.

طأطأت نفحة رأسها وهي تتذكر استقبال نكباء لها وقالت: لا تتحدّثي عن والدتي بالسوء، لا أسمح لك بهذا.

نَفَس: لم تخبرني والدتي أبدًا بأن لي أختًا بشرية، لم تحدّثني عنك قط

نفحة: ...

نفس: ما بك حزينة؟

نفحة وهي ما تزال مطأطئة رأسها بحزن: ...

تبدّلت ملامح نَفَس لملامح حزنٍ وشفقة، ففتحت ذراعيها وقالت: اقتربي يا أختي.

اقتربت نفحة من أختها فقامت باحتضانها وقالت: استقبال أمي صدمك صحيح؟

نفحة وقد تحطّم قلبها: نعم.

نَفَس: لا تسرفي في الحزن عليها يا أختي، هذه مجرد مقدّمة وستتبعها العديد من الصّدمات، ولكن لكيلا تُصدمي منها مجددًا سأخبرك بطريقةِ تعاملها معي.

تجوّلت نَفَس داخل نفقِ ذكرياتها السيئة مع والدتها، ونفضت بذلك

الغبار عن جروحٍ عميقةٍ كانت قد ضمّدتها بالمرحِ والسخريةِ من والدتها عن طريق المزاح والضحك، كانت نَفَس تبكي بحرقةٍ وهي تحكي بالتفصيل عن جروحها التي سببتها تعامل والدتها القاسي.

احتضنتها نفحة ومسحت على شعرها وقالت بحنان: لا تحزني يا أختي أنا هنا بجانبك وسأكون معك، أنا عائلتك وسأكون أمّك الصّغيرة، اعتبريني والدتك.

نَفَس وهي تمسح دموعها وتبتسم: كم أودّ هذا ولكن يليقُ بك أكثر أن تكوني والدي وليس والدتي، ما هذا الشعر القصير؟! ولم لا ترتدين الحليّ؟

نفحة: لأنني لا أحبّ.

نَفَس: ولكن العادة تقول بأن الهوائيات يجبُ أن يضعنَ مساحيق التجميل ويتجمّلن حتى يستطعنَ العثور على شريكِ الحياة.

نفحة: قد عثرتُ على شريكِ الحياة يا أختي العزيزة، وحتى لو لم أعثر عليه لن أضعَ مساحيق التجميل على وجهي؛ إنني أحبّ شكلي كما هو ولن أغيّره من أجل أن أكون جميلة في عينِ الذكور.

نَفَس بحماس: من هو حبيبك؟ كيف شكله؟ وما هي وظيفته؟ وكم هو عمره؟ صفيهِ لي.

ابتسمت نفحة وحاولت التّركيز على ردّة فعل أختها وقالت: حبيبي هو أخوك عليل يا أختي العزيزة.

عبست نَفَس وأشاحت بوجهها وقالت: يع عليل! عليل التافه! لا

أصدّق هذا! ما الذي تحبّينه في هذا الفتى الفاشل؟!

نفحة بانزعاج: لا تتحدّثي عنه هكذا، إنه طموحٌ وطيّبٌ وقويّ وناجح.

اشتعلت الغيرة والغيظ في قلب نَفَس فقالت: بل هو فاشلٌ وغبيّ وعالة علينا، عليل الكريه ليت والدتي قامت بطرده منذ زمن، ولكن في كلّ الحالتين وجوده من عدمه واحد، لم أحسّ بالفرق فهو كان وما زال نكرةً بالنسبة لي ولأمي.

نفحة: هل حقًّا قامت أمي بطرده من المنزل؟ ولماذا؟

نَفَس باشمئزاز: لأنه كريه.

بدأت نفحة تتذكر كلام عليل بشأن قسوة نكباء عليه وظلمها له، ولكن نفس! أخته الوحيدة، لم هي أيضًا ناقمة وحاقدة عليه هكذا؟! هل رضعت كره عليل من والدتها وتبنّت أفكارها ومشاعرها تجاهه؟! ولكن لماذا وهو أخوها الوحيد.

نفحة: لمَ تكرهين عليل يا نَفَس؟ إنه أخوك في نهاية المطاف والإخوان يجب أن يكونوا سندًا لبعضهم حتى يستطيعوا مواجهة قسوة الحياة.

نَفَس باشمئزاز: كفّي عن الدّفاع عن تلك العالة.

سمعت نفحة صوت طرق على الباب فتوجّهت نحوه وقامت بفتحه.

عليل وهو يتنفس بسرعة: نفحة هل نسيتِ أمر مباراتك مع المزن؟ لقد تأخرتِ.

شهقت نفحة وقالت: لقد نسيت أمرهم، إنني آتية الآن، ولكن انتظر دقيقة أريد أن ترافقني نَفَس.

عبس عليل وقال: لا، لن تأتي هذه الجبانة، لا أريدها.

ثم فكّر بردّة فعل الهوائيين عندما يرونها تحلّق بجانبه ويعلّمون بأنها ابنة نكباء، سيرمون عليها الطعام والقمامة وفي المقابل سيرحب به أصدقاؤه ومعارفه وبذلك ستتأذى نَفَس مرتين.

عليل: حسنًا لا مانع لديّ من أن ترافقنا، ولكنني أظنّ بأنها لن تأتي فهي جبانة ولا تستطيع الخروج من المنزل.

توجهت نفحة نحو نَفَس وعرضت عليها مرافقتها للذهاب.

نَفَس: تلعبين مع الغمام؟! كيف ذلك؟! ألا تخجلين من اللعب مع الحيوانات أمام الأهوية.

نفحة: لا طبعًا، إنني لا أبالي بهم؛ فأنا لم أقم بعملٍ خاطئ، المهم هيا يا نَفَس تعالي معي، نفسيتك ستتحسّن وأنا متأكدةٌ بأنّ المرض سيخفّ إذا قمتِ بالخروج واستنشاق الهواء الطلق.

احتضنت نفس نفسها وقالت بخوف: لا، لا أريد.

نفحة: لماذا؟

نَفَس: لا أريد... لا أحبّ.

نفحة: ولكن ...

نَفَس: أرجوك يا نفحة لا تصرّي عليّ فأنا لا أحبّ الخروج.

ثم أكملت بلهجة ساخرة: من هذا المنزل الجميل.

نادى عليل على نفحة: هيا يا نفحة لقد تأخرتِ.

همّت نفحة بالخروج فاستوقفتها نَفَس بسؤالها: هل أنت متأكدةٌ بأنك ستخرجين للعالم بدون وضع ولو القليل من مساحيق التجميل؟

نفحة وهي تغادر: لن أقوم بأيّ شيءٍ لست مقتنعةً به، ليسخر منّي من يَسخر أنا لا أهتمّ برأي الناس... أقصد الأهوية.

توجّهت نفحة للمكان الذي تواعدت فيه مع المزن فتفاجأت بالازدحام الشديد، كانت مئات الأهوية قد اجتمعت لتشاهد المباراة.

وصلت نفحة فهتف المزن بحماسٍ لأنها لم تخلف الموعد بالرغم من تأخرها قليلًا.

وقفت نفحة في وسط الملعب ونظرت للأهوية وقالت: **من يريد التباري معنا؟ صدقوني ستكون المباراة ممتعةً ومختلفةً عن مبارياتكم مع بعضكم.**

خرج عشرة لاعبين فهتفت الأهوية بحماسٍ وبدأت المباراة، كان الكلّ متلهفًا ومتعجبًا من أداءِ المزن، واستمتعت الأهوية كثيرًا بمشاهدةِ المباراة وبدأت تهتف وتشجع فريق الأهوية، ولكنهم أصيبوا بخيبةٍ عندما كانت نتيجة المباراة ٥/٠.

وكان الفوز حليف المزن.

المزن ١: نحن على استعدادٍ لبدءِ جولةٍ جديدة.

نفحة: هل هنالك لا عبين يريدون مباراة المزن؟

تقدم ثلاثة وأربعون لاعبًا.

نفحة: هذا كثير، نحتاج فقط أحد عشر لاعبًا.

اختارت نفحة أحد عشر لاعبًا ثم انضمّت لصفّ المشاهدين للمباراة، وللمرّة الثانية كان الفوز حليف المزن، فتشكل فريق أهوية من لاعبين جدد، ولكم فرحت الأهوية بالنتيجة الثالثة التي كانت ١/٤ فقد سجلت الأهوية أخيرًا هدفًا ضدّ المزن.

مزن ٢: هل تريدون مباراتنا في الغد؟

هتفت جموع الأهوية بحماس: نعم، نعم.

مزن ٢: حسنًا ننتظركم في الغد في نَفَس الميعاد ونَفَس المكان.

مزن٣: هل ستتبارين معنا في الغدِ يا نفحة؟

نفحة: لا أعلم، إذا أنهيت تدريبي ولم أكن متعبةً سأتبارى معكم.

أصبحت مباراة الأهوية والمزن عادةً أسبوعية، وفي كلّ أسبوعٍ كان يزيد عدد المتابعين للمباراة، ولكن الصّدمة هي عندما أصبحت هناك مجموعة كبيرة جدًا من الأهوية تشجّع فريق المزن، فانقسمت الأهوية لفريقين، قسمٌ يشجع المزن وقسمٌ يشجع الهوائيين، وكانت كل فرقةٍ متعصّبة لفريقها.

توجّهت نفحة مع عليل إلى مكانِ التدريب، وبدأ عليل بتدريبها وتعليمها بعض الطلاسم التي تعلّمها من أجل الدّفاع عن وليّ العهد، استمتعت نفحة كثيرًا وهي تتعلّم وتتدرّب، كانت تستمتع بمنافسةِ عليل وتطير فرحًا إذا تغلّبت عليه؛ فقد كانت ترى نفسها دومًا ندًا ومنافسًا له، وقد أحبّ عليل شغفها واستمتاعها وسرعة تعلّمها لفنون القتال والدفاع.

بعد أن انتهى عليل من تدريب نفحة قام بإيصالها لبيت والده، كان يتمنّى أن تأتيَ معه إلى منزله ولكنّها كانت تريد المكوث مع أختها نَفَس ووالدتها، وفي أثناء تحليقهما باتجاه المنزل مرّا من فوق مزرعةِ الحيوانات فشعرت بالقشعريرة عندما تذكرت طبق المزن المشويّ الذي أكلته مع عليل بالأمس، ثم بدأت عيناها بالتجوّل في المزرعة حتى استقرّت على مزرعةِ البشر التي أصبحت فارغةً بعد انقراضهم.

نفحة: كيف تستطيع الأهوية تناول البشر؟! إننا نشبهكم، فنصفكم العلويّ مثلنا، كأنكم تتناولون هوائي ولكن له قدمان.

عليل: لم أنتِ مستنكرة الأمر هكذا! إن الأمر مثلما يتناول عندكم سكان جزيرة (سانت كيلدا) حوريات البحر، بالرغم من تشابهكما في نصفكم العلويّ، إلا أنكم تأكلون بعضكم بعضًا.

آمال بصدمة: ماذا تقول! ما هذا الهراء، إن حوريات البحر مجرّد أسطورة للأطفال.

عليل: ألم أكن أراقبك في عالمك من خلال الماء؟ إنني أرى كثيرًا

وأعرف كثيرًا عن عالمِ الحور، إن جدّة السلطان إعصار لوالدته هي حورية متحوّلة لهوائية، والآن في عالمنا هنالك ثلاثٌ وثمانون حورية متحوّلة؛ فقد وقعت بعض من الأهوية في غرامهن، إنهم يفتنون بهنّ أكثر مما يفتنون بالإنسيات.

آمال: أريد أن أراهم.

عليل: نسمة التي قابلتها بالأمس هي حوريةٌ متحوّلة.

آمال: لا، إنني أقصد عالم الحور، أريد أن أراهم وأتأملهم، أريد أن أعرفَ كيف هي حياتهم.

ابتسم عليل ولم يرد.

نفحة: أيضًا كيف تتلذّذ الأهوية بأكل المزن بعدما أصبحت صديقةً لها؟! وأصبح بعضكم يشجعونها ويلعبون معها ويتسامرون بالحديث معها، كيف تسمرون بالحديث معهم في المساء ووقت الغداء تقومون بذبحهم وتناولهم وأنتم كنتم قبل ساعاتٍ تستمتعون باللعب والحديث معهم! لا أستطيع تخيّل أنني سألتهِم أحد أصدقائي بعدما لعبت وضحكت وشاركته همومي وأفراحي!

عليل: كفّي عن هذه الدراما يا نفحة، ما هذا التفكير والكلام السّخيف؟! إنهم في الأخير حيوانات، والحيوانات خلقت من أجلنا، وهي مسخّرةٌ لنا.

نفحة: ولكن كيف تقولون للمزن بأنكم تحبّونهم ومعجبون بأدائهم؟ كيف تتحدّثون معهم وتضحكون ثم في الصباح تقيدونهم وتذبحونهم!

ألا تقشعرّ وأنت تسمع صغار المزن وهي تبكي وتنادي أمّها التي تذبحونها أمامها؟

عليل: أليست الحيوانات التي كنتِ تتلذّذين بأكلها وأنت إنسية لها مشاعر وروح؟ وألم تكوني تسخري من شروق وصهباء لأنهما نباتيتان وتقولين بأنهما يحرمان على نفسيهما أشياء مباحة؟

نفحة: بلى ولكن...

عليل: كنتِ تقولين لهما بأن الحيوانات قد خلقت من أجلكم وهي مسخّرةٌ لكم، ولكن الذي اختلف الآن أنك استطعتِ التحدّث مع الحيوانات.

نفحة: ولكنني إذا عدتُ إنسيةً فسأصبح نباتيةً مثلهما.

ضحك عليل ثم قال: إنني لا أستطيع مقاومة لحم الغمام، لا أتخيّل بأنني سأكفّ يومًا عن تناوله.

تذكرت نفحة إحدى الغمامات التي كانت تلعب معها هي ونَفَس، ولكن نكباء اكتشفت أمرها فأخذتها وقامت بإلقائها في الزيت المغليّ وقدّمتها لهما في الغداء، لم تستطع نفحة تناول الغداء ذلك اليوم، بل إنها أصبحت لا تستسيغ تناول لحم الغمام ولا سيما الذي يطهى من دون أن يقطّع بل يقدّم بنفس هيئته ولكن يكون فقط مقليًا أو مشويًا.

عليل: بالمناسبة السلطانة أريج تودّ لقاءك في الغد.

نفحة: كم هي لطيفةٌ وطيبة، إنني أحبّها جدًا، وأنا مستاءةٌ من احتقارِ السلطان لها، لمَ يعامل زوجته بهذه الطريقة؟

عليل: السلطان إعصار لم يكن هكذا في السابق، لقد كان متيمًا بحبّها ولم يكن يرفض لها طلبًا، قبل أعوام كان يُضرب بهما المثل في الحبّ، ولكنه منذ فترةٍ قد بدأ بالتغير؛ فقد أصبح يكره شخصيتها وطريقة تفكيرها وتعاملها وكلّ ما فيها، وقد سلب منها كل الصّلاحيات في إصدار الأحكام والأوامر، ولم يعد يأخذ برأيها أبدًا، بل صار يتجاهل وجودها تمامًا.

نفحة: كم أشعر بالأسفِ على حالها، وكم أتمنّى أن أستطيع مساعدتها، ولكن عقلي يخبرني بأن أبتعدَ قَدر المُستطاع من كلّ ما قد يؤدّي إلى احتكاكي بذلك السلطان.

عليل: نعم يا عزيزتي؛ زلّةٌ بسيطةٌ منكِ ستُنهي حياتك.

وصلت نفحة وعليل إلى المنزل وقبل دخولها قام عليل بتوديعها بحضنٍ دافئ ثم قال لها: تصبحين على خير يا عزيزتي، أحبك كثيرًا.

نفحة: وأنا أحبك أيضًا.

حلّق عليل للأعلى ثم التفت إليها وقال: ولكن أنا أحبك أكثر.

ولكن آمال لم تستمع له لأنها كانت قد دخلت إلى المنزل الذي ما إن دخلته حتى عبس شهيق وأشاحَ بوجهه إلى الجهةِ الأخرى، كانت أجواء المنزل مشحونة؛ فنكباء غاضبة ونَفَس تبكي، وأما شهيق فقد قرأت في نظراته الرغبة بفريغ كل غضبه - الذي لا تعرف سببه - عليها.

توجهت نفحة نحو نَفَس وقامت بمسح دموعها وسألتها: ما الأمر

يا أختي؟ ما الذي يبكيك؟

نَفَس وهي تبكي: لا شيء، لا شيء مهم، هيا بنا لنخلد إلى النوم.

دخلت الأختان إلى الغرفة وحاولت نفحة معرفة سبب بكاء أختها، ولكنّ نفس أصرّت على الكتمان وخلدت إلى النوم لتهربَ من إلحاح نفحة وكثرة أسئلتها.

عندما تأكدت نفحة من أن نَفَس قد غطّت في النوم حلّقت نحو اللّوحة المعلّقة على يمينها وقامت بإزاحتها ثم فتحت الباب الحديديّ الصغير فخرجت منه الغمامات، لقد كانوا أصدقاء أختها الوحيدون وهم فقط من استطاعوا كسر مرارة وحدتها؛ لأنهم الوحيدون الذين كانت تستطيع التحدّث معهم والفضفضة لهم قبل أن تظهرَ نفحة لحياتها.

وضعت نفحة إصبعها أمام شفتيها وهمست: إششش اخفضوا أصواتكم، نَفَس نائمة ولا أريدها أن تستيقظ، وأيضًا أمي والعم شهيق في غرفة المعيشة.

هزت الغمامات رأسها بالموافقة.

نفحة: ما الذي أبكى نفس؟

همست الغمامة ١: والدها شهيق قال بأنه لا يريدك.

الغمامة ٢: إنه يستثقل وجودك هنا في منزله.

الغمامة٣: ويشعر بالضجر والضيق من وجودك معه هنا في المنزل وقد

أخبر نكباء بأنه سيطردك.

الغمامة٤: ولكن نكباء قالت له بأنها تحمّلت ابنه العالة والعاق ويجب عليه أن يتحمل هو أيضًا ابنتها.

الغمامة٥: ولكنه غضب وأخبرها بأنها إذا لم تقم بطردك فسيطردك هو في الغد كما قامت هي بطرد ابنه من المنزل.

الغمامة ٤: ولكن نكباء قالت إنه من الغباء طردك الآن من المنزل؛ فيمكنهما الاستفادة منك؛ فأنت ستعملين في القصر ويمكنك التقرّب من الأمراء والفوز بحبّ أحدهم، وإذا أحبك أحدهم فستأمرك نكباء بطلب المال والهدايا منه وإعطائهم إياها، وستكونين سببًا في ترقيتهما في مناصبهما في العمل.

الغمامة٢: وبذلك ستصبحين ذات فائدةٍ لهما.

* * *

# لمَ تبكين يا أمي؟

كان ياقوت يعلم بمواصفات فارس الأحلام التي كانت تحلم بها شروق قبل أن تُدخله لحياتها، فقرر مفاجأتها فتشكّل بهيئة شابٍ يحمل كلّ تلك المواصفات ثم أتى هذا الشاب مع أهله لخطبتها، وبالرغم من أنّ شروق قد وجدت فيه كلّ ما كانت تحلم به إلّا أنها رفضته من أجل ياقوت الذي لم تكن تعلم بأنه هو ذلك الشاب، عندها فرح كثيرًا وأخبرها بالحقيقة.

ياقوت: أريدك أن توافقي على الزواج بي يا شروق؛ لقد سئمتُ من مرافقتك وأنا على هيئةِ حيوانٍ أو أنثى، أريد أن نعيشَ سويًا ونكوّن أسرة، وسأتشكل لك بالشكل الذي تحبّيه، ستعيشين معي يا حبيبتي كالأميرة وسأحقّق لك كلّ ما تتمنّيه.

ذهبت شروق إلى والديها وأخبرتهما بخجلٍ بقرار موافقتها على الزواج من الشاب الذي رفضته قبل ساعات.

عبست أهداب وقالت: لمَ غيرتِ رأيك يا ابنتي؟ إن ما قلتِه صحيح؛ الشاب ما زال طالبًا ولم يتخرّج بعد، وينبغي أن يجدَ لنفسه وظيفةً ويؤمن مستقبله.

شروق: لقد فكرت ووجدت بأنه لا مانع من أن يكون خطيبي

ونتزوّج بعد أن يتوظّف.

أهداب: أنا لم أرتح لهذه العائلة يا بنيتي، إنني أشعر بأن والدة الشاب امرأة متطفّلة وتحبّ التدخل في كلّ صغيرةٍ وكبيرةٍ في حياة ابنها وهو ضعيف الشخصية ولا رأي له.

شروق: ولكن يا أمي...

أهداب: هذه الأشكال ستهمّش وجودك ورأيك، ومن حوله هم من سيتّخذون قراراتك بدلًا عنكِ، وستسير حياتك تبعًا لأهوائهم، ولن يعيروا أي اعتبارٍ لرأيك.

منير لأهداب: ردّي عليهم برفضنا في الغد.

شروق: ولكن...

عبس منير وقال: هذا الشاب لا يناسبك، لا تناقشينا في الأمر، فقد انتهى النقاش.

علم ياقوت بذلك وبعد أسبوعين أتى لخطبتها وهو على هيئة شابٍ يحمل أيضًا نَفَس المواصفات السابقة ولكنه كان خالٍ من العيبين السابقين، بالإضافة إلى أن شكله كان مختلفًا عن الشكل السابق.

أهداب وهي عابسة: هذه العائلة لا تناسبنا.

شروق: لماذا؟

أهداب: لأنهم يختلفون عنا ولا يشبهوننا.

شروق باستنكار: ولكن ألستِ أنتِ من كنتِ تحثّينني دومًا على

الاختلاط بأناسٍ من ثقافاتٍ مختلفة حتى تتوسّع مداركي ونظرتي للأمور حولي.

منير: الأمر يختلف في الزواج.

أهداب: من الأفضل أن تترفّعي عن مصاهرة تلك هذه النوعية من الناس.

شروق: ولكن الشابّ صاحب وظيفةٍ مرموقة.

أهداب: وما الفائدة من ذلك؟ إن هذه العائلة تفتقر للّباقة في الحديث والتصرّف وهذه الأشكال سوف تتعبك إذا أكثرتِ من الاحتكاك معها، ثم إنني لا أشعر بالراحة تجاههم.

شروق: ولكن...

منير وهو يتنقل بين رسائل الواتساب: اسمعي كلام والدتك يا ابنتي، إحساس الأم لا يَخيب.

قرر والدا شروق بأن الشاب الثاني غير مناسبٍ لها وقررا رفضه من دون أن يسألوها عن قرارها ورأيها به، وبعد شهرين قررت أهداب رفض الشاب الثالث.

شروق: ولكن هذه العائلة متعلّمة وتحبّ العلم يا أمي؛ فجميع إخوة الشابّ قد أكملوا دراساتهم العليا.

أهداب: المشكلة ليست في العائلة بل في الشابّ نفسه

شروق: ما به؟

أهداب: فكره رجعيّ ومتخلّف، وسيحاربك ولن يسمح لك حتى بممارسة هواياتك أو رؤية صديقاتك.

منير: الشاب متعلّم، ولكن لن يستطيع حتى أن يسمح لنفسه بتخيّل أنك ستكملين تعليمك.

تنهدت أهداب قالت وهي تلوّح بيدها: لا أعلم حقًا متى تنقرض هذه العقليات!

تعجبت شروق من ياقوت الذي كانت تتغير طريقته في الكلام كل مرةٍ يأتي فيها، بالإضافةِ إلى تغَيُر شخصيات أهله وطريقة تفكيرهم في كلّ مرة، وتعجبت عندما أدركت بأن والدتها ستستمرّ بالرّفض بعدما رفضت الشاب الأخير لأنه مريض سكر، متحجّجة بأنه سيكون عصبيًا ومتعبًا في التعامل و...

شروق: حسنًا ما هي المواصفات التي تريدونها وتقبلون بها؟

بدأت أهداب بسردِ قائمةٍ من المعايير والأوصاف الدقيقة التي تريدها أن تتوفّر في زوجِ ابنتها.

* * *

شروق: إنك تتهرب من الزواج منّي يا ياقوت، لقد مرّت أربعة أشهر، لمَ أدخلت الفكرة في رأسي ثم خذلتني؟ هل تعبث بي وبمشاعري؟

ياقوت: إن الأمر ليس بتلك السّهولة، الأمر ليس كما تظنّين.

شروق بغضب: وما الصّعب في الأمر؟ فقط تتشكّل أنت وأهلك

وتدَّعون بأنكم تحملون قائمة المواصفات التي تريدها أمي.

ياقوت: إنني أبذل قصارى جهدي.

تنهّد ثم أكمل: لقت أتعبتني الخالة أهداب كثيرًا، صدّقيني إن الأمر ليس بتلك السهولة.

بعد خمسة أشهر أتى ياقوت وأهله أخيرًا لخطبة شروق بعد أن استمرّ ياقوت بإقناع أهله بالزّواج بها، لقد كانوا غير مقتنعين بها ولم يتقبّلوها ولكنّهم فعلوا ذلك من أجل ابنهم، وفي المقابل وافق والد شروق، أما أهداب فوافقت على مضضٍ بعد أن تأكدت بأن كلّ المواصفات والمعايير الدقيقة التي وضعتها قد توفّرت بهم.

كانت أهداب ترمق العريس كلّما أتى لزيارةِ ابنتها بنظرةٍ حاقدةٍ وغاضبة تفزعه وتجعله يتساءل عن سببِ هذا الغضب، وبعد أيامٍ أجهشت بالبكاء.

شروق بقلق: لمَ تبكين يا أمي؟ ما الذي يُحزنك.

أهداب: لأنني خائفة...

إنني أخاف عليك يا ابنتي.

شروق: من ماذا؟

أهداب: من هذا العريس، إنني لا أشعر بالراحة تجاهه.

شروق: لا تخافي يا أمي إنه شابٌ حنون وطيّب.

تأملت ملامح ابنتها ثم قالت بحزن: إنك طيّبة وبريئة أكثر مما

ينبغي، أريدك أن تبقي بقربي ولا ترحلي حتى أحميكِ وأفتك بكلّ من قد يمسّك بسوء.

* * *

كان حريصًا على أن يجعلها تحبّه وتتعلّق به قبل أن يتمّ زواجهما، وقد نجحَ في ذلك، وبعد أن تزوّجت به اكتشفت بأنها ستعيش معه كالأخت، ولكنها صمتت ولم تقل شيئًا؛ فقد كانا مغرمين ببعضهما، وكان وجوده بقربها يعميها عن كلّ عيوبه ونواقصه، كان شهاب يدلّلها ويسعى لإسعادها، ويخبرها بلغته الخاصّة بأنه يحبّها عن طريق شراء الهدايا وإعداد المفاجآت لها، كان يشتري لها كلّ ما تحبّ، بل إنه لم يكن يحبّ أن يراها تتعب وهي تنظّف المنزل فجلبَ لها خادمةً لتبقى مدلّلة، وكان كلّما سنحت له الفرصة يأخذها بجولةٍ إلى دولةٍ جديدة لترفّه عن نفسها.

شهاب: أين كنتِ؟

قامت أهداب بتعديل طوق الورد المتكئ على رأسها وقالت بسعادة: كنت أضع الطّعام للطيور في الخارج، إنني سعيدة، أحب أن أتأمل العصافير والحمام وهم يأكلون ما أضعه لهم.

نظر لها شهاب بحبٍ وابتسم؛ فقد كانت زوجته طيبة وبريئة جدًا ومرهفة المشاعر ومهذبة أكثر مما ينبغي، فلم تتحدث عنه قط بالسوء، أو تذكر للناس عيوبه مهما أغضبها أو ضايقها، بل كانت تخبره دومًا بأنه أكثر شيء تحبه في حياتها، ورغم كثرة سؤال الناس لها عن

سبب تأخر حملها ومضايقتهم لها، إلا أنها لم تنطق لهم بشيء بل كانت تقول بأنها لا تفكر بهذا الأمر الآن، بالرغم من أنها كانت تتمنّى ذلك بشدّة، وتتألم كلما رأت طفلًا وتتذكر بأنها لن تستطيع أبدًا أن تحتضنَ في يوم طفلًا لها.

أخرج شهاب الوردة التي كان يخبئها خلفه وقال: أحبك يا عزيزتي، إنني سعيد لأنني ارتبطت بامرأةٍ مهذّبة ونظيفة مثلك؛ فقد قلّ وجود نساء مثلك في هذا الزمان.

استنشقت أهداب عبيرَ الوردة ثم دارت حول نفسها بفستانها القصير ذو التّصميم الطفوليّ وقالت بدلال: كم أنا سعيدة، إنني أحبّ الورد.

بدأت أهداب بتأمّل الوردة والمسح على أوراقها وأخيرًا غرستها بين جدائل شعرها

صمتت قليلًا ثم قالت وهي تفكر: قد اقترب العيد، لمَ لا نُعد بعض العيديات لعمال النظافة؟ فهم مغتربون وبالتأكيد يفتقدون أهلهم.

شهاب: فكرة جميلة.

أمسك شهاب بإحدى الكعكات الصّغيرة والمزينة بدرجات ألوان الباستيل وبدأ يتأملها.

شهاب: يا لها من كعكةٍ جميلة! إنك حقًا مبدعة في إعداد الكعك! هناك معهد بالقرب من منزلنا لاحتراف صنع الكعك لم لا تلتحقين به؟

أهداب وهي تتمغط: لا أريد.

شهاب: ولكنك موهوبة حقًا يا حبيبتي والتحاقك بالمعهد سيساعدك على تنمية موهبتك هذه.

أهداب: لقد تركت الدراسة فور زواجنا لأنني لا أحبّ الالتزام بأيّ شيء، وإذا التحقت بالمعهد سأضطرّ للالتزام بالحضور.

بدأ شهاب بإقناع أهداب بتنمية موهبتها تلك فواقفت على مضض، وبعد التحاقها تطوّرت بشكلٍ ملحوظ وتفوّقت على أقرانها هنالك؛ فقد صار إعداد الكعك هو شغفها ومتعتها الأكبر في هذه الحياة، فبدأت بصنعه وتوزيعه على معارفها الذين كانوا يمطرونها بكلمات إعجابهم فور تناولهم له، ولكم كان شهاب سعيدًا وفخورًا بها؛ فقد كان يتمنى أن تصبح زوجته امرأةً ناجحةً وبارزة في المجتمع، كان يشجّعها باستمرار ويدعمها حتى نبت في داخلها حلم بأن يكون لها متجرها الخاص الذي تبيع فيه كعكها، وبدأت تخطو خطواتها الأولى لتحقيق هذا الحلم، ولكن لسببٍ ما شعرت شقيقته الصغرى بأن نجاحها ذاك يسلب منها شيئًا ما، ويعكّر عليها مزاجها ويؤذيها، فصارت تقتنص الفرص لتجلسَ مع شهاب بمفردها وتبدأ بقضمِ لحم أهداب وتنبّش عن عيوبها وتهوّلها في عينيه، وبعد أن تنتهي تراقب أهداب حتى تصطادها وهي بمفردها وتبدأ بفعل الشيء ذاته معها.

تغير شهاب واستبدل حنانه بالعصبية المفرطة، وغزله بالانتقاد اللاذع، وأصبح نقصه ذاك يوجعه ويؤذيه، ولم يعد يرضى بأن يعاني وحده من شعور النقص، فصار يتجاهل أهداب تمامًا وكأنها نكرة

وغير موجودة، وإذا اضطرّ للتعامل معها فإنه يتعمّد التعامل معها باحتقارٍ وترفّع وكأنها شيء حقير لا يرتقي إلى مستواه، ولكن كل ذلك لم يشفِ غليله منها، فغاصَ في أعماق ذاكرته وبدأ بالبحث عن نقاطِ ضعفها ومخاوفها التي أخبرته بها عندما كانت تحبّه، ثم صار يتحيّن الفرص ويصنعها حتى يتلاعب بها عن طريق ما كان يعلم بأنه سيؤثر عليها ويؤذيها.

أهداب وهي تبكي: إنك تجرحني بكلامك هذا وانتقادك، إنني زوجتك، لم تعاملني هكذا؟

صرخ شهاب وقال: **هذا أنا وهذه شخصيتي، وإذا لم أعجبك فاخرجي من هنا.**

كانت أهداب مرهفة المشاعر وأيضًا تخاف منه ولا تتجرأ على الردّ عليه بنفس أسلوبه الجارح، دخلت لإحدى الغرف وتكوّرت على نفسها وأجهشت بالبكاء وهي تتساءل: لم يفعل بي هذا؟ لم يتعامل معي بتلك الطريقة؟

وفجأةً رنّ هاتفها، فمسحت دموعها وابتلعت غصتها وارتدت قناع السعادة.

أهداب: أهلًا.

عفراء: كيف حالك يا عزيزتي؟ لقد اشتقت لك كثيرًا، كيف هي أحوالك وكيف معهدك؟

أهداب: بخير.

عفراء: في الحقيقة قد اتّصلت بك لأخبرك بشيءٍ ما؛ فكما تعلمين أن لك معزّةً كبيرةً في قلبي يا عزيزتي وأمرك ومصلحتك تهمانني كثيرًا...

في الحقيقة لقد أتي إليَّ شهاب بالأمس وبدأ يتشكى منك ويتذمّر وقال لي بأنه لم يرزق بطفل حتى الآن بسببك أنتِ...

أنتِ السبب...

فقد قال بأنكِ غير كفؤ لأن تكوني أمًا لأطفاله؛ لأنك تافهة ومهملة، وقد ضايقني كثيرًا قوله هذا وحزنت كثيرًا من أجلك.

كانت كلمات عفراء تلك مثل السكاكين التي غرست في صدرها، لمَ يتحدث عنها هكذا؟ لقد سترت عليه طوال الأعوام الماضية وتحمّلت بلبلة النساء حولها وسؤالهم المستمر عن سبب تأخر حملها وعدم إنجابها، لقد كانت تشفق على شهاب وحاله ولا تريد أن يعايره الناس أو حتى أن يعلموا بعيبه، لم تستطع أهداب أن تخبر حتى أقرب الناس إليها بأنها تتمنّى الإنجاب ولكن لن تستطيع، وفي المقابل استغلَّ هو خجلها المفرط وأدبها الذي يجبرها على الصّمت وعدم الجهر بعيبه لتبرير الأمر، فصار يتقمّص دور الضحية ويثرثر بعيوبها للناس حوله ويتشكى منها إلى أن يشفي نقصه المتعفّن داخله ويشعر بأنها هي أيضًا ناقصة مثله بعدما يخبره من حوله بأنه زوجٌ صبورٌ على زوجته، وبعد أن يغذّي شعوره ذاك يذهب ويحضر لها هديةً ليعبّر لها عن حبّه.

عفراء: ربما معهدك هو السبب؛ فقد قال لي بأنك أصبحت مهملةً له ومنشغلةً عنه وتقضين الوقت كله وأنت تعدّين الكعك، وأنا يا عزيزتي أحبك وأحبّ الخير لك وتهمّني مصلحتك، لذلك أنصحك بعدم إعداد الكعك والاهتمام فقط بزوجك وبيتك.

تنهدت أهداب بحزن، وصدّقت عفراء التي كانت تتصنّع دور المحبّ الناصح ولأول مرةٍ فتحت قلبها وتحدّثت عن شهاب وتعامله السيئ معها.

امتلأ قلب عفراء بالسّعادة وهي تستمع لأهداب ونبرات الشقاء والأسى تكسو كلماتها، ولكن سعادتها لم تستمر فقد قتلتها أهداب بقولها: عزيزتي عفراء، إن شهاب دائم الانتقاد لي، ومهما فعلت فسيبقى يتذمر ويتصيد الأخطاء ولن يرضيه أي شيء، لذا لن أترك معهدي؛ فقد نبت في داخلي حلمٌ وأنا أسعى لتحقيقه.

تبدّلت نبرتها لنبرة لهفةٍ وسعادة وهي تقول: هل تعلمين بأنني سأكمل تعليمي الجامعي في الفصل القادم؟ وأيضًا في تخصّص إدارة الأعمال، كم أنا سعيدة! فأنا أخطو خطوات نحو حلمي.

غصّت عفراء بالقهوة التي كانت ترتشفها وبدأت تسعل ثم قالت بعد أن حاولت قدر استطاعتها إخفاء غيظها وهي تقبض بقوةٍ على قميصها الفضفاض: مبارك لك يا عزيزتي، مبارك، هذا خبرٌ جميل، كم سعدت من أجلك، ولكن متى حصل لكِ كل هذا؟

أهداب ببراءة: قبل أسبوع.

بدأت أهداب تحكي لعفراء ببراءةٍ ممتزجةٍ ببعض الغباء عن مدى حماسها وسعادتها للفرص المتوالية التي طرقت بابها، واستشارت عفراء بقولها: في الحقيقة أنا خائفةٌ قليلًا فطلبات الزبائن أصبحت كثيرة وأنا أريد التوفيق بين دراستي وعملي، ماذا تقترحين عليّ أن أفعل حتى أستطيع التوفيق بينهما؟

عفراء وهي تحاول كتم غيظها: هذا يعني بأنك يا عزيزتي لن تتركي صنع كعكك اللذيذ والشهي؟

أهداب: أبدًا.

أغلقت عفراء الخط ونظرت للمرآة ثم قالت بغيظ: لم يحدث معها كل هذا؟! ما الذي تفعله تلك الفتاة حتى تسير كل الأمور هكذا لصالحها وتحصل على ما تريد؟

تنهدت بغيظٍ ثم اتصلت على شهاب.

شهاب: أهلا بك.

عفراء: كيف حالك يا أخي الحبيب؟ لقد اشتقت لك كثيرًا، كيف هي أحوالك؟

شهاب: بخير.

عفراء: في الحقيقة قد اتصلت بك لأخبرك بشيءٍ ما، فأنت تعلم بمدى حبي لك يا أخي العزيز، ومصلحتك تهمني كثيرًا...

ثم أكملت بحقد: في الحقيقة إن تلك التافهة والجاهلة أهداب لا تهتم لأمرك ولا تأبه بك، كيف تصنع الكعك وتقوم ببيعه وتسويقه بدلًا من

الاهتمام بإعداد طعامٍ صحيٍ ومفيد لك، من المفترض أن تحرص على خدمتك أكثر، وتفكر ولو قليلًا بمصلحتك بدلًا من إعداد أطعمة تسبب السمنة، هل تذكر عندما كنت صغيرًا وكان زملاؤك يسخرون منك بسبب سمنتك؟ إن تلك الجاهلة أهداب ستجعل الناس تسخر منك مجددًا، أرجوك يا أخي الحبيب احذر منها ولا تأكل من كعكها؛ فالكعك مضرّ بالصّحة.

تنهّدت ثم قالت بأسى مصطنع: كم أنا مشفقةٌ على حالك يا أخي المسكين؛ فتلك الأنانية لم تكتفِ بإعداد الكعك المضر ولكنها أيضًا ستنشغل عنك وتهملك إذا بدأت بالدراسة، إنك تدلّلها كثرًا يا أخي الحبيب وهذا ليس من مصلحتك...

انتهت عفراء من مكالمة أخيها وبدأت تستعد للخروج مع صديقاتها للحديث عن كل من حولها وقضم لحومهم، أهل زوجها وتداخلاتهم في حياتها، أخوها وزوجته المدلّلة، حاولت جاهدة حشو كتل الشحم الملتصقة بلحمها داخل البنطال المسكين ولكنها فشلت في ذلك فنظرت إلى جسدها الذي تكرهه وقالت بعيونٍ دامعة: لقد فشلت كثيرًا في التخلّص من تلك الشحوم، لم يحدث هذا معي!

* * *

كلمات الغمام الصريحة كانت مثل السّهام التي صوبت لأعماق قلب نفحة فبدأت تتساءل: كيف تفكر أمي بي بهذه الطريقة؟!! إنني مجرد سلعةٍ وبضاعة تستفيد منها، أين مشاعر الأمومة؟ ظننت بأنها

تفتقدني، ظننت بأنها متّعطشة لاحتضاني وتعويض سنوات البُعد التي فصلت بيننا، ظننت بأنها ستكون فخورةً بي عندما تسمع عن إنجازاتي وما حقّقته في حياتي، ولكنّها لم تسألني من الأصل عن أحوالي وحياتي، ذات يوم ظننت بأنني سأنعم بحنانِ الأمّ ونسيت أن بعض الظنّ إثم، إنني الآن أستشعر نعمة الجهل التي كنت أنعمُ بها في تلك الأيام الجميلة، يوم كنت أظنّ بأنّ أمي تشبه القمر، وقلبها مثل النور وحنانها يَسع الكون، إنّني أفتقد تلك الأيام التي كنت أعيش فيها الأحلام الوردية، عندما كنت أنقم على أبي بغضه لأمي، إنني أفتقد نعمة الجهل التي كنت أنعم بها .

غطّت نفحة وجهها وأجهشت بالبكاء، وبالرغم من محاولتها في كتم صوت شهقاتها إلا أنها فشلت في ذلك، وهذا ما جعل نَفَس تستيقظ من النوم.

نَفَس: نفحة!

توجّهت نحوها وعانقتها بحزنٍ وذرفت دموعًا حارّة، أما نفحة فمسحت دموعها وابتعلت غصّتها وحزنها وحاولت أن تبدو أكثر قوةً وتماسكًا أمام أختها؛ فهي تريد أن تكون قويةً وصلبة في عين أختها حتى تجعلها تكتسب بعض القوة والثقة منها؛ فهي الأخت الكبرى.

نفحة: ما رأيك يا نَفَس بأن تنتقلي للعيشِ معي أنا وعليل؟

عبست نَفَس وقالت: مستحيل، العيش مع نكباء أهون عليّ من العيش مع ذلك العالة.

نفحة: لمَ تكرهين عليل لهذه الدرجة؟! إنكم إخوة.

أشاحت نَفَس بوجهها وقالت: لا لسنا إخوة، ذلك مجرد لقب ولكنه سيبقى خاليًا من المعنى.

كان الشهر قد قارب على الانقضاء، وقد عزمت نفحة العودة إلى كوكب الأرض، ولكنها تريد أن تساعد أختها وتقف بجانبها، فقررت أن تساعدها بالتغلّب على الرهبة من الأهوية، وتجعلها تواجههم وتندمج معهم، وقرّرت أيضًا أن تحسّن علاقتها بعليل حتى تطمئن عندما تعود إلى كوكب الأرض بأن هناك من سيعتني بأختها ويكون سندًا لها.

نفحة: ما الذي فعله لك عليل حتى تكرهيه لهذه الدرجة؟! إنكم إخوة، وتحتاجان أن تكونا سندًا لبعضكما حتى تستطيعا مواجهة قسوة الحياة.

نَفَس: إنه ليس بحاجةٍ لي، لا يحتاج لحبّي ومساعدتي له؛ فالكل يحبّه هنا فهو ابن المرسلات، أمّا أنا فقد تكونت في الرحم الذي جعل الكلّ يقرّر بغضي من قبل أن أولد.

نفحة: ولكن عليل ليس له ذنب في هذا، ثم إنه لا غنى له عنك؛ فحبّ العائلة لبعضهم لا يضاهيه أي شعور.

أمسكت نفحة بيدي نَفَس وقالت: إنك لا تعلمين مدى سعادتي بعدما عشت مشاعر الأخوة معكِ، إن الأُخوة الحقيقية شعورٌ جميلٌ ولا يضاهيه أبدًا حبّ الأصدقاء، أنتِ فتاةٌ لطيفةٌ يا نَفَس وداخلك قلبٌ طيّب

لم يوجد له مثيل.

نَفَس: أنا ليس لي مثيل!

نفحة: نعم يا نَفَس، إن روحك جميلة، وقلبك طيب، إنك تزرعين البهجة والمرح أينما حللتِ.

فرحت نفس كثيرًا وقالت: حقًا؟ هل ترينني هكذا بالفعل؟

نفحة: بل أجمل بكثيرٍ مما قلت.

احتضنت نَفَس أختها بقوة، وبعدها أمسكت نفحة بيد نفس وقالت: ما رأيك في الانتقال للعيش معي أنا وعليل؟ سأنتقل اليوم للعيش معه.

نَفَس: اعذريني يا نفحة، لا أستطيع ذلك.

ثم دمعت عيناها وقالت: ولكن أرجوكِ لا تنسي إنني أحبك، وقد اعتدت على وجودك.

نفحة: سأزورك كلّ يومٍ يا عزيزتي.

نظرت نفحة لأختها بتأثر...

نفحة: وسأطلب من زمهرير منحك خاصّية مراقبة البشر من خلال الماء حتى نبقى على تواصلٍ عندما أعود إنسية.

نَفَس: ماذا! هل سترحلين من عالمنا؟ تجاهلي وجود أمي ولا تبالي بها.

نفحة: ليست المشكلة في أمي فقط، ولكنني اشتقت لأبي، ثم إنني

سأجبر على الزواج من عليل إذا مكثت هنا لأكثرِ من شهر.

ابتسمت نفس وقالت: يبدو أنك قد بدأتِ باستيعاب قولي عندما قلت لك بأن أخي لا يطاق.

نفحة: بل على العكس، إنني أحبّ عليل كثيرًا، ولكن السلطان إعصار قد ألقى على أبي لعنة تجعله يموت في يوم زواجي، ولهذا لن أتزوّج أبدًا.

سرحت نفحة ثم قالت بحزن: يا ترى كيف هو حال والدي؟ لقد اشتقتُ له كثيرًا وأتمنى أن أراه الآن، ولكن العاملين في القصر رفضوا تزويدي بخاصّية مراقبة البشر من خلال الماء.

طارت نفس ودارت حول نفسها وقالت بمرح: لا تحزني يا أختي سأحقّق لك رغبتك.

توجهت نفس نحو اللّوحة ثم فتحت البوابة على الغمام الذي دخل ليخلدَ إلى النوم بعد محادثته لنفحة، فاستيقظت الغمامات وانتشرت في الغرفة سريعًا ثم بدأت باللعب.

فالتفتت إليهم نَفَس وقالت: أختي نفحة تريد أن ترى والدها في عالم الإنس، وأريد أن تساعدوني في صنع بلورة.

بدأت نَفَس بقَصّ قصةٍ حزينةٍ للغمام فبدؤوا بالبكاء.

جمعت نَفَس الدّموع في زجاجةٍ مستديرة ثم تمتمت إحدى الغمامات ببعض الكلمات فتوهّجت الزجاجة ثم ظهرت عليها صورةً لكوكبِ الأرض.

نَفَس: هل هذا كوكبك يا نفحة؟

نفحة: نعم نعم.

الغمام١: قومي بتكبير الكوكب بإصبعيك حتى يظهر لك المكان الذي يعيش فيه والدك.

الغمام٢: أو أرنا صورةً له وسنريك إياه.

الغمام٣: أو قولي اسمه كاملًا وسيظهر لك على الزجاجة.

نفحة: اسمه عدنان بن...

ظهرت صورة والدها على القنينة وهو في غرفة المعيشة.

تأثّرت نفحة ونادت على والدها: أبي، لقد اشتقتُ لك كثيرًا، اشتقت لكَ يا أبي العزيز.

ولكن صوتها لم يصله؛ فلم يكن بمقدور الغمام جعل البلورة تنقل صوتها إليه، وفجأةً ظهرت دنيا وهي ترتمي في حضن عدنان وتقول: شكرًا يا أبي العزيز على هذه الهدية.

صُعقت نفحة مما رأت.

نَفَس: واو، يا لها من فتاةٍ جميلة، لقد أحببتها.

رمقتها نفحة بنظرة غاضبة.

نَفَس: ما بك؟! هل قلت شيئًا خاطئًا؟

نفحة: لقد أعطاها هديتي، لقد أهداني هذه العلبة عندما كنت في المرحلةِ المتوسطة.

رجعت بذاكرتها إلى الوراء وهي تتذكر والدها وهو يهديها علبة مساحيق التجميل لأنه لاحظ ميل الفتيات في عمرها لوضع مساحيق التجميل، ولكن آمال ألقت الهدية على الأريكة بعدما لاحت لها علبة مساحيق التجميل من خلف التغليف وقالت: أبي ما هذه الهدية! ألا تعلم

بأنني لا أحب هذه السخافات.

عدنان بسعادة: لقد كبرتِ يا ابنتي وخطر لي بأنك ستسعدين بهذه الهدية.

خرجت آمال من الغرفة وهي تقول: لا أحبّ هذه الأشياء يا أبي لن أستخدمها.

نفحة في نفسها: صحيح بأنني لا أحبّ مساحيق التجميل، ولكن لمَ يهديها ممتلكاتي، لقد اشتراها لي، لمَ يُعطيها ما اختاره لي أنا.

ثم ظهرت أحلام وهي تقول لعدنان بسعادة: إن دنيا تحبّك كثيرًا، وهي تخبرني دومًا بأنها تشعر بأنك والدها الحقيقي وقد سألتني اليوم عن يوم ميلادك، يبدو أنها تخطط لإعداد مفاجأةٍ لك.

تأثر عدنان وقال بسعادة: دنيا ابنتي ولا فرق بينها وبين آمال بالنسبة لي.

ثم أكمل بحزن: ادعي يا أحلام بأن يردّ الله لي ابنتي سالمة، إنني لا أعلم هل هي حيّة أم ميتة، هل هي الآن جائعة؟ هل تشعر بالبرد؟ كيف هو حالها؟

ثم تمتم قائلًا: ربي إن استودعتك ابنتي وعندك يا الله لا تضيع الودائع...

نفحة بتأثر: أبي الحبيب، سأعود لك قريبًا، لا تحزن.

نَفَس: ما اسم تلك الفتاة الجميلة صاحبة الفستان الوردي؟

عبست نفحة وقالت: دنيا.

نَفَس: دنيا ابنة من؟

نفحة: دنيا ابنة أدهم بن...

ظهرت حينها دنيا وهي تتوجّه لحجرتها.

نفحة: ما الذي أتى بها إلى هنا؟ ألم يكن زواج أبي بعد بضعة أشهر؟

الغمام ٦: من هذه؟

الغمام١: هل هي أختك؟

الغمام٢: إنها أجمل منكِ بكثير.

الغمام ٥: لقد أحببتها أكثر منك.

الغمام٣: لم لا ترتدين مثل حليها حتى تصبحين جميلة مثلها؟

رمقت نفحة الغمامات بنظرةٍ غاضبة وقالت: اخرسوا أيتها البهائم.

ثم التفتت إلى نَفَس وقالت بانفعال: كان من المفترض أن يكون زواجهم بعد ثلاث أشهر.

نَفَس: ثلاث أشهر أرضية أم زحلية؟

نفحة: وهل هناك فرق؟!!

نَفَس: بالتأكيد؛ فالشهر الزحلي يساوي ست شهور أرضية.

نفحة: هذا يعني بأنني قد غبت عنهم خمس أشهر! هذا كثير.

نطقت نفحة باسم المربّية حنان فظهرت لها وهي تتأمّل في صورها وتمسح دموعها.

حنان: قد أخذتها مني يا أزرق، أخذت ابنتي مني، تبًا لهذه اليد التي مهّدت لك الطريق لمراقبتها ورؤيتها، لقد انفطرَ قلبي على ابنتي، ابنتي اختفت ولا أعلم ما هو حالها، هل آذاها أزرق؟ هل يقوم الآن بإيذائها...؟

نفحة بحزن: هذه هي أمي الحقيقية.

ربتت نَفَس على كتف أختها ثم قالت للغمامات: هل تعرفون طريقة تنقلني أنا أيضًا إلى كوكب الأرض؟

ثم نظرت إلى نفحة وقالت: سأنتقل للعيش معكِ على كوكب الأرض.

الغمامة١: هل ستتركيننا؟

الغمامة٢: ألم تعودي تحبيننا؟

بدأت الغمامات بالبكاء.

نفحة: إنها تمزح معكم.

فرحت الغمامات وبدأت بالتحليق سريعًا والدوران حول نفس معبرةً عن فرحها.

نفحة: كيف استطاعت الغمامات منحنا القدرة على رؤية البشر من خلال دموعها؟ ظننت أن خاصّية رؤية البشر لا تمنح إلا من خلال العاملين في القصر.

نَفَس: هذا ما تظنّه الأهوية، ولكن في الحقيقة العديد من الحيوانات هنا تستطيع منح الأهوية بعض القدرات الخارقة، ولكن الأهوية لا تعلم بذلك؛ فهم كما تعلمين يحتقرون الحيوانات ويترفّعون عن الحديث معها، ولكن لو استفادوا من علومهم فسيتطوّر كوكبنا كثيرًا وسنصبح من أقوى المخلوقات، إنني الآن أمتلك خاصّية التوهج في الليل، وأستطيع تغيير لون بشرتي بالإضافة إلى قدرتي على التحكم بدرجة حرارة الهواء ورطوبته.

نفحة بحماس: هذا مذهل!

حلقت نفحة عاليًا وقالت بحماس: لقد قال لي عليل بأن حوريات البحر ليست أسطورة وهي موجودةٌ بالفعل.

رفعت نَفَس رأسها وقالت: هذا صحيح، فعندما كنت طفلةً طهت لي أمي لحم حوري، وقد كان لذيذًا.

نفحة باستنكار: كيف استطعت أكلهم، إنهم يشبهوننا.

نَفَس: ولكنهم حيوانات وهم مسخرون من أجلنا، وقد كان طعمهم لذيذًا.

نفحة: هيا لنرى الحوريات من الزّجاجة.

بدأت نفحة ونَفَس بمشاهدة عالم الحور من خلال الزجاجة التي صنعتها نَفَس مع الغمامات، واستمتعت الغمامات أيضًا بالمشاهدة، واستمرّ الجميع بمراقبتهم لساعاتٍ وكأنهم يشاهدون فلمًا مشوّقًا لا نهاية له.

* * *

نبتلى أحيانًا في إحدى جوانب حياتنا، فنندب حظنا العاثر، ونتساءل... لمَ اختارنا هذا البلاء من بين جموع الناس؟ لمَ نحن بالذات؟ ما الذي فعلناه حتى نستحقّ المرور بتلك التجارب السيئة؟ نستمر بالتساؤل ونندب حظّنا حتى نصبحَ معميين عن النّعم التي تحومُ حولنا، وعن الفرص التي تمرّ أمامنا ولكننا لم نستطع إبصارها لأن نظرنا متركّز على ما لا نملكه، حينها تصفعنا الحياة بحقيقة أن عمرنا قد ضاع، وبأننا أهدرناه بالحزن والحسرة، وبأننا نسينا أن نعيش حياتنا ونستمتع بما بين أيدينا، نسينا أن نسعد أنفسنا، ونسينا حقيقة أن الحياة لم تكمل يومًا لأحد، وبأن السّعادة والنجاح قرار.

نظرت أهداب لانعكاس وجهها المصفرّ والشاحب في المرآة، وإلى شعرها الذي أهملته حتى جفّ وتساقط كأوراقِ الخريف، وإلى

وسادتها البيضاء التي صبغتها بالسّواد بدموعها الممزوجة بكحلِ عينيها.

تذكرت حينها قصّة البلبل الذي حُبس في قفصٍ من ذهب وأُعطي المأكل والمشرب، ولكن ما إن فُتح باب القفص حتى طارَ بعيدًا ولم يَعد أبدًا؛ طار عاليًا لاشتياقه لتنفّس الحرية؛ فسجن صاحبه الذهبي قد خنقه وجعل روحه تذبل وتغريده يتحوّل إلى نحيب، وأهداب قد قرّرت أن تطيرَ وتخرج من هذا القفص وتحلّق عاليًا؛ فبدأت بحزمِ أمتعتها للرّحيل، ولم يبقَ في طريقها إلّا تخرجها من الجامعة حتى تُحلّق وتتخلّص من ذلك المريض الذي تعيش معه؛ فقد أدركت بأن الأمراض النفسية أحيانًا مُعدية، ويجب عليها أن تتدارك الأمر وتحمي نفسها ونفسيتها، ولكن قد بقي لها عامان لتتخرّج وتحقّق حلمها، وإذا تركته الآن ستضطرّ لترك الجامعة لأنه لم تُفتتح بعد أي جامعةٍ في القرية التي يقطن فيها والديها، ولن يسمحا لها بالدراسة خارج القرية، ولكم شجعتها عفراء على قرار رحيلها وأخبرتها بأنها ستقف معها وتدعمها لأنها لا ترضى لها العيش بتعاسةٍ حتى لو كان ذلك الذي تعيش معه هو شقيقها.

في ذلك اليوم الذي نظرت فيه أهداب لانعكاسها، ورأت مدى الشحوب والذبول الذي سمحت له بالتفشي فيها، هبّت في جوفها عاصفة، واشتعلت في داخلها ثورة؛ فعدم تفوّقها وتوقّفها في هذا الجانب في حياتها لا يعني بأنها ستعطّل كافة جوانب حياتها الأخرى من أجل أن تجلسَ وتضع يدها على خدّها وتندب حظّها.

تغيرت أهداب من بعد ذاك اليوم، وقرّرت أن تصنع سعادتها بنفسها، فأصبحت تستغلّ وتستشعر كل النّعم التي تحوم حولها، بدأت تهتمّ بصحتها، وتلتقي بصديقاتها وترفه عن نفسها وتدلّلها، وتفعل كلّ ما من شأنه أن يساهم في تطويرِ نفسها وفكرها ومستقبلها، قرّرت أن تكافح لتحقّق حلمها، فصارت تدرس في الصّباح وتعدّ الكعك عندما تعود إلى المنزل، وإذا وجدت أي وقت فراغ فإنها تلتحق بدورات تقرّبها من حلمها، متجاهلةً تحطيم من قرّر استفراد عضلاته عليها، والتذلّل والتودّد لغيرها من النساء.

فمن الغباء أن تسعى لإرضاء من لا يرضيه شيء،

ومن الغباء إهدار طاقتك ووقتك في محاولة تحسين صورتك في عين من قد قرّر ألا يراك إلا كتلةً من العيوب،

ومن الغباء أن تكره نفسك لأنها لم تُعجب غيرك.

تخرجت أهداب وخرجت فورًا لتحلّق عاليًا وتعانق أحلامها، وقد طارت أيضًا عفراء من السّعادة بعدما علمت بخبرِ طلاقها؛ فقد فشلت في جعلها تفشل في حياتها المهنيّة ولكنها قد نجحت في إفشال حياتها الزوجية وهذا يعني بأنها ستكون أفضل منها في جانبٍ ما، ولكن فرحتها لم تستمرّ طويلًا فقد صُعقت بسماعِ أخبار نجاح أهداب في حياتها وتحقيقها لكثيرٍ من الأمور التي كانت تحلم بها.

صرخت عفراء حينها وقالت: **لم يحدث هذا معها؟!!!**

# ما الحياة إلا لعبة شطرنج

- هل أقتل السلطانة أريج؟

- لا لم يحن الوقت بعد.

نظرت إلى إحدى جنودها في الشطرنج ثم إلى إحدى المربّعات السوداء فتحرّك الجنديّ والتهم وزير خصمها.

- إنك محترفةٌ يا سيدتي في لعبِ الشطرنج.

- ما الحياة إلا لعبة شطرنج، ولن يفوز فيها إلّا من يلعبها بذكاء، فيدرس كلّ خطواته ويحسبها قبل أن يُقدم عليها، فالشّخص العشوائي الذي يسير بلا تخطيطٍ سيُهزم في لعبةِ الحياة بسهولة.

- سيدتي إن السّلطان إعصار معجبٌ بك، أنا متيقنٌ من ذلك، دعينا نتخلّص من السلطانة أريج.

- ولكن الخطّة هي أن يرتقِ لمرحلة حبّ صاحبة الفخامة

والرفعة، لا تستعجل فكل شيءٍ يصير كما خطّط له عقلي الذكي، المهم أن تقومَ بمهمّتك كما أمرتك.

نظر بعينهِ لحصان الشطرنج الأبيض ثم إلى إحدى المربعات السوداء فانتقل الحصان إليها وقال: لا تخافي يا سيدتي إنني أمتدح سيادتك أنا وباقي جنودك أمام السلطان إعصار كلّما سنحت لنا الفرصة، ونذمّ أفعال السلطانة أريج بطريقةٍ غير مباشرة في غيابها، لقد أقنعناه بأنها سبب كل تراجعٍ في المملكة، إننا على علمٍ بالصّفات التي يحبّ أن تكون في شريكة حياته ودائمًا نلمّح له بأنها فيكِ.

نكباء: وما هي الصفات التي يحبها؟

زمهرير: كل ما فيك يا سيدتي يحبّه، وما الذي لا يحبه فيك وأنتِ التي ليس لها مثيل، إنك تتصفين بجميع الصّفات التي يحبّها.

ثم أكمل بصوتٍ خافت بعد أن تقوّس ظهره: باستثناء جنون العظمة التي فيك يا سيدتي؛ فهو لن يقبل بأن تكوني مبجلةً أكثر منه.

ابتسمت نكباء وهي تلتهم فرس خصمها بإحدى جنودها في الشطرنج وقالت: سأرغمه على تقبُّل أنني أفضل منه ولكن في الوقت المناسب.

زمهرير: ما الذي تقصدينه يا سيدتي؟

نكباء: لا تكثر من الأسئلة أيها الوضيع، سأخبرك في الوقت المناسب عن قصدي، المهم أن تقومَ بمهمّتك التي أمرتك بها، وتجعل

السلطان يقع في حبّ صاحبة الرفعة والسمو، وبعد أن تتأكد من ذلك قُم بقتل أريج.

زمهرير: ولم لا نتخلص منها الآن يا سيدتي؟

نكباء بعصبية: حتى لا يكون لنكباء عظيمة الشأن أي منافسٍ عندما يفكر السلطان بإيجاد بديلٍ لها أيّها الغبي، ولكن حان الوقت لينامَ حارس السلطان الشخصيّ طويلًا، فلقد أتقن (الندى١٢١) تقمّص شخصيته.

كانت نفحة قد تعلّمت خاصّية الاختفاء من حيوان (الغيم) حتى تساعد نَفَس على الخروج خارج المنزل ورؤية ما يحصل حولها في الخارج من دون أن تراها الأهوية وتؤذيها، كانت تريد أن تبحث معها عن مسكنٍ جديدٍ تنتقل للعيش فيه، وحاولت كثيرًا إقناعها بأن الأهوية لطيفة؛ لتساعدها على التغلّب من الرّهاب الاجتماعي، ولكن أثناء تحليقهما نحو باب المنزل شدّهما الصّوت الغريب الذي كان يتحدّث مع والدتهما، فرُبط لسانُهما من الصّدمة عند انصاتهما للحوار الذي دار، تخيّلت نفحة بأن السّلطانة أريج التي أحسنت إليها وحَمَتها هي ووالدها من قتل السلطان إعصار تقتل من أجل والدتها، فاستشاطت غضبًا وصرخت قائلةً: **كفّي يا أمي عن قتل الأبرياء، لن أسمحَ لك بقتل أو حتى إيذاء السلطانة أريج، وسأقف في وجهك حتى لو اضطررت إلى فضحكِ عند الأهوية.**

فزعَ زمهرير وتحوّل لحشرةٍ حقيرةٍ تسمى الندى واختبأ داخل

إحدى الخرزات الكبيرة التي تراصت بجانب بعضها حتى كوّنت إحدى قلائد نكباء التي لم تفارق عنقها منذ مدةٍ طويلة، وأمّا نكباء فقد تسمّرت في مكانها لوهلةٍ ثمّ ابتسمت ورفعت رأسها وهي تقول: إنك تشبهين والدتك الذكية كثيرًا يا آمال، أنا على يقينٍ بأنكِ ستسيرين يومًا على خطا والدتك الرفيعة والطموحة؛ ففيك صفة الذّهاء وحُسن استغلال الأشياء، إنك تعجبينني يا ابنتي.

نفحة باستنكار: أنا لم أستغلّ أحدًا.

نكباء: وماذا عن الحيوانات التي قمتي بكسب ودّها حتى تعطيك قدرة التخفّي أنت وأختك الجبانة، إنك تسيرين على خطاي يا عزيزتي في استغلالِ الحيوانات حتى تنهلي من علومهم وتكتسبي القوة عن طريقهم، بل إنك قد فقتِ صاحبة المجد والرفعة في الذّهاء؛ فأنت تخطّطين لكسب حبّ الأهوية، وتحرصين على إلصاقِ قناع النزاهة في وجهك حتى يثقون بك ويمهدون لك الطريق نحو ما تطمحين إليه.

نفحة: إنّ نيتي فقط التعلّم وتجربة الأشياء، ومحاربة العنصرية تجاه الحيوانات، وليست قتل الأبرياء من أجل مصالحي الشخصية.

نَفَس: ثم إنك متزوّجة! كيف تفكّرين بالزواج من السّلطان وأنتِ على ذمّة أبي.

بكت نفس بحرقةٍ ثم قالت: إنك تخونين أبي المسكين.

نكباء ببرود: لم أخنه بعد يا صغيرتي، فقط أخطّط لذلك.

نَفَس وهي تبكي: بل خنته بقلبك، فهو قد أحبك بكلّ إخلاصٍ وضحّى بالكثيرٍ من أجلك، يا أسفي على أبتِ الطيب والحنون، سينفطر قلبه ألمًا عندما يرى كل أفضاله عليك تذهب هباء الريح بسبب أنانيتك.

نكباء: لن يرى شيئًا يا ابنتي؛ ففي اليوم الذي ستموت فيه السلطانة أريج سيرقد والدك أيضًا طويلًا، وسينعم بسباتٍ طويلٍ بلا انقطاع.

أكملت بنبرةٍ مازحة: هل تريدين النوم أنتِ أيضًا معه؟ فربما ستنجحين في حياتك الأخرى، فقد كتب على جبينك الفشل في هذه الحياة أيتها الجبانة.

صرخت نَفَس وهي تبكي وقالت: **أكرهك، أكرهك يا أمي وسأبقى أكرهك للأبد، سأرحل اليوم من هذا السّجن الذي حُبست فيه طويلًا بسببك طوال السنوات الماضية، ليتني كنت ابنة المرسلات الحنونة والطيبة وليس ابنتك أنت، أنتِ لم تكوني يومًا أمًا لي، إنك مجرد والدة وسبب التعاسة في حياتي.**

ضحكت نكباء بصوتٍ عالٍ ثم قالت: نكباء العظيمة لا تهزّها كلماتك السخيفة، اكرهيني كما شئت ولتكرهني جميع الأهوية، فرضاكم لم يكن للحظة غايةً لي، ما الفائدة من أن أكون محبوبة مثل

المرسلات السخيفة؟ تحبّني الأهوية ولكن تتهاون بكلامي لعلمهم بأنني سأسامحهم ولن أستطيع معاقبتهم عندما يكسرون كلمتي؟ يستغلّون قلبي الرقيق ولا يخشونني ويخطئون أمامي!

نفحة: إنهم لم يتعمدوا الخطأ، ولكنهم كانوا يتصرّفون على طبيعتهم عندما تكون المرسلات بينهم.

نكباء: نكباء الجليلة صاحبة الشأن لا تقبل إلا أن يحسب كلّ مَن حولها لها ألف حساب، ويخشونها ولا يتهاونون بأي شيءٍ يخصّها، أنا نكباء المهيبة عظيمة الشأن التي تهابني جميع الأهوية وتخشى إغضابي، ثم إنني يا صغيرتاي بالرغم من كل ما أ أقوم به إلا أن هناك فئة من الأهوية معجبةٌ بي وبشخصيتي.

ضحكت نَفَس بصوتٍ عالٍ ثم قالت: أصبحتِ تخلطين بين أحلامك الورديّة وواقعك المَرير.

خرج حيوان الندى الثامن والسبعين من قلادة نكباء ونظر باتجاه صوت نَفَس وقال: بلى أيتها العاقة هناك من يحبّها، أنا شخصيًا من أكثر المعجبين بشخصية أمّك الوقورة وسأفني حياتي من أجل خدمتها؛ فسيدتي تستحقّ.

خرجت باقي الندوات من القلادة وقالت: وأنا أيضًا، نكباء العظيمة تستحقّ، السّلطانة نكباء تستحقّ، الوقورة نكباء ستكون هي الحاكمة لجميع الأهوية.

أمسكت نكباء بملك الشطرنج الأسود ثم حاصرت به الملك

الأبيض وقالت: وسيأتي اليوم والوقت المناسب الذي سأقول فيه لأريج «كش ملك».

هتفت حشرات الندى بحماس وهي تقول: ستصبحين السلطانة، ستصبحين السلطانة.

خرجت نفس مع نفحة من المنزل، بكت نَفَس فعانقتها نفحة بقوةٍ ومسحت على رأسها، لقد كانت نفحة تشعر بكثيرٍ من الألم والإحباط؛ فقد خابَ ظنّها كثيرًا، وتحطّمت آمالها والصّدمات كانت أقوى بالنّسبة لها؛ فهي لم تهطل عليها تدريجيًا كما حصلَ مع نَفَس، ومع ذلك فهي تحاول أن تكون صلبةً وقوية محاولةً بذلك نقل القوة والثبات إلى أختها الوحيدة.

ومازاد حزنها هو أن ميعاد فراق حبيبها قد اقترب؛ فهي لن تضحي بحياةِ والدها من أجل الزواج بمن تحبّ، بل لن تتزوّج أبدًا ولكنها ستبقى مخلصةً في حبّها لعليل، ستتفرق الأيدي مجددًا التي تشابكت من بعد شوقٍ ولهفةٍ دامت لسنين، وسيعود عليل لمجرد صوتٍ تستمع له ولا تستطيع عناقه كلما شعرت بالفرح، سيعود عليل لأزرق الذي لن تستطيع الطيران والتحليق معه، وسيعود عليل لأزرق الذي لن تستمتع وهي تنافسه في فنون القتال وتحاول التغلّب عليه، سيعود عليل لأزرق من أجل والدها الذي تزوّج بمن يحبّ ولم يأبه بمشاعرها، الذي دلّل فتاة الرجل الغريب أكثر مما دلّلها، والذي اشترى لدنيا أجمل الأثاث لغرفتها ورفض تغيير أثاثها القديم عندما طلبت منه تغييره، اقترب ميعاد الفراق فزادَ قلقُ نفحة على أختها،

فمن سيعتني بها؟ ومن سيهتمّ بأمرها؟ والأهمّ من ذلك من سيعطيها القوّة حتى تستطيع التعامل بقوةٍ وثبات مع قسوة الحياة؟

كانت نفس ترتجف من الرهبة بالرغم من عدم قدرة الأهوية على رؤيتها، ولكنّها لم ترَ من قبل هذا العدد من الأهوية.

نَفَس بصوتٍ مرتجف: إلى أين تأخذيني؟

نفحة: إلى صديقاتي، ستحبينهم كثيرًا.

نَفَس: ولكنني لا أريد أن يراني أحدًا.

نفحة: إنهنّ لطيفات، صدّقيني ستحبينهنّ، فقط أعطي الأمر فرصة.

أنهت نفحة ونَفَس خاصّية التخفي من أجسادهما، وعرَّفت نَفَس على صديقاتها اللاتي رحبنَ بها وكُنَّ لطيفات معها، كانت نَفَس تقرص أصابعها وعيناها على الأرض، كانت تحاول رفع نظرها لوجوههنّ من حينٍ إلى آخر، ولم تستطع النطق بأي كلمة، ولكن بعد ساعات من الجلوس بدأت بالتفاعل معهنّ قليلًا ومبادلتهنّ أطراف الحديث، وفي أثناء نقاشهنّ مع نفحة عن أكلِ لحمِ الغمام تحمّست نَفَس وبدأت بإبداء وجهة نظرها عن الموضوع وإقناعهم بها، ولكن شعرت بالتّوتر لأن صديقات نفحة الستة كُنَّ ينظرنَ إليها باهتمامٍ فتلعثمت في إحدى الكلمات ونطقتها بشكلٍ خاطئ مما جعل الهوائيات يضحكنَ عليها، شعرت نَفَس بالحَرج فطارت للأعلى بسرعةٍ وبدأت بالبكاء، وفي أثناء ذلك اصطدمت بكتفِ هوائيّ ضخم البُنية ومفتول العضلات، فصرخ عليها بصوته الخشن الذي جعل قلبها يرجف من

الخوف: **أيتها الحمقاء أين هي عيناك؟ ألا ترين؟ انتبهي أثناء تحليقك.**

لاحظ الهوائي ارتجاف نفس، فابتسم وقام بالتحليق نحوها ودفعها بقوّة، فاصطدمت بإحدى الصّخور المعلّقة في الهواء، لم تستطع حتى أن ترفع رأسها وتنظر إليه، ولكنها سمعت بعض الأهوية تشجعه بحماسٍ لقتالها وكأنها تستعدّ لمشاهد فيلم مشوّق، فحلّق نحوها مجددًا ولكن لكمة نفحة له جعلته يطير لعدّة أمتارٍ للوراء، وبدأا بالعِراك بعدها، وبالرغم من أن نفحة كانت نحيلة إلا أنها قد أتقنت فنون القتال مما جعل الهوائي يندم على تطاوله على أختها.

طارت نَفَس سريعًا بلا وجهة، طارت لمدةٍ طويلة بلا توقف، حتى وصلت لإحدى الأماكن الخالية من الأهوية ومن أيّ مظاهر للحياة، لقد وصلت لمنطقةِ السّماء الترابيّة التي كان الجوّ فيها شديد الجفاف، كانت هنالك سلسلة جبالٍ شاهقة الحجم ومتصلة ببعضها، امتدت لمئات الكيلو مترات.

نَفَس: سأعيش هنا؛ فلن يأتِ أي هوائيّ لهذه المنطقة.

نفحة: تمزحين! الجوّ شديد الجفاف هنا! والمكان خالٍ من أيّ مظاهر الحياة.

نَفَس: وهذا ما يُريحني، أريد أن أعيشَ وحدي، لا أريد رؤية الأهوية، إنني أكرههم.

نفحة: ولكن لن تستطيعي تحمّل جفاف الجوّ.

بدأت نَفَس بعمل بعض الحركات بيدها.

نفحة: ما الذي تقومينَ به؟

نَفَس: هل نسيت بأنني قد تعلّمت بعض المهارات من أصدقائي؟

* * *

فاجأت دنيا شروق باحتفالٍ لطيفٍ أعدّته بمناسبة خطوبتها، فتحت شروق هدية حنان التي كانت عبارة عن إطار أبيض مزخرف بشكلٍ جميلٍ ويحتضن في داخله مرآة متوسّطة الحجم، ولكن قبل أن تنتقلَ لفتحِ هدية أحلام لمحت في المرآة انعكاس صقرٍ أبيض اللون كان يحدّق إليها من النافذة، إنه نفس الصقر الذي بدأ في الظهور لها طوال الفترة الماضية، كان يظهر في كل مرةٍ تكون فيها بعيدةً عن ياقوت.

نظرت شروق إلى الصّقر وقالت في نفسها: أشعر بأنه يريد أن يقول لي شيئًا.

نظرت دنيا إلى النافذة باستغرابٍ وهي تسأل شروق: فيمَ تحدقين؟!

شروق وهي تخفي ضيقها وتبتسم: لا شيء.

كان الصقر قد اختفى قبل أن تلمحه دنيا.

وأثناء عودة شروق وصهباء إلى المنزل التفتت شروق إلى صهباء وقالت: ما بكِ ما زلتِ على هيئتك البشرية؟ ألن تتحولي إلى دعسوقة وتدخلي جيبي؟ أم أنك تريدين الدخول معي بهيئتك هذه؟

صهباء: لا لن أسهر معك اليوم، لديّ بعض الأعمال ويجب عليَّ إنجازها.

شروق بضجر: لقد أصبحت تتشاغل عنّي كثيرًا، لمَ لا تريد مني مساعدتك بأعمالك الخيرية؟ ثم ما هي طبيعة أعمالك تلك؟

صهباء: إنني لا أحب الرياء يا عزيزتي، والجهر بالحسنات التي أقوم بها.

ركضت صهباء بعيدًا وهي تلوّح لشروق بيدها فدخلت شروق إلى المنزل وهي غاضبةٌ من ياقوت، وعندما دخلت لغرفتها وجدت الصّقر الأبيض ينظر إليها من خلال نافذة غرفتها، فنظرت إليه بغضبٍ وفتحت النافذة بقوّة وقالت له: **ما الذي تريده مني أنتَ الآخر؟ إن نظراتك أصبحت مثل الكابوس، ما الذي تريده مني؟!**

فزع الصّقر منها فطار إلى الخلف وقال وهو يرفرف بجناحيه: أريد أن أحذرك.

شروق: تحذرني!!

الصقر الأبيض: أرجوك احذري من ياقوت وابتعدي عنه؛ فسيغدر بك كما فعل بنا؛ أرجوك ابتعدي عنه.

شروق: ما الذي تهذي به أيها الصقر؟

الصقر الأبيض: هل تريدين أن تعرفي طبيعة الأعمال الخيرية التي يقوم بها ياقوت كل فترة؟

شروق باهتمام: نعم بالتأكيد.

الصقر وهو يحلّق مبتعدًا: اتبعيني إذًا.

خرجت شروق من المنزل ولحقت بالصقر ولكن بعد مدةٍ تسلّل الخوف إلى جوفها بعد أن أدركت بأنه قد قادها لإحدى الأماكن الخالية من البشر، بالإضافة إلى أن الساعة قد تعدّت الثانية بعد منتصف الليل، فقالت في نفسها: كم أنا حمقاء وغبية، كيف وثقت به بتلك السرعة، لقد استدرجني إلى مكانٍ خالٍ من البشر.

قرّرت شروق الهرب من الصقر والعودة إلى منزلها ولكن عندما التفتت للخلف أدركت بأنها قد ضلّت الطريق، ولكنها بدأت بالركض لعلّها تجد أيّ بشريّ يساعدها.

لاحظ الصقر ذلك فطار نحوها وقال: **انتظري لقد وصلنا.**

* * *

# بنات الريح

صنعت نَفَس في الجبل فتحةً لها واجهة مثل الغطاء تستطيع بها تمويه الفتحة وكأنها غير موجودة.

حلق كل من نَفَس ونفحة داخل الفتحة فوجدتا سلسلة الجبال المتّصلة مجوّفة من الدّاخل، وكم كانت دهشتهما كبيرةً عندما رؤوا داخل الفتحة مجموعة من الأحصنة المجنّحة التي كانت الأهوية تطلق عليها اسمَ (الجياد الصّافنات).

نفس: جياد صافنات! ظننت بأنها قد انقرضت.

وقفت الأختان وبدأتا تتجوّلان بأعينهما في المكان، كانت سلسلة الجبال واسعةً جدًا، توسطتها بحيرةٌ كبيرة تسبح فيها مجموعة من الأسماك الملوّنة والمضيئة، وقد توزّعت في المكان العديد من الأشجار ذات أوراق حمراء اللّون وجذوع سوداء، وأمّا الأرض فقد تكدّست بالنباتات والأعشاب الحمراء التي كانت الجياد الصّافنات تأكل منها، والكثير من الصخور التي كانت قد تساقطت من سفح الجبل.

شعرت نفس بأن الجوّ حار جدًا ورطب، وذات رائحةٍ كريهةٍ بسبب روث الجياد الصافنات، فقامت بتحريك يدها وهي تتمتم ببعض

الكلمات.

نظرت نفحة باندهاشٍ للتغيرات التي بدأت تطرأ على المكان، وبعد بضع ساعات دارت نَفَس حول نفسها ببهجةٍ وهي تقول: أصبح المكان الآن صالحًا للعيش.

نفحة: هل تعلّمتي كلّ هذه التعويذات من غماماتك!

نفس بمرح: نعم

ثم هتفت وهي تلوّح للجياد الصافنات:

**مرحبًا يا بنات الريح.**

فزعت الجياد الصافنات منها، فحلّقت هاربةً إلى أعماقِ سلسلةِ الجبال، أمّا نفس فحلقت عاليًا ثم اندفعت للأسفل باتجاهِ البحيرة وغطست داخلها، وبعد ثوانٍ أخرجت رأسها ثم صارت ترشّ على نفحة المياه.

نفحة: كفى يا نفس، لا أحبّ أن أبتلّ بالماء.

ضحكت نفس على أختها ولكن بعد ثوانٍ توقّفت فجأةً...

نفحة بقلق: ما بك؟!

نفس: **غماماتي!** لقد نسيت غماماتي في المنزل!

أحضرت نَفَس غماماتها في اليوم التالي بعد ذهاب والدتها إلى العمل، وأما نفحة فجلبت لها أغلب بذور النباتات ذات الثّمار الطّيبة حتى تستطيع زراعتها والتغذّي من ثمارها، بالرغم من أنها أحبت طعم الأعشاب وأوراق الأشجار الحمراء أكثر من أيّ ثمارٍ أخرى،

كانت نفحة تحضِر لأختها أزواجًا من الحيوانات الأليفة المختلفة يوميًا في المكان الذي اختارت أن تعيشَ فيه؛ فنَفَس ستستطيع كَسب محبّتهم بسهولةٍ والنّهل من علومهم، وإذا فعلت ذلك فستصبح أكثر قوةً ولن تقلق عليها عندما تعود إلى كوكبِ الأرض.

الضباب الأول: هكذا يمكنكِ جعل النباتات التي زرعتِها تنمو بسرعةٍ وتصبح شجرةً ضخمة.

الضباب الثاني: لم تستمع لك، إنها مشغولة بمراقبة البشريّ بتلك البلّورة.

نظر لها الضباب الأول وهي تراقب البشريّ بسعادةٍ غامرةٍ فسألها: من هذا الفتى التي تراقبيه منذ مدّة؟

نَفَس: اسمه أمير، إنه مغنٍ مشهور في كوكبِ الأرض، وأنا معجبةٌ به.

الضباب الأول: إنه حقًا جميل.

الضباب الثاني: لم لا تتحدثي معه؟

الضباب الأول: لم لا تجعليه يأتِ إلى كوكبنا.

نَفَس: لا أستطيع التحدّث إليه، إنّني فقط أستطيع مراقبته.

الضباب الأول: بلى تستطيعين يمكنني منحك خاصّية التّخاطب مع البشر.

* * *

# الراية البيضاء

مـــاذا جنيـــت لكـــي تمـــل وصـــالي؟
إنـــي ســـألتك هـــل تجيـــب ســـؤالي
حاولـــت أن ألقـــى لهجـــرك حجـــةً
فوقعـــت بـــين حقيقـــةٍ وخيـــالي
كنـــت القريـــب وكنـــت أنـــت مقرّبـــي
يـــوم الوفـــاقِ وبهجـــة الإقبـــالِ
فغـــدوت أشـــبه بالخصـــيمِ لخَصـــمهِ
عجبًـــا إذًا لتقلُّـــب الأحـــوالِ
يـــا صـــاحبًا ســـكن المـــلالَ فـــؤاده
أســـمعت منـــي ســـيئ الأقـــوال؟
أنـــا مـــا طلبتـــك أن تعـــودَ لصـــحبتي
بعـــد القطيعـــةِ أو تـــرقّ لحـــالي
فـــاقطع وصـــالك مـــا اســـتطعت،
وعـــش علـــى هجـــري
فـــإني بـــدأت بحـــبّ صـــادق
وتنوعـــت يومًـــا بكـــلّ جمـــال

فقضـــت ظـــروف الـــدّهر أن تمضـــيَ بهـــا
وبنـــــا لأســـــوءِ منتهـــــي ومـــــالي
أنـــا لـــن أجادلـــك الوفـــاء فمـــا مضـــى
قـــــد يســـــتحال رجوعـــــه، بجـــــدال
لـــــو أن فيـــــك مـــــن الوفـــــاء بقيـــــة
لـــــذكرت أيامًـــــا مضـــــت وليـــــالي
ووهبتنـــــي أســـــمى خصـــــالك مثلمـــــا
أنـــا قـــد وهبتـــك مـــن جميـــل خصـــالي
كـــم قلـــت إنـــك خيـــر مـــن عاشـــرتهم
فأتيـــــت أنـــــت مخيبًـــــا أمـــــالي

**(خليل فقيري)**

* * *

اعتلت السلطانة أريج منبرًا وقامت بإلقاء خطبتها للشعب الذي استجاب لندائها:

أيها الشعب العظيم، أودُّ أن أعربَ لكم عن مدى محبّتي لكم، وفخري بكم أيها الشّعب الكريم، لم أشعر معكم يومًا بأنني غريبة؛ فقد احتويتموني وكنتم لي الأسرة بعدما تحطّم قمر تيريخ (قمر من أقمار كوكب زحل) وفقدت جميع أهلي وأبناء جنسي، ولكنكم احتويتموني وأصبحتم أسرتي وعائلتي أيها الشعب الطيّب، وإكرامًا لكم وردًا لجميلكم حاولت أن أسعى لردِّ هذا الجميل، فسعيت لرفاهيتكم وتحسينِ جودة حياتكم بقدرِ ما أستطيع، ونذرت حياتي لإسعادكم وراحتكم أيها الشعب الطيّب.

هتف جمع الأهوية الغفير: تحيا السلطانة أريج، تحيا السلطانة أريج.

كان السلطان إعصار ينظر لأريج بملل؛ فهو يرى بأن كلّ ما تقوم به مجرد سخافات لمحاولة كَسب حبّ الشّعب الذي لا يستحقّ ذلك، وأمّا السلطانة فقد عدَّت حبّ الشعب لها وكَسب قلوبهم وولائهم هو ثروتها الحقيقية، وكم حَرصت على الحفاظ على هذه الثروة واستثمارها طوال فترة مكوثها بين الأهوية.

اشتعلت الغيرة في قلب نكباء بعد أن لاحظت حبّ الشعب وولاءهم للسلطانة، ولكم تمنّت أن تدوس على كلّ هوائيٍ هتفَ من أجلها، ولكن الأمر ليس بيدها الآن فقررت الانصراف والعودة إلى

منزلها ولكن شدّها ما قالته السلطانة أريج حين أكملت خطبتها:

ولكن السلطان إعصار سلبَ منّي كلّ الصّلاحيات، ولم يَعد يسمح لي بمشاركته في سنِّ القوانين أو يشاورني في أموركم.

عمّت الفوضى بين الأهوية وكأن ثورةً كبيرةً على وَشك البدء.

أخرجت السلطانة أريج خنجرًا، فصُعق الجميع وأولهم السّلطان إعصار ثم نكباء.

السلطانة أريج: لذا لم يَعد لي أي سببٍ يجعلني أتمسّك بالحياة؛ فقد نذرت حياتي من أجلكم، والآن وبعدما سُلبت مني الصّلاحيات لم أعد أحتمل رؤية أبناء الشعب وهم يعانون بسبب جَور وظلم السّلطان الظالم وأنا مكتوفة الأيدي ولا حيلة لي لمساعدتكم.

وجهت الخنجر إلى صدرها وقالت: وداعًا أيها الشعب الطيب، تذكروا دائمًا بأنني...

هرع الحراس لنهرها عما تهمّ به ولكنّها سبقتهم وغرست الخنجر في صدرها حتى مزّق قلبها وعطّله عن الحياة، ثارت الأهوية وبدأت تطير بشكلٍ هستيريّ، وبدأت تلقي بالقمامةِ نحو السلطان فاستشاط غضبًا وأمر بقتلِ وسجنِ كلّ من ثارَ عليه، فعمّت الفوضى بين الشّعب والجنود.

التف أبناء السّلطان حول والدتهم وانهاروا بالبكاء باستثناء بليل واثنين من أشقائه الذين وقفوا بجانب والدهم.

بليل بغيظ: لقد فضحتنا هذه المجنونة، لقد ثار الشعب بسببها.

ضرب عاصف جبينه بكفّه وقال: يا لها من حمقاء وساذجة، لمَ تفضح ما بينها وبين أبي على الملأ.

حَرور: هل نسيت بأنها مهووسة بلفتِ الانتباه وتسوّل الحبّ من الشعب؟

عاصف: فلنحرق جثتها يا أبي.

سمعَ بقية الأشقاء حوار بليل وعاصف وحرور فثاروا عليهم وبدؤوا بالعراك معهم.

فصرخ السلطان إعصار وقال: **أيها الجنود أمسكوا بهم وألقوهم في السجن.**

أمسك الجنود بأشقاء وشقيقات بليل والثائرين والتي كانت من بينهم خطيبته حَنون، نظرت حَنون لبليل بنظراتِ رجاءٍ ليأمرهم بأن يفكّوا قيدها وقد كان السلطان يراقب ردّة فعله؛ فقد كان يعلم بمدى هيامه بها، عبس بليل وأشاحَ بوجهه إلى الجهةِ الأخرى وقال: كلّ من يقف في وجه جلالة السلطان يستحقّ العقاب.

ابتسم السلطان إعصار وقال: لم أخطئ عندما عينتك وليًا للعهد.

مرّت عدّة أيامٍ والفوضى تعمّ الأرجاء؛ فقد ثارت الأهوية وكسرت العديد من قوانين السلطان وأولها توشحها بالرداءِ الأسود إعلانًا للحداد على السّلطانة الراحلة إلى حين أخذهم لحقّها والثأر لها من السلطان، فتعالت شعارات الثورة والثأر، وغنّوا باستمرار أغاني للثورة حتى يجدّدوا حماسهم ولا يتوانوا عن تحقيقِ ما عزموا عليه.

في تلك الفترة انقضت مدّة تدريب نفحة وصار عليها أن تخبرَ (نفخ) المسؤول عن التحوّل عن قرارها بتحوّلها لهوائية أو رجوعها بشريّة.

كانت نفحة تحلّق ببطءٍ شديدٍ والأسى قد غزا صدرها بسبب ما مرّت به في الفترةِ السّابقة، ستخبر نفخ بقرارها للعودةِ إلى كوكب الارض، وستفترق حينها عن حبيبها، سيعود عليل مجرد صوت تتمنّى وتحلم باحتضانه والتحليق والعيش معه، وبالرغم من أنها قضت معه شهرًا واحدًا إلا أنها لا تتخيّل كيف ستكون الحياة بعد أن تبتعدَ عنه وعن أختها نَفَس التي حبست نفسها داخل سلسلةِ الجبال، ولكن كان عزاؤها بأنّها ستستطيع الاطمئنان عليها والتواصل معها من خلالِ الماء، ستعود نفحة بشرية كي لا تكون السبب في وفاةِ والدها الذي لم يُعر مشاعرها أيّ اهتمام، الذي أصبح يدلّل دنيا الدخيلة على منزلها وأحلام التي لم تستطع تقبّلها هي الأخرى بعد، لا تتخيّل كيف ستكون الحياة والعيش في المنزل وتلك الفتاة المغنّجة والمدلّلة تتجوّل فيه، تسرح وتمرح وتتدلّل مع من تلاعبَ بها وبمشاعرها في السّابق، ذلك الذي حاولت جاهدةً حتى استطاعت أخيرًا تجاوز الأذى الذي ألحقه بقلبها، والآن ستصادفه في قلبِ منزلها يتغزّل في دنيا الكريهة، وعلى كلّ حال ففراق من أحبّتهم شيء وصدمتها بحقيقة والدتها أشياء، أدركت من خلالها نعمة الجهل العظيمة التي كانت تنعم بها في الماضي، إلى من ستكتب الرسائل بعد اليوم؟ بعد أن اكتشفت أن وجه القمر الذي كانت تكتب له كلّما افتقدت للحنان هو مجردُ

كوكبٍ مظلمٍ وموحش، ستغادر بعد ساعات كوكب زحل الذي لم يعد يُطاق من بعد ثورة الأهوية والحرب القائمة بينهم، ولكن قبل أن تغادرَ كوكب زحل للأبد ستودّع والدتها التي لن تراها وتسمع صوتها هي أيضًا للأبد.

* * *

نكباء بغضب: لا لن أسمحَ لكِ بالرحيل؛ إنني بحاجة لك الآن؛ فقد انتحرت أريج الحقيرة قبل الوقت المناسب، لقد انتحرت ولم تمت كما كنت أخطّط، انتحرت أمام الشعب وجعلتهم يثورون على السلطان، وهذا ما جعله ينصرف عن التفكير بي بسبب سوء الأوضاع، إنني آمرك يا نفحة بعدم الرحيل؛ فأنا متأكدةٌ من أنني سأحتاجك في خطّتي الجديدة.

نفحة: إذا قررت مساعدتك يا أمي فستكون مساعدتي بأن أجعلك تكفّين عن أذى الآخرين، وعن نشرِ البؤس للأهوية وليس العكس.

نكباء: أيتها الفتاة العاقة، هل تعصينَ أمري وأنا والدتك؟ هل تعصينَ أوامر من حملت بك وتعبت في الحمل من أجلك؟ أنت فتاةٌ عديمة النّفع، فليكن بعلمك بأنني لن أرضى عنك إذا عدتِ إلى كوكبنا البائس.

احتضنت نفحة والدتها التي لم تبادلها العناق بل ظلّت مكتوفة الأيدي.

نفحة: إلى اللقاء يا أمي.

حلّقت نفحة سريعًا خارج المنزل وهي تحاول بكلّ ما تستطيع مقاومة البكاء وعدم إظهار حزنها؛ فهي لا تحبّ أن تبكي أمام أي مخلوقٍ مهما كان، ودّعت بعدها عليل وداعًا طويلًا قبل أن تعودَ إلى كوكبِ الأرض، وحينها لم تحتمل الصّمود أكثر وأجهشت بالبكاء لأول مرةٍ أمامه، احتضنها عليل الذي امتلأت عيناه هو الآخر بالدموع.

عليل: هل تعلمين أن الأيام التي قضيناها هنا سويًا هي أجمل الأيام في حياتي؟ لقد اعتدتُ وجودك ولا أتخيّل كيف ستكون الحياة بعد عودتك.

نفحة: سأشتاق لك كثيرًا يا عزيزي.

بسط (نفخ) يده ونفخ فكُتب على الهواء الذي فوق كفه طلسم بلون بنفسجيّ، أدار رأسه باتجاهِ نفحة فوجدها تمسك بيدي عليل وهي تخبره بأنها لن تنساه وسيبقى هو حبيبها الوحيد للأبد و...

نفخ بضجر: اقرئي تلك التعويذة حتى تعودي لكوكبك الملوّث.

وجدت آمال نفسها في غرفةِ الذكريات، رفعت رأسها فوقعَ نظرها على صندوقِ الرسائل الأبيض الذي كانت تكتب فيه لوالدتها في الماضي، يوم كانت تحلم برؤيتها، فتحت الصندوق وبدأت تقرأ الرسائل، تزامن ذلك مع انهمارِ سيلٍ من الدموع.

آمال: كم كنت غبية! ما هذه السخافات التي كنت أكتبها؟

«أمي الحبيبة، إنني أتساءل عن شكلك، كيف هو؟ أنا متأكدة من

أنك أجمل نساء الأرض، عندما كنت طفلة كنت كلّما رأيت امرأةً جميلةً أقول لنفسي بأنّها تشبهك، ولكنني الآن أقول بأنك لا تشبهين أحدًا؛ فلم يخلق أحد بجمالك، كلّما تذكرتك رفعت رأسي ونظرت إلى القمر، فأنت عالية مثله، قلبك أبيض ومشعّ بالنور مثله، وإذا غابَ القمر وحلّت الشمس مكانه فإنني أشبهك بها، فأنت الدفء والضياء.

أمي الحبيبة ...

أنا متأكدةٌ من أنك لو كنت هنا لكنتِ فخورةً بي، ولكنتِ أمطرتني بعطفك وحنانك الذي سينهمر عليّ كالغيث...»

ألقت الرسالة الأولى وفتحت رسالةً أخرى...

«كلّ عام في عيد الأم أرى صديقتيّ تشتريان الهدايا لوالداتهما، وأنا أعود إلى منزلي خاوية اليدين، أنعزل في غرفتي لأكون فقط برفقة تلك الرسائل التي كتبتها لك، هل يا ترى روحك تزورني؟ هل روحك الطاهرة النقية تأتي وتسمع ما أكتبه لك يا أمي الحبيبة؟ ....»

مزّقت الرسالة وفتحت رسالةً أخرى...

«أمي الحبيبة يا من فارقت الحياة ولكنها لم تفارق قلبي أو مخيّلتي للحظة، إنني لم أنسكِ يومًا من دعواتي بأن يجمعني الله بك في الجنة ونكون ...»

ألقت الصّندوق على الأرض ثم صارت تبكي وتضحك على نفسها في الوقت ذاته وهي تشدّ شعرها وتقول: كم كنت غبيةً ليتني عرفت حقيقتك يا أمّي منذ البداية حتى لا أعيش في هذا الوَهم.

* * *

دنيا: سوف أغنّي معه شئت أم أبيت، إن هذا ليس من شأنك.

قالتها دنيا بتحدٍ بعد أن منعها خالد من قبولِ عرض من مغنٍ مشهور جدًا يدعى أمير، كان قد عرض عليها الغناء معه ليصدرا فيديو كليب مشتركًا.

أحلام: عيب عليكِ يا ابنتي، لا تتحدثي مع خطيبك بهذه الطريقة!

دنيا: إنه يخنقني بغيرته المفرطة يا أمي.

خرجت الخالة بلقيس من دورة المياه فسكتت دنيا ورمقت خالد بنظرةٍ تعني بأنّها ستكمل النقاش معه لاحقًا، وحينها أكملت الخالة بلقيس أحاديثها المفضّلة والمعتادة في نقلِ أخبار نساءِ الحيّ وقضم لحومهنّ مع إضافةِ القليل من التوابل.

بلقيس وهي تلوّح بيدها: لا أستطيع أن أصفَ لكِ يا أختي مدى أسفي عليها عندما زرتها وعلمت بأنها رزقت بفتاةٍ للمرة الثالثة على التوالي ولم ترزق بصبي.

أحلام: ...

بلقيس: وهل علمتِ ما حصل مع جارتنا خولة قبل يومين؟

أحلام: ماذا؟

بلقيس: هربت خادمتها، أما أختها المسكينة فقد انفصلت عن زوجها، ولكنني أرى بأنها مخطئة فهي لم تصبر عليه كما يجب، فالمرأة يجب عليها أن تتحمّل و...

صمتت بلقيس فجأةً بعدما شدّها منظر حنان عندما توقفت عن

السّباحة مع خلود وخرجت من المسبح بسرعةٍ وعلى وجهها ارتسمت معالم الدّهشة.

بلقيس: ما الأمر يا حنان؟

حنان: هنالك هناك صوت نحيب، كأنني أسمع صوت نحيبٍ قادمٍ من داخل المنزل.

صمتت قليلًا وحاولت الإنصات، وبعدها ركضت لداخل المنزل وهي تقول: إنه صوتُ آمال.

* * *

احتضنت آمال بقوةٍ ومسحت على شعرها وهي تبكي وتقول: لقد خفت عليك كثيرًا يا ابنتي، لا تتركيني مجددًا هكذا، كدتُ أن أموت من شدّة قلقي عليكِ... أرجوك لا تتركيني مجددًا يا ابنتي.

عدنان وهو يمسك بيدي آمال التي كانت ترتجف ويتأملها بتأثر: الحمد لك يا رب لأنك أعدت لي ابنتي سالمةً، حمدًا لله.

امتزجت مشاعر عدنان بين تأثر وفرح وخوف من فقدان ابنته مرةً أخرى، وفي أثناء ذلك وقعت عيناه على إحدى الرسائل التي كتبتها آمال لوالدتها، فأمسكها وبدأ بقراءتها فدمعت عيناه بعدما علم بكمية المشاعر التي كانت تحملها آمال لوالدتها في السابق، وأدرك عمق الصّدمة والألم الذي حلَّ بها بعدما قابلتها.

آمال من بين شهقاتها: لماذا أخبرتني يا أبي بالحقيقة؟ لماذا أخبرتني أن أمّي تخلّت عني؟ لماذا أخبرتني بأنها ألقت بي في دار

الأيتام وقتلت توءَمي؟ لقد أوجعتني يا أبي، ليتك لم تخبرني بذلك.

وضعت أحلام يدها على فمها وقالت بتأثر: آمال!

التفتت آمال فرأت أحلام ودنيا وخالد وبلقيس وخلود واقفين عند باب حجرتها فصرخت فيهم وقالت: **اخرجوا من بيتي أيها الدخلاء، أنتم مطرودون من هنا، لا أريدكم أن تدخلوا منزلي مرةً أخرى، اخرجوا الآن من هذا المنزل.**

شهقت الخالة بلقيس ووضعت يدها على فمها وقالت: يا قليلة التهذيب، كيف...؟

أشارت أحلام لأختها ولابنتها التي همّت بالردّ على **آمال** بالصمتِ وتجاهل ما تفوّهت به؛ فقد حكى لها عدنان مؤخرًا عما فعلته لطفية بهما فأدركت الصّدمة التي حلّت بآمال بعد معرفتها للحقيقة وقرّرت احتواءها والتخفيف من ألمها، أمّا دنيا فقد ألجمتها الصّدمة من وقاحة آمال مع والدتها وتحدّثها إليها بتلك الطريقة!

* * *

دنيا: ما رأيك يا حبيبي أن تأتي عندي غدًا في الصّباح وتمكث عندي حتى المساء، أريد أن نأخذَ برأي الكلّ في بعض الأمور التي تخصّ تحضيراتنا للزفاف.

خالد: ماذا تقولين؟! أمكث عندك من الصّباح حتى المساء!

دنيا: ما بك يا عزيزي هل هناك مشكلة.

خالد: لا أبدًا يا حبيبتي، ولكنني فقط متعجب؛ فأنت لا تحبين أن

أطيل البقاء عندك في العادة، بالإضافة إلى أنني قد زرتك البارحة وأنتِ أخبرتني بأنك لا تحبين أن أزورك أكثر من مرة في الأسبوع.

دنيا وهي تلعب بخصلة شعرها وتقول بغنج: ولكني من اليوم أريدك أن تزورني كل يومٍ يا حبيبي، وأريدك أن تبقى عندي أطول فترةٍ ممكنة فأنا أشتاق إليك كثيرًا.

تعجّب خالد قليلًا من طلب دنيا وبعد ثوانٍ فهم المغزى من طلبها فابتسم بخبثٍ وتسلّل لنفسه شعورٌ لذيذ لأنه سيبدأ هو ودنيا بلعب لعبةٍ مسلّية وممتعة بالنّسبة لهما.

* * *

اجتمعت العائلة على طاولة الطعام، أمسكت أحلام بإحدى الأطباق وسألت آمال: هل أضع لك اللّحم أم الدّجاج؟

ابتسمت آمال بسخريةٍ وقالت: ألم تلاحظي بأنني في كل مرةٍ تطهين فيها الطعام أقوم بطلب طعامٍ لي من الخارج؟ ألم تستنتجي بعد بأنني لا أريد تناول ما تطهينه؟

نظر عدنان لآمال بغضبٍ وقال: **آمال...**

استدركت أحلام غضبَ زوجها وقالت لتهدئه: لا بأس يا عزيزي، ربما هي معتادةٌ على الأكل من أماكن معينة أو لم تعتد بعد على طعامي.

كانت أحلام تُشفق على آمال وتبذل قصارى جهدها لمراعاةِ مشاعرها، ولم تكن ترغب بأن تكون سببًا في أن يقسو والدها عليها،

فحاولت كثيرًا كَسب ودّها والتقرّب منها؛ فهي قد عاهدت نفسها قبل أن تتزوّج به بأنها ستعتبرها مثل ابنتها ولن تفرّق بينهما في التّعامل، وبالرغم من ذلك فقد كان عدنان يغضب من وقاحةِ ابنته مع أحلام وسوء تعاملها مع ابنتها المهذبة و البريئة دنيا؛ فدنيا تتعامل معه بكلّ لطفٍ وتطهو له ما يحبّ وتستشيره في أمورها وتتعامل معه وكأنه والدها الحقيقي، وهذا ما جعله يغضب من أجلها أكثر عندما تسيء إليها آمال وتجرحها بكلامها، لقد دارى آمال كثيرًا من أجل صدمتها ولكن هذا لا يعني بأنه سيسمح لها بجرحِ مَن حولها والاستخفاف بمشاعرهم، تذكّر دنيا التي أحبّته كوالدها، كانت تقيس فساتينها الوردية المزركشة وتريه إياها وتريه أيضًا ما اشترته بكلّ براءة، وتذكّر أيضًا مدى سعادتها وفرحتها عندما كان يشتري لها مستحضرات التجميل والحليّ، فكانت تستخدمها فور وصولها إلى المنزل وهي مسرورة، كانت سعادة دنيا تسعده وتدفعه إلى أن يشتريَ لها أكثر ليسعدَ هو أيضًا عندما يراها سعيدة، لأول مرةٍ يشعر بأنه أبٌ لفتاة؛ فآمال تكره الفساتين والحليّ على عكسِ دنيا الرقيقة والناعمة، ولكن في المقابل كانت شخصية آمال أقوى ويمكنه الاعتماد عليها وتوكيل المهام إليها وهو مطمئنٌ بأنها ستقوم بها على أكملِ وجه، وهذا ما يجعله مطمئنًا عليها على عكسِ دنيا التي صارَ يقلقُ عليها بسببِ عدم قدرتها على الاعتمادِ على نفسها؛ فتصرّفاتها تشعره بأنها ما زالت طفلة، وبأنها ستضيع أو تنسى إذا أوكلَ لها المهمات، بالإضافة إلى أنّها لا تستطيع الأخذ بحقّها مثل آمال؛ فهي تبكي فقط إذا أصابها أدنى أذى، وهذا ما جعل عدنان يخاف عليها ويتقمّص دور

البطل الذي يحمي ابنته من العالمِ والحياة، ويحاول حماية قلبها المرهف والحساس لأنه لم يعد يحتمل أن يرى ابنته دنيا تتأذى وتبكي، تذكر شكل عينيها الدامعتين بالأمسِ وكيف بكت عندما قالت لها آمال بأنه يجب عليها تقبّل حقيقة أن والدها قد توفي، وأن والدها - عدنان - فقط يرى بأنه يجب عليه مجاملتها ومجاراتها كي لا تتعكّر علاقته مع زوجته الجديدة، قالت لها ذلك بعدما رأتها تعزف له وتغني أغاني عن الأب تصف مشاعرها اتجاهه.

قطعت دنيا سلسلة سرحانه عندما قالت بدلال: أبي الحبيب إن غرفتي قد أصبحت مكدّسة بالآلات الموسيقية، وأنا أعلم يا أبي بأنك تحبّني وتحبّ دَعمي، هل يمكن أن تكون لي غرفةً خاصّة بآلاتي الموسيقية أعزف فيها وقتما أريد؟ فأنا أريد تنمية موهبتي ولكنني أخاف أن أزعجَ مَن في المنزل عندما تنتابني رغبة بالعزف وأنتم نائمون.

أحلام باستغراب: ولكن لا توجد هناك غرفة فارغة يا ابنتي.

دنيا: بلى يا أمي، هنالك غرفة في الدور العلويّ، مكدّسة بالخردوات والأشياء القديمة ويمكننا أن نستغلّها ونستفيد منها.

غصّت آمال بالطعام وقالت بانفعال: **لا طبعًا، تلك غرفتي، غرفة الذكريات ولن أسمحَ لكِ بأخذها.**

عدنان: ولكنك يا ابنتي لا تستخدمين تلك الغرفة، ومن الأفضل أن نستغلّها.

آمال: ولكنني أحتفظ فيها بأشيائي التي أحبّها ولها ذكرى عزيزة عليّ، كلّ ما في الغرفة أشياء قيّمة بالنّسبة لي ولا أستطيع الاستغناءَ عنها.

دنيا بحزنٍ مصطنع: لا بأس يا آمال كما تريدين، أنا فقط لم أكن أرغب بإزعاجكم عندما أتدرّب على العزف وأنتم نائمون.

آمال: إن كلّ ما تقومين به مجرد سخافات ولا فائدة ترتجى منها للناس وللمجتمع، ما الفائدة التي ستضيفينها لحياة الناس ومستقبلهم عندما تعزفين لهم؟ إنك مثل المهرج الذي سخّر نفسه للترفيهِ عمن حوله.

صمتت دنيا وطأطأت رأسها بحزنٍ وعندما رآها عدنان هكذا لم تنطق بشيء نظر لآمال وقال بانزعاج: **إن كلّ ما في الغرفة يا آمال أشياء قديمة ولم تعودي تستخدمينها، وليس هناك داعي بأن نضيّق على من في المنزل من أجل شيءٍ لا تستخدميه، أفرغي الغرفة.**

آمال: ولكن يا أبي...

عدنان: **لا تجادليني في ذلك قد قضيَ الأمر.**

لم تكن دنيا بحاجةٍ إلى الغرفة، ولكنها كانت تشعر أنها بحاجةٍ لأن تشفيَ غليلها من آمال؛ فتعامل آمال السيئ مع والدتها باستمرار كان يؤذيها، وما زاد الأذى عليها أن والدتها كانت تتجاهل إساءات آمال وتضع لها مبررات وتعذرها في كلّ مرة، ولكن دنيا لن تتسامحَ وتتساهل مع من يؤذي والدتها ويجرحها، وقد حذّرت آمال أكثر من

مرةٍ بأنها ستؤذيها وتجعلها تندم على ما تقوم به إذا استمرّت بالتعامل مع والدتها بهذا الشكل السيئ، ولكن آمال تجاهلتها ولم تبالِ بتحذيراتها، كانت دنيا مثل آمال غير متقبّلة تمامًا زواج عدنان من والدتها، بل إنها كانت تشعر بالغيرة أكثر منها، ولكنها فكرت وأدركت بأن غيرتها من عدنان وجعله ندًا لها سينغّص على والدتها حياتها، وهي قد وعدتها بأنها ستساعدها على أن تكون سعيدة، وتعيش قصة حبٍّ جميلة، بالإضافة إلى أنها أدركت بأن عدنان سيكون له أثر كبير على حياتها سواء بالسلبِ أو الإيجاب بعد أن صارَ زوجًا لوالدتها، فقرّرت كسبه لأن ذلك سيسهل لها كثيرًا من الأشياء، نجحت دنيا في كَسب عدنان الذي أحبّها كثيرًا واعتبرها مثل ابنته فأصبحَ يعتني بها ويقضي حوائجها ومع الوقت أحبّته هي أيضًا ووجدت فيه حنان الأب الذي كانت تفتقده كثيرًا، أما آمال فقد كانت تكره المجاملات وترى بأنها ضرب من النّفاق وهي صريحةٌ وواضحةٌ ولن تتصنّع أو تتملّق من أجلِ أيّ شخصٍ مهما كان، بل قرّرت افتعال المشكلات حتى تنغّص على أحلام وابنتها سعادتهما وتجعلهما يملان ويرحلان من منزلها.

دنيا بدلال: أبي الحبيب، هل يمكن أن تضعَ لي بعض المسامير في غرفتي؟ فقد أهدتني شروق لوحات جميلة وأريد أن أعلّقها الآن في غرفتي.

عدنان: بالطبع، سأضعها لك فور ما أنتهي من الغداء.

فرغت أحلام ودنيا من الطّعام وخرجتا من الغرفة فنظرت آمال

لوالدها وقالت بحزن: أبي، لم تدلّل دنيا وتحبّها أكثر مني؟ إن هذا العمل سهلٌ وتافهٌ للغاية، وقد عوّدتني على أن أقومَ بهذه الأعمال بنفسي، بل إنني أقوم بتغيير المصابيح بنفسي إذا احترقت.

عدنان: لا يا بنيّتي على العكس، إنّني أحبك مثلها وأكثر، ولكنّني ربّيتك على القوّة والاعتماد على النفس، ولم أفعل هذا إلا من أجلِ مصلحتك؛ فأنا لا أريد أن أترك بعد موتي فتاةً ضعيفةً وهشّة فيكسرها الناس وتضيع بعد موتي.

آمال: ولماذا إذًا لا تجعل دنيا تعتمد على نفسها وتجعلها تقوم بهذه الأعمال مثلما فعلت بي؟

عدنان: إن والدتها لها قناعاتها الخاصّة وطُرقها المختلفة عنّي في التربية، وهي تحبّ تدليل ابنتها وغير مقتنعةٍ بما أقوم به، وأنا لن أجبرها على أن تجعلَ دنيا تقوم بالأشياء التي تقومينَ بها؛ فلكلٍ منا وجهة نظره التي يراها صحيحةً وصائبة، إن ما يجب علينا يا ابنتي هو أن نتعامل معهما بلطف؛ فهم قد أصبحا جزءًا من عائلتنا.

فمسحت آمال فمها بالمنديل وقالت وهي تخرج من غرفة الطعام: إنهم مجرد دخلاء على منزلي، وأعدك يا أبي بأنني سأجعلهم يعودون غرباء كما كانوا.

توجّهت آمال نحو حنان وقالت لها: أرجوك لا تتغيري عليّ يا ماما حنان، إنك الوحيدة التي أحبّها في هذا المنزل الكئيب، أنتِ الوحيدة هنا التي تفهمني وتحبّني، أرجوك لا تنخدعي بدنيا ووالدتها

كما حصلَ مع أبي، أرجوك كوني على حذرٍ منهما.

حنان: لا تخافي يا ابنتي الحبيبة إنني لن أسمحَ لأيّ شخصٍ مهما كان بأن يفرّقني عنك مجددًا أو يشوّه صورتك في عيني.

* * *

# هي ملكي أنا فقط

قالت وهي تنظر إلى الصقر بخوف: أرجوك دعني وشأني، ما الذي تريده مني؟

الصقر الأبيض: أريدك أن تري خطيبك ياقوت وهو يقوم بأعمالهِ الخيرية.

سمعت شروق صراخَ خطيبها من كوخٍ كان بالقرب منها فزادَ خوفها أكثر.

الصقر الأبيض بسخرية: ما بك؟ ألن تنقذي خطيبك؟

نظرت شروق إلى نافذة الكوخ فصُعقت عندما رأت ياقوت بهيئتهِ البشرية - التي تقدّم لخطبتها في المرةِ الأخيرة - وهو مقيدٌ وحوله ذئبٌ يحومُ حوله وينهشُ من لحمه، فتراجعت إلى الخلف وصرخت بأعلى صوتها، فنظر إليها الذئب وقال بدهشة: شروق! **ما الذي تفعلينه هنا؟!!!**

وفي لحظة اخترق ذلك الذئب الأصهب النافذة وأصبح بالقربِ منها...

الذئب بدهشةٍ امتزجت بقليلٍ من القلق وكثيرٍ من الخوف: ما الذي

أتى بك هنا؟!

تراجعت شروق إلى الخلف وهي تبكي وتقول: ابتعد عنّي أرجوك.

الذئب: أنا ياقوت يا شروق، لا تخافي منّي يا حبيبتي لن أؤذيك.

صُعقت شروق مما قاله الذئب، فنظرت إليه بدهشةٍ وهي تحاول استيعابَ الأمر، ثم ألقت نظرةً خاطفةً مجددًا لما داخل الكوخ فالتقطت عيناها عددًا من الجثث المعلّقة على الحائط بشكلٍ بَشع، كان من بينها الشباب الذين تقدّموا لخطبتها وقوبلوا بالرّفض، وأما الشاب الأخير فقد كان مقيدًا على كرسيّ وقد نُهشت أطرافه، شعرت شروق بأن ساقيها لم تعد قادرتين على حملها فسقطت أرضًا وهي تقول: ابتعد عني أيها السّفاح القاتل.

ياقوت بحزن: أرجوك دَعيني أشرح لكِ الأمر.

شروق: لا أريد أن أسمعَ أي تبريرات منك أيها المجرم المخادع، كيف استطعت خداعي كل تلك الفترة؟!

صرخت شروق وقالت: **إنني أكرهك، أكرهك أيها السّفاح القاتل.**

حاولت الهرب ولكنّها شعرت بدوارٍ شديدٍ فسقطت على الأرض مغشيًا عليها.

حملها ياقوت ونظر إليها بحزنٍ وهو يقول في نفسه: أنا لست سيئًا كما تظنين يا ملاكي الصغير، أرجوك لا تكرهيني، أقسم لك بأنني جنيّ طيب، إنني أساعد كثيرًا من البشر بعملي هذا، إنني أخلّص كثيرًا من البشر من الأذى

بفعلي هذا، أنا لست سيئًا كما تظنّين.

استيقظت شروق ووجدت نفسها على فراشها فجلست وبدأت تسترجع ما رأت بالأمس، تمنّت لو كان الأمر مجرد كابوسٍ مرعب، تمنّت لو أن الصقرَ الأبيض أخبرها بذلك بدلًا من أن يجعلها ترى ما يحدث، ولكنّها كانت ستكذّبه ولن تصدّقه؛ فقد كانت ترى بأن ياقوت من أطيب وأحنّ الأشخاص الذين قد قابلتهم، غطّت عينيها وأجهشت بالبكاء عندما استرجعت ذاكرتها صور الجثث الممزّقة، تمنّت لو أن دنيا بجانبها لتحكيَ لها ما رأت؛ فدنيا وآمال هما فقط من سيفهمانها؛ فلا أحد يعلم بأمر ياقوت غيرهما، تمنّت لو أن دنيا بجانبها الآن لتمسك بيديها المرتجفتين وتخفّف من صدمتها ولكن الصّوت الذي خاطبها زادها رعبًا.

....: لا تفزعي مني يا شروق أرجوكِ دعيني أشرح لك الأمر، لقد أسأتِ فهمي.

بدأ جسد ياقوت بالظّهور تدريجيًا، وحينها أمسك بيديها المرتجفتين فنزعتهما منه سريعًا وغطّت وجهها وهي تقول بذعر: لا تكلمني أيها السّفاح، اخرج من غرفتي، اخرج من حياتي ولا تظهر لي مجددًا أيها المجرم.

بكت شروق وأكملت من بين شهقاتها: لا أعلم كيف كنت أتحدّث وأمضي وقتي مع شخصٍ سيئ مثلك، كيف كنت قريبةً من شخصٍ بهذا السوء! لقد خدعتني أيها السفاح القاتل.

كانت كلمات شروق مثل السّهام التي أطلقتها وصوبتها في أعماقِ قلبه فتقوّس ظهره من شدّة الحزن ونظرَ إليها وقال: أنا لستُ سيئًا كما تظنّين، أنا كنت فقط ...

قاطعته شروق وهي تصرخ وتقول: **لا تكلمني، لا أريد أن أراك مجددًا، أخرج من حياتي الآن...**

فتحت أهداب الباب وهي تقول بقلق: ما بكِ يا ابنتي؟ ما الذي حَصل؟

ولكن جسد ياقوت سبقها واختفى قبل أن تراه، فاقتربت من شروق التي كانت تبكي وترتجف واحتضنتها وبدأت تمسح على شعرها.

أصبحت شروق تتجاهل ياقوت تمامًا ولا تنظر إليه أو تردّ عليه إذا خاطبها.

شعر ياقوت بحزنٍ شديدٍ وهو يتذكّر كلماتها الأخيرة، فنظر لانعكاسه في المرآة وتساءَل: هل أنا حقًا سيء؟ هل حقًا أنا مجرمٌ وقاتل؟ هل قتلي للأشرار والمجرمين جعلني منهم؟

ثم بدأ باسترجاع ذكرياته مع الضحايا الذين كانوا يخبرونه بأنه مجرمٌ وقاتل، تذكّر كلّ ما كانوا يصفونه به وهو يعذّبهم ولا يأبه بكلامهم، كان واثقًا حينها بأنه جنيّ شهمٌ وطيبٌ كما وصفته شروق، ولكن الآن اهتزّت ثقته بنفسه بعد كلماتها الأخيرة، فقال محاولًا استرداد ثقته بنفسه وهو ما زال ينظر لانعكاسه: أنا لست سيئًا يا

شروق، لقد كنت أساعد العديد من الناس بأفعالي، لقد كنت آخذ بحقّ الضّعفاء والمظلومين وأعاقب الظالمين على ظلمهم.

فشلَ ياقوت بإقناعِ نفسه بذلك؛ فقد كان يصدّق ويَثق بكلّ ما تنطقُ به شروق، وكل تقوله يصبح من المسلّمات التي يتقبّلها ولا يناقشها، والآن بعدما أخبرته بأنه مجرمٌ وسيئ فهذا يعني أنه هكذا بالفعل، وهذا يعني أيضًا أنه أصبح يستحقّ أن يعاقب، تشكّل ياقوت على هيئةِ ثعلبٍ وبدأ بعضّ نفسه وجرح جسده بمخالبه، وبما أنه جنيّ سيئ ومجرم وشروق لا تحبّ المجرمين فلن يظهر لها مجددًا ولن يتحدّث معها كما طلبت منه، ولكنّه لم يستطع الكَف عن مراقبتها، فظلّ يراقبها باستمرار، وبعد أيامٍ بدأ يخشى من أن تُدخل لقلبها الطيّب شخصًا آخر يحتلّ مكانه بعدما أخرجته منه، خشيَ من أن تحبَّ غيره وتنساه فعلًا ويصبح مجرد ذكرى سيئة بالنّسبة لها.

كانت شروق سابقًا تظن بأنها أكثر حظًا من النساء اللاتي ارتبطنَ بالإنس؛ فحبيبها قد حماها وساعدها كثيرًا، كان دومًا يتخفّى عندما تخرج للناس، ويحوم حولها ويرعاها ويفتك بكلّ مَن يمسّها بسوء، وقد منحها القدرة على فَهم ما يدور في أذهان الحيوانات عندما كان يترجم لها أحاديثهم، وقد عرض عليها كثيرًا إخبارها بأسئلة الامتحانات ولكنّها كانت ترفض الغش، كان ياقوت يحدّثها عن أسرارٍ عالم الحيوان وكثيرٍ من أسرار الكون التي لن تعرفها أي فتاةٍ عادية مرتبطة بإنسيّ، في يومٍ ما ظنّت شروق أنها الأكثر حظًا من بين صديقاتها، ولكنّ رأيها تغيّر بعدما أصيبت بمرضِ البهاق الذي انتشرَ

في كل جزءٍ من جسدها وشوّهه، بالإضافة إلى تساقطِ أغلب شعرها الكثيف والجميل الذي كانت تخبر ياقوت دومًا بأنها تحبّه كثيرًا.

نظرت إلى انعكاس جسدها الذي صارت تكرهه فتجدّد الكره في قلبها وقالت: كم أكرهك يا ياقوت.

لقد كانت تعلم بأن ياقوت هو من فعل بها ذلك، لقد فعل ذلك بالرغم من أنه ما زال يحبّها، فما الذي كان سيفعله بها إذا كرهها أو غضبَ منها؟ حينها أدركت كم هو خطيرٌ اللّعب مع عنصر النار الذي بإمكانه حرق من يغضبه بكلّ سهولة، سيفتك بها بكلّ سهولةٍ ويتفنّن بنشر الأمراض والكوابيس والأوهام لها بلا تردّد إذا كرهها، وهي في المقابل لن تستطيعَ أن تكون ندًا له في ردّ أذيته لها، كانت شروق تشعر بأنها قد فقدت حاسةَ الكلام وأصيبت بالبكم والصمم بعدما أصبحت تذهب إلى العيادة وترى الحيوانات ولا تستطيع التحدّث معها، وحينها أدركت بأنها فقدت الكثير.

تكوّرت شروق على نفسها وأجهشت بالبكاء وهي تتذكّر سخرية الناس منها وتنمّرهم عليها بعدما أصبحت تتحدّث مع الحيوانات وتفكّر بطريقةٍ مختلفةٍ عمن حولها.

شروق من بين شهقاتها: لقد فقدت الكثير، لم أعد أحتمل، حتى شكلي قد تشوّه...

تألّمت شروق كثيرًا، ربما أكثر مما ينبغي، ولأن داخل كل منّا قوة دفينة حبيسة لا تحررها إلا الجروح العميقة، فقد رفعت شروق

رأسها والشرر يتطاير من عينيها، وقرّرت حينها أن تكفّ عن البكاءِ والحَسرة على ما فقدته، وتجعل ذلك الألم مصدرَ قوةٍ لها، وأن تنتقمَ ممن آذاها بنجاحها؛ فلن تسمح لهُ بكسرها، وتضييع عمرها على التحسر على حالها، فاعتكفت في المكتبة وبدأت بكتابة مجلّدها الأول هناك.

كانت آمال تأتي إليها دومًا وتحكي لها عمّا مرّت به في عالمِ الأهوية، شعرت آمال بأن شروق هي الوحيدة التي فهمتها وصدّقتها في كلّ ما قالته، وشعرت أيضًا ببعض معاناتها؛ فقد كانت هي الأخرى تشعر بأنها فقدت حاسةَ التذوّق من بعد ما عاد لسانها لا يستطيع استشعار المذاق النوري، وأصبحت تشعر بأن الطّعام بلا طعمٍ مثلما كان يشعر الناس في قصّة (ملح ماروشكا) بأن الطعام أصبح بلا طعمٍ بعدما اختفى من عالمهم الملح، وأيضًا شعرت بجزءٍ بسيطٍ من معاناة دنيا وأحلام اللتان لا تستطيعان إبصار اللون الأزرق؛ فقد عادت الأشياء حولها بألوانٍ محدودة وباهتة وهي التي كانت تراها بألوانها الحقيقية عندما كانت تراقب عدنان وحنان بالبلورة التي صنعتها لها نَفَس والغمام.

آمال: لقد ساعدتنا العلوم والقدرات التي عند الحيوانات التي هناك على اكتسابِ قدرات لم تكن بحوزتنا في السابق، وقد كان بإمكاننا استخدام كثيرٍ من العلوم في تطوير كوكب زحل، ولكن الأهوية لم تستغلّ ذلك بسبب كبريائها، إنني الآن أتساءَل كيف يمكننا الاستفادة من العلوم والقدرات التي تمتلكها حيوانات القشرة الأرضية في تطويرِ

عالمنا؟ كيف يمكن أن يخبرنا النّحل والنّمل عن الاستراتيجيات التي يستخدمونها في بناء مساكنهم بكلّ هذه الدقّة والنّظام؟ وهل يمكن للهدهد أن يعلّمنا كيف يستطيع معرفة الأماكن التي يتواجد فيها الماء المختبئ في عمقِ الأرض؟

شروق: وأيضًا هل يمكن أن تخبرنا الكلاب عن الطريقة التي تستطيع من خلالها التنبؤ بالزلازل قبل حدوثها.

تشاركت الصديقتان الكثير والكثير من الأفكار والقصص والمواقف التي مرّا بها، وبعد فترةٍ قصيرة عرَّفت آمال صديقتها على أختها نَفَس التي صارت تحكي لهم عن عالمِ الحور الذي فُتنت به، وعن عالم البحار وما يحويه من أسرار، بالإضافة إلى حديثها عن أمير بين الحين والآخر، وقد استشفّت شروق من خلال حديثها عن أمير بأنها أصبحت تبغض دنيا التي ستغني معه، وتنبأت بعدما درست شخصيتها وطريقة تفكيرها بأنها تفكّر في إيذائها وهذا ما جعلها تخشى على دنيا منها.

* * *

أحلام بانزعاج: متى تنوين إخبار حنان بالحقيقة؟

توترت بلقيس وقالت: ما الذي تريدينه يا أختي؟ كفي عن الحديث عن الأمر ودعينا نتناسى الموضوع.

أحلام: هذا لا يجوز، يجب أن تخبريها بالحقيقة.

انزعجت بلقيس وقالت بانفعال: لن أخبرها بذلك، أرجوك لا